

البحر تأصيل وتجديد

دكتور
منير سلطان
أستاذ النقد والبلاغة المساعد
كلية البنات - جامعة عين شمس

١٩٨٦

الناشر // منشأة المعارف بالإسكندرية
جمال حزي وشركاه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« ... الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا ، وَمَا كُنَّا
لَنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ... »

(الأعراف — ٤٣)

الإهداء

إلى شباب الباحثين البلاغيين ...
وإلى البلاغيين الثّقّات المُحضّرّمين ...
هذه محاولة لإعادة النظر في « البديع » ...
إن صَحَّحْتُ ...

وَفَرَّتِ الجَهِدُ ، وَأَنَارَتِ الطَّرِيقُ ، وَجَدَدَتِ الدِّمَاءُ ... لِيَرْتَفَعَ البِنَاءُ ،
وَيَنْطَلِقَ العَبِيرُ ، وَتُعَوَّدَ البَلَاغَةُ بِبَلَاغَةٍ ، بِجَمَالِهَا وَجَلَالِهَا وَعِطَائِهَا ...

منير سلطان

٦٨ شارع السيد محمد كريم — الإسكندرية

الفهرست العام

مقدمة : البديع والإيقاع

أولا : مصطلحات الوفاء بالمعنى والإيقاع .

١ — السجع والفاصلة .

٢ — الازدواج .

٣ — الجناس .

٤ — المشاكلة .

ثانيا : مصطلحات الوفاء بالمعنى ثم الإيقاع .

١ — الطباق .

٢ — المبالغة .

٣ — التعليل وطرافة التعليل .

٤ — التورية .

ثالثا : الفهارس الفنية .

١ — فهرست المصادر والمراجع .

٢ — فهرست الآيات القرآنية .

٣ — فهرست الأبيات الشعرية .

٤ — فهرست المصطلحات البلاغية .

٥ — فهرست الأعلام .

٦ — الفهرست التفصيلي .

تمهيد

البديع والإيقاع

أولاً : البديع :

انقسمت حياة مصطلح « البديع » إلى قسمين ظاهرين ، أحدهما حياته الطبيعية النابضة ، والأخرى حياته السطحية العقيمة ، واستمرت حياته النابضة سبعة قرون ، ثم سيطرت الفكرة العقيمة عليه فجعلته جثة هامدة .

ومن واقع معنى « البديع » في القرآن الكريم ، كما وردت في الآية الكريمة « بديع السموات والأرض » (البقرة — ١٧) و (الأنعام — ١٠١) بمعنى المنشئ على غير مثال سابق ، والمُبدئ بلا حذرٍ يحتذيه ، والخالق قبل المخلوقات : فَهِمَ البلاغيون كلمة « بديع » ، في لسان العرب « أبدع الشيء يُبدعه وابتدعه : أنشأه وبدأه ، وبدع الركبة : استنطها وأحدثها ، وَرَكَّى بديع : حديثه الحُفَر ، والبديع والبَدع : الشيء الذي يكون أولاً ، وفي التنزيل « قل ما كنت بدعاً من الرسل » (الأحقاف — ٩) ، أى ما كنت أول من أرسل ، فقبلى رُسُل كثير ... وابتدعت الشيء : اخترعته لا على مثال ... الخ »^(١) .

فالبديع : الجديد ، والغريب ، والبارع ، والعجيب ، ومن هنا فهم البلاغيون القدماء مصطلح البديع ، على أنه درجة خاصة من التميُّز يظفر بها الفنان المطبوع ، لذا نراهم يُوسِّعون دائرته تارة ويجعلونها مرادفة للبلاغة ، وأخرى يضيقونها ويجعلونها خاصة بالتفرد في فنون بعينها ، وهم في تحديدهم لهذه الفنون كأنهم يقولون ، إن هذه ... هي المنوطة بالإبداع والاختراع ، وهى مجاله ، وعدا ذلك لا يحتاج إلى نفس الجهد ، وإلى نفس التفرد ، وسنعرض هنا لجهودهم في هذا المضممار ، مدركين تماماً أن الجمود الذى لحق « البديع » بعد ذلك لم يأت فجأة ، ولم يكن وليد التدهور الذوقى والحضارى والأدبى فقط ، إنما كانت له جذوره

(١) لسان العرب — مادة « بَدَعَ » ٢٣٠/١ ط دار المعارف .

التي زرعها البلاغيون المتقدمون بلا قصد ، فأُخذت عنهم بقصد ، وجُففت حتى ذوت ، وصار البديع كما يحدده السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) « وجوهٌ مخصصةٌ » كثيراً ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام^(١) وكما وصفه بدر الدين بن مالك (٦٨٦ هـ) في قالبه الأخير « معرفة توابع الفصاحة »^(٢) ، وما قصة البديع سوى قصة البلاغة بأسرها ، قصة الذوق العربى والفن العربى والقطرة العربىة فى أوجها وفى ضمورها .

وسنقسم حديثنا هنا عن مصطلح « البديع » إلى قسمين أو مرحلتين ، المرحلة الفنية ومرحلة الجمود .

أولاً : المرحلة الفنية :

حيث كان البديع ، بمعنى الابتداء المتميز ، والاختراع المتفرد ، وكان مرادفاً لمعنى البلاغة بمفهومها الواسع .

وبالبداهة كانت أدبية ، على يد الرواة ، فهم الذين أطلقوا صفة « البديع » أى الجميل الرائع من الصياغة الحلوة على بيت الأشهب بن رُمَيْلة :

يقول الجاحظ فى بيت الأشهب :

هُم سَاعِدُ الدَّهْرِ الذى يُتَقَى بِهِ . . . وَمَا خَيْرُ كَفٍّ لَا تُنَوِّ بِسَاعِدِ

« هم ساعد الدهر » إنما هو مثل ، وهذا ما تسميه الرواة « البديع »^(٣) .

وطفق الجاحظ يبحث عن بداية هذا البديع الرائق فى شعر الشعراء ، فوجد أن العتاتى (ت ٢٠٨ هـ) كان يحذو حذو بشار (ت ٢٦٧ هـ) فى البديع^(٤) وأن الراعى (ت ٩٠ هـ) كان كثير البديع ، وبشاراً كان حسن البديع ، أما العتاتى (ت ٢٠٨ هـ) فيذهب شعره فى البديع^(٥) وأن جميع من يتكلف البديع من الشعراء المولدين كمنصور النمرى (ت ١٩٠ هـ) ومسلم بن الوليد

(١) المفتح ١٧٩٠ .

(٢) بدر الدين بن مالك — المصباح فى علم المعانى والبيان والبديع — الطبعة الأولى القاهرة ١٣٤١ هـ .

(٣) البيان — ٥٥/٤ ط هارون الرابعة — الخافى .

(٤) البيان — ٥١/١ .

(٥) البيان — ٥٦/٤ .

(ت ٢٠٨ هـ) ، كان يسير على ألفاظ العتاني وحذوه ومثاله في البديع^(١) .

وبين الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) وابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) ، وجدنا المبرد (ت ٢٨٥ هـ) وابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) يصفان الأشعار الجيدة بأنها مبتدعة^(٢) .

ثم يأتي ابن المعتز ، وكتابه « البديع » يعتبر من العلامات البارزة في حياة البلاغة عامة ، والبديع بخاصة ، لأنه يُردُّ فيه على من ادَّعى أن الشعراء المبتدعين السابق ذكرهم ، هم الذين ابتكروا الصور البديعية التي أتوا بها في شعرهم ، فإنه وُجد في القرآن واللغة ، وأحاديث الرسول ﷺ وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم ، وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع^(٣) ، والبديع عند ابن المعتز خمسة أنواع الاستعارة والتجنيس والمطابقة ورد الأعجاز على ما تقدمها ، والمذهب الكلامي^(٤) .

ثم هو يوضح أنه لم يجعل البديع خمسة فنون عن جهل بمحاسن الكلام . ولا ضيق في المعرفة « فمن أحب أن يقتدى ويقتصر بالبديع على الخمسة فليفعل ، ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئاً إلى البديع ، أو لم ياب غير رأينا فله اختياره »^(٥) .

ومحاسن الكلام في الشعر — التي ذكرها — ثلاثة عشر ، هي الالتفات ، والاعتراض ، والرجوع ، وحسن الخروج ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، وتجاهل المعارف ، والهلزل الذي يُراد به الجَدُّ ، وحسن التضمين ، والتعريض والكناية ، والإفراط في الصفة ، وحسن التشبيه ، وإعنائات الشاعر نفسه في القوافي ، وحسن الابتداءات .

ونخرج من هذا النص ، بـ ...

- (١) البيان — ٥١/١ .
- (٢) انظر الكامل للمبرد ١٨٣/١ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، و « الشعر والشعراء » لابن قتيبة ٩٢/١ ، تحقيق أحمد شاكر ، الطبعة الثالثة ١٩٧٧ .
- (٣) البديع — ص ١ .
- (٤) قال ابن أبي الإصبع — المذهب الكلامي عبارة عن احتجاج المتكلم على المعنى المقصود بحجة عقلية ، تقطع المعاند له فيه ، لأنه مأخوذ من علم الكلام ، الذي هو عبارة عن إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية « تحرير التجبير » — ١١٩ . تحقيق د. حفنى شرف .
- (٥) البديع — ٥٧ و ٥٨ .

١ — أن ثمة حركة تامة: تملكت على صعيد الشعر العربي ، قسمت النقاد إلى مؤيد ومعارض .

٢ — أن أصحاب المحافظة على التراث ، هالتهم الدعايات العريضة التي نالها أصحاب التجديد ، فأرادوا أن يرجعوا الأمور إلى نصابها ، ويبعثوا أصولها . وهذا ما سنجد مثلاً عند الجرجاني على بن عبد العزيز ، والآمدى فى الموازنة .

٣ — أن ابن المعتز رأى أن فنون البديع الخمسة هى المحك الذى يكشف عن أصالة الشاعر ، ولكنه ترك الباب مفتوحاً لتغير الأحوال والمفاهيم والبيئات ...

٤ — أن « محاسن الكلام » درجة أقل فى نظره من فنون البديع ، أو هى الدرجة السائدة من الجودة ، التى لا تشهد بتميز أو ابتكار .

٥ — أن السكاكى حين استعمل مصطلح « محسنات بديعية » لم يأت بمجديد ، فقد سبقه إليه ابن المعتز .

وكانت دعوة ابن المعتز لغيره من النقاد والبلاغيين ، أن يضيفوا ما يرونه ، وبالأعلى على فن البديع ، اذ تبارى البلاغيون فى التقسيم والتشقيق حتى بلغ الأمر عند أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤ هـ) إلى مائتين وخمسة وتسعين باباً فى البديع ، ويسير تيار التجديد بين التأيد والمعارضة — والمؤيدون يعتبرونه ابتكاراً وبديعاً ، والمعارضون يسمونه « صنعة » وتجاوزاً ...

فابن طباطبا (ت ٣٢٢ هـ) يعتبر ما أتى به المجددون « عجيب ولطيف وإبداع لللطيف سحرهم فيها ، وزخرفتهم لمعانيها^(١) » ، والجرجاني — على بن عبد العزيز (ت ٣٦٦ هـ) يوضح المسألة أكثر ، فيرى أن البديع بديعان ، أحدهما الذى يأتى عفواً ، ويعتمد على الذوق والسليقة الطيبة ، وتخص الشعراء الأقدمين به ، والآخر ويتصف بالصنعة والقصد (أى القصد إلى التقليد) والإفراط . وهو ما نراه فى شعر المحدثين ، ذلك لأنهم ينهلون من معين القدماء الذين أتوا على كل بديع ،

(١) عيار الشعر — ٤٦ — تحقيق د. محمد زغلول سلام — ط منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٨٥م .

والمقلدون بعضهم محسن والآخر مسيء . بعضهم محمود ، والآخر مذموم ، بعضهم مقتصد والآخر مفرط ، فدرجة الاحسان في التجديد هنا ، تأتي من المهارة في الاحتذاء ، والإحسان في الاقتداء ، والآيات البديعة عنده هي « الآيات الغريبة الحسنة المتميزة عن أخواتها في الرشاقة واللفظ »^(١) .

ولا يبعد الآمدى عن فكرة الجرجاني في البديع ، ولا في ربط الجديد بالقديم ربطاً تعسفياً .^(٢)

وحديث الرمالي (ت ٣٨٤ هـ) عن البلاغة يعنى أنه فهم أن البديع أعلى درجات البلاغة ، فحين اعتبر البلاغة أحد وجوه الإعجاز ، التفت إلى فكرة التميز ، تميز الصنعة الإلهية عن الصنعة البشرية التي قسمها إلى درجتين في الجودة ، يقول « وأما البلاغة ، فهي على ثلاث طبقات ، منها ما هو أعلى طبقة ، ومنها ما هو أدنى طبقة ، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة ، فما كان في أعلاها طبقة فهو معجز ، وهو بلاغة القرآن »^(٣) .

وفي « حلية المحاضرة » للحاتمي ، تتسع دائرة البديع ، في فنون عديدة بعد أن يصفه بالتفرد ، يقول « فوجدت أرباب الكلام يعمدون إلى الإيجاز في حالة الحاجة إلى الإيجاز، والإطالة والتوسع عند الحاجة إلى الإطالة والاتساع ، لِمَا انفردت به لغتهم دون اللغات من أصناف البديع كالتجنييس والتطبيق والاستعارة والإشارة والوحي والتشبيه والاستثناء والتبليغ والترديد والتصدير ... إلى غير ذلك من أفانين البديع »^(٤) .

وفي الصناعتين للعسكري (ت ٣٩٥ هـ) باب خاص للبديع ، هو الباب التاسع ، بعد أن يتكلم عن الإيجاز والإطناب والتشبيه والسجع والازدواج ، ويجعل البديع في خمسة وثلاثين فصلاً منها « الاستعارة والمجاز والتطبيق والتجنييس والمقابلة

(١) الوساطة — ٢٠ وما بعدها تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوي — الطبعة الثالثة — ط الحلبي .

(٢) الآمدى — ١٥١ تحقيق السيد أحمد صقر . ط دار المعارف ١٩٦١ م .

(٣) النكت — ٦٩ تحقيق د. محمد زغلول سلام — ط دار المعارف الثالثة .

(٤) حلية المحاضرة — ١٢٤/١ تحقيق د. جعفر الكتاني — العراق .

وصحة التقسيم وصحة التفسير والإشارة والإرداف والمماثلة والغلو والترشيح والتكميل ... الخ » .

يقول : « فهذه أنواع البديع التي ادّعى من لا رواية له ، ولا دراية عنده ، أن المحدثين ابتكروها ، وأن القدماء لم يعرفوها ، وذلك لما أراد أن يفهم أمر المحدثين ، لأن هذا النوع من الكلام إذا سلّم من التكلف — وبَرىء من العيوب ، كان في غاية الحسن ونهاية الجودة »^(١) .

ومع الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) نجد أصراً على تسمية فنون البلاغة بالبديع ؛ لأنه ينادى بأن أصناف البديع التي توصل إليها الشعراء بما فيها من تفرد وتميز لا يمكن معرفة الإعجاز القرآني بها ؛ لأن نظمه متفرد ، ولا يُقَارَن بها »^(٢) .

وفصل ابن رشيق (ت ٤٥٦ هـ) بين البديع والبلاغة التي يجمع لها تعريفات عديدة من كتب الجاحظ والرماني وعبد الكريم النهشلي وغيرهم^(٣) ، ثم يعرفها بأنها « وضع الكلام موضعه من طول أو إيجاز ، مع حسن العبارة » ثم يفرد باباً بعنوان « المخترع والبديع » يقول فيه « المخترع من الشعر هو : ما لم يُسبق إليه قائله ، ولا عمل أحد من الشعراء قبله نظيره ، أو ما يقرب منه »^(٤) أما البديع : ففصوب كثيرة ، وأنواع مختلفة ، وأنا أذكر منها ما وسعته القدرة ، وساعدت فيه الفكرة ، إن شاء الله تعالى — على أن ابن المعتز — وهو أول من جمع البديع ، وألف فيه كتاباً — لم يعُدّه إلّا خمسة أبواب ، الاستعارة وأولها ثم التجنيس ثم المطابقة ثم رد الأعجاز على الصدور ، ثم المذهب الكلامي ، وعدّها ما سوى هذه الخمسة أنواع ، مَحَاسِنَ ، وأباح أن يُسمّيها من شاء بعد ذلك بديعاً ، وخالفه مَنْ بعده في أشياء منها يقع التنبيه عليها ، والاختيار فيها حيثما وقعت من هذا الكتاب إن شاء الله^(٥) .

(١) الصناعتين — ٢٧٢ وما بعدها تحقيق البجاوي وأبي الفضل إبراهيم ط الحلي .

(٢) الباقلاني — ٦٦ إلى ١١٢ تحقيق السيد أحمد صقر — ط دار المعارف ١١٦٣ م .

(٣) العمدة — ٢٥٠/١ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد — ط دار الجليل بيروت — الرابعة ١٩٧٢ م .

(٤) العمدة — ٢٦٢/١

(٥) العمدة — ٢٦٥/١

وهكذا أخذ البديع ، منذ دعوة ابن المعتز — يتحول إلى باب مفتوح للاجتهاد ، وانحدر الأمر إلى التعريفات والعقم ، وضاعت فكرة الإبداع والاختراع في خضم التنافس بين البلاغيين ، على سد النقص الذي نوهوا أن ابن المعتز وقع فيه .

ويحاول ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ) أن يخطو خطوة أعمق من سابقه ، فهو في كتابه يبحث عن خصائص الإبداع أو الفصاحة ، كما سماها ، وتعقب شروطها ، في الكلمة وفي التركيب ، في اللفظ وفي المعنى ، فلم يهتم بالوقوف عند تعريف للبديع أو للبلاغة ، أو للفصاحة بقدر ما اهتم بتحديد العناصر التي تؤدي إلى البديع أو البلاغة أو الفصاحة ، بالرغم من أنه أوحى لمن جاء بعده من السكاكي وتلاميذه ، بفكرة المحاسن اللفظية والمحاسن المعنوية ، وهذا ما سنجده عند ابن الأثير بعدهم .

وفي « الأسرار » للجرجاني (ت ٤٧١ هـ) نصُّ يُغنيا عن الإفاضة في الحديث ، تكلم عن التجنيس وكيف يصير بديعا « أما التجنيس فإنك لا تستحسن تجانس اللفظين إلا إذا كان موقع معنيهما من العقل موقعا حميدا ، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا ، أترك استضعفت تجنيس أى تمام في قوله : ذَهَبَتْ بِمَذْهَبِهِ السَّمَاحَةُ فَالْتَوَتْ . . . فيه الظُّنُونُ أَمْذَهَبٌ أَمْ مُذْهَبٌ واستحسن تجنيس القائل « حتى نَجَا من جَوْفِهِ وما نجا »^(١) ، وقول المُحَدِّث :

نَاطِرَاهُ فِيمَا جَنَى نَاطِرَاهُ . . . أَوْ دَعَانِي أُمْتُ بَمَا أَوَدَعَانِي الأمر^(٢) يرجع إلى اللفظ ؟ أم لأنك رأيت الفائدة ضعفت عن الأول ، وقويت في الثاني ؟ ورأيتك لم يزدك « مَذْهَبٌ » و « مُذْهَبٌ » على أن أسمعتك حروفا مكررة ، تروم لها فائدة فلا تجدها إلا مجهولة منكرة ، ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظ ، كأنه يخدعك عن الفائدة ، وقد أعطاكها ، ويوهمك كأنه لم

(١) نجا الأول بمعنى أحدث ، والثانية بمعنى تحلّص .

(٢) متعلق بقوله « أترك استضعفت ... واستحسن ...

يزدك وقد أحسن الزيادة ووفّأها ، فهذه السريّة صار التجنيس — وخصوصاً المستوفى منه المتفق في الصورة — من حُلَى الشعر ، ومذكوراً في أقسام البديع^(١) .

فالتجنيس صبار بديعاً لأنه يعطيك الفائدة التي خدعك عنها ، ويوهمك أنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفّأها ، فليس البديع هو التجنيس ، بل العكس ، التجنيس قد يكون بديعاً إذا كان متميزاً أصيلاً ، وغير بديع إذا كان تافهاً ركيكاً .

ومن هنا كانت الاستعارة بديعاً عند الجرجاني كما فعل الآمدى ، يقول الجرجاني « وقال الآمدى : تمّ قد يأتى في الشعر ثلاثة أنواع أخرى يكتسب المعنى العام بها بهاءً وحُسناً ، حتى يخرج بعد عمومته إلى أن يصير مخصوصاً . ثم قال « وهذه الأنواع هي التي وقع عليها اسم البديع ، وهي الاستعارة والطباق والتجنيس ، فهذا نصّ مَوْضِعِ القوانين ، وعلى أن الاستعارة من أقسام البديع ، ولن يكون النقل^(٢) بديعاً حتى يكون من أجل التشبيه على المبالغة ، كما بينت لك ، وإذا كان كذلك ، ثم جعل الاستعارة على الإطلاق بديعاً ، فقد أعلّمك أنها اسم للضرب الخاص من النقل دون كل نقل^(٣) » .

ولن يتبيهاً هذا التَّمْيِزُ ، ولن يكون هذا « البديع » إلا إذا كان طيّعاً ، طلبه المعنى ولم يسع المعنى إليه ، ناداه النظم ولم يفتعل هو النظم . يقول « وعلى الجملة ، فإنك لا تجد تجنيساً مقبولاً ، ولا سجعا حسناً ، حتى يكون المعنى هو الذى طلبه واستدعاه ، وساق نحوه ، وحتى تجده لا تبتغى به بدلاً ، ولا تجد عنه حولا ، ومن ههنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه ، وأحقه بالحسن وأولاه ، ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه ... »^(٤) .

هذا هو البديع ... الذى سماه القاضى عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ)

(١) الأسرار — ٤

(٢) الأسرار — ٣٢٣ تحقيق محمد رشيد رضا ، الطبعة السادسة ١٩٥٩ م ، القاهرة .

(٣) يقول الرماني في تعريفه للاستعارة « هي تعليق العبارة على غير ما وُضعت له في أصل اللغة ، على جهة النقل للإبانة » « النكت » — ٧٩ .

(٤) الأسرار — ٧

بالفصاحة ، وسماه أبو الحسن علي بن عيسى الرمانى (ت ٣٨٤ هـ) بالبلاغة ، وسماه الجرجاني بالنظم .

ويطبق الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) أفكار الجرجاني ، يقول في قوله تعالى « وجعلتك من نسباً نبياً يقين » (النمل - ٢٢) وقوله « من سباً نبأ » من جنس الكلام الذى سماه المحدثون البديع ، وهو من محاسن الكلام الذى يتعلق باللفظ ، بشرط أن يجيء مطبوعاً ، أو يصنعه عالم بجوهر الكلام ، يحفظ معه صحة المعنى وسداده ، ولقد جاء ههنا زائداً على الصحة ، منحسناً وبدعاً لفظاً ومعنى ^(١) . وهذا هو البديع ، بغض النظر عن أنه قد ضم فنوناً عديدة ، أو فنونا محدودة ، فالذى يهمننا هو « المقياس البديعى للفن أيّاً كان اسمه . »

ويسمى ابن منقذ (ت ٥٨٤ هـ) كتابه « البديع فى نقد الشعر » ، ويذكر تحته ما وصلت إليه يده من فنون بلاغية ، حتى أوصلها إلى مائتين وخمسة وتسعين باباً ، ولم يعرف البديع واكتفى بأن قال « هذا كتاب جمعت فيه ما تفرق فى كتب العلماء المتقدمين ، المصنفة فى نقد الشعر ، وذكر مجاسنه وعيوبه ، فلهم فضيلة الابتداع ، ولى فضيلة الاتباع ، والذى وقفت عليه : كتاب « البديع » لابن المعتز ، وكتاب « الحالى » وكتاب « المحاضرة » للحاتمي ، وكتاب « الصناعتين » للعسكري ، وكتاب « اللمع » للعجمي ، وكتاب « العمدة » لابن رشيق ، فجمعت من ذلك أحسن أبوابه ، وذكرت منه أحسن مثالاته ، ليكون كتاباً مغنياً عن هذه الكتب ، لتضمنه أحسن ما فيها ^(٢) .

ويؤلف ابن أبى الأصبع (ت ٦٥٤ هـ) كتابه « تحرير التحبير » ^(٣) ثم يختصره فى كتابه « بديع القرآن » ^(٤) ، وهو يحتوى مسميات للفنون متضاربة وأخرى متشابهة ... وأخذ الطريق فى الانحدار ، وبدأ التنافس بين العلماء فى إضافة مزيد

(١) الكشف — ١٤٤/٣ ط دار المعرفة — بيروت ، وهذه التى سأعتمد عليها فى بحثى هنا .

(٢) البديع فى نقد الشعر — ص ٨ — تحقيق د. أحمد أحمد بدوى ، ود. حامد عبد المجيد ومراجعة الأستاذ إبراهيم مصطفى — وزارة الثقافة والإرشاد القومى ط الحلبي ١٩٦٠ م .

(٣) تحرير التحبير — تحقيق د. حنفى شرف ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية — القاهرة .

(٤) بديع القرآن — تحقيق د. حنفى شرف ط دار نهضة مصر — الثانية .

من المسميات تحت فن البديع ، بدون أن يتوقفوا ليسألوا أنفسهم : ما البديع ؟
وهل ما يصنعونه هذا يمت إلى البديع بصلة ؟!

وبالرغم من ذلك ، نقرر أنه قد أُتيخ للبديع من خلال هذه الجهود الفنية
من يتنبه إلى الذوق. ويشيد به ، وإلى حسن النظم وإلى الجمال ، وإلى كثرة
الشواهد الأدبية المختارة التي يبرز فيها بأحلى صوره . وبأمتعها ، قبل أن يتقدم به
التدهور الفني والذوق إلى العقم ، ويسلمه إلى مدرسة السكاكي ضحية سهلة
من ضحاياها الكثيرة .

ونقرر أيضا ، أن البديع هو البلاغة في أسمى درجاتها ، فالأسلوب المتميز
المتدع هو الذي يؤدي إلى البلاغة ، وهو الذي يعطيها البديع ، وبالتالي، تكون
الفنون البلاغية كلها فنونا لتحقيق درجة الإبداع ، فالتشبيه والمجاز والكناية
والطباق والفضل والوصل والقصر وغيرها من فنون ، إنما هي أوعية يحاول
الفنان أن يصب فيها ابتكاره وإبداعه ونبوغه ، وقد ينجح وقد لا ، فليس هناك
فنون بديعية ، إنما هناك فنون تحاول أن تحقق البديع ، أن تحقق البلاغة في أبداع
صورها ، ومن ثم نجس بمدى الخسارة التي لحقت الدرس البلاغي بالانحراف إلى
ما يسمى بفنون البديع ، بمعنى تخصيص فنون بعينها تسمى « البديع » ، بينما
المقصود من « الفنون البديعية » : الفنون التي نحاول من خلالها تحقيق الإبداع ،
والابتكار والتميز والفن الجميل .

ثانيا : مرحلة الجمود :

هي ليست مرحلة ظهور الجمود ، بل هي مرحلة سيطرة الجمود ، لأن ظهوره
أقدم بكثير من السكاكي وتلاميذه ، فكل فكرة جديدة تحتوى على بذرة نقص
صغرت أم كبرت ، وتستطيع هذه البذرة أن تحتفى في ثنايا النجاح العريض للفكرة
ذاتها ، وحينما تخفت الأضواء ، وتقل المواهب ، وتسقم الأذواق ، تبدأ بذرة الجمود
في الازدهار ، إلى أن تسيطر على الصنعيد كله ، وتصير هي التجديد ، وهي
الابتكار والنبوغ .

فالسكاكي المعتزلى (ت ٦٢٦ هـ) وجد أمامه الجرجاني الأشعري (ت ٤٧١ هـ)
الذى تأثر بالقاضى عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ) المعتزلى ، الذى تأثر بالرماني

المعتزلى (ت ٣٨٤ هـ) الذى لم يَحْفَ عنه ما كتبه قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) المتفلسف ، وغيره ، فهى سلسلة مضطردة يُفْضى بعضها إلى بعض .

وإذا لاحظنا أن السكاكى قد قسم البديع إلى محسنات لفظية وأخرى معنوية ، فكثير من البلاغيين سبقه إلى هذا ، فقدامة يتحدث عن نعوت الجودة التى تتصل باللفظ ثم بالمعنى ثم بالوزن والقافية ، وما يندرج تحت ائتلاف اللفظ مع المعنى ، واللفظ مع الوزن ، المعنى مع الوزن ، فى أسلوب جاف ، وتثنين عقيم مُستقى من الفكر اليونانى ، وقد سبقه أيضا — بطريقة فنية — ابن طباطبا (ت ٣٢٢ هـ) ، وبعده تكلم فيها العسكري (ت ٣٩٥ هـ) ، وابن سنان الخفاجى (ت ٤٦٦ هـ) ... ، السكاكى لم يأت من فراغ .

أقول : وبعد أن وضع السكاكى حداً لعلم المعانى ، وحداً لعلم البيان ، قال « وإذا تقرر أن البلاغة بمرجعها وأن الفصاحة بنوعيتها ، يكسو الكلام حُلَّةَ التزيين ، ويرقيه أعلى درجات التَّحْسُّنِ ، فههنا وجوه مخصوصة ، كثيراً ما يُصَارُ إليها بقصد تحسين الكلام ، فلا علينا أن نشير إلى الأعراف منها ، وهى قسمان ، قسم يرجع إلى المعنى وقسم يرجع إلى اللفظ » . ومن المحسنات المعنوية « المطابقة والمقابلة والمشاكلة ومراعاة النظر والمزاوجة واللف والنشر والجمع والتفريق والتقسيم والتوجيه (التورية) والاعتراض ... ، ومن المحسنات اللفظية « الجناس والسجع »^(١) .

والسكاكى فى تقسيمه البلاغة إلى (علمى المعانى والبيان) أخذ قول الزمخشري فى الكشف (... ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق (حقائق القرآن) ، إلا رجل قد برع فى علمين مختصين بالقرآن ، وهما علم المعانى وعلم البيان »^(٢)) فجمع موضوعات من الدلائل للجرجاني ووصفها تحت « علم المعانى » ، وأخرى من الأسرار ووصفها تحت « علم البيان » ، ولم يقصد الجرجاني ولا الزمخشري إلى ما ذهب إليه السكاكى ، فلفظ « علم » عند الزمخشري يعنى « الإحاطة الشاملة » بما توصل إليه الجرجاني فى نظرية النظم ، وما توصل إليه الجاحظ فى كتابه « البيان » ولكن السكاكى أبى إلا أن يُفسِدَ الأمر .

(١) المفتاح — ١٧٩ وما بعدها ، ط التقدم العلمية — ١٣٤٨ هـ .

(٢) الكشف — ١٦/١ .

والسكاكى أيضا ، بعد أن استوفى الحديث في هذين « العلمين » ، يتحدث عن الوجوه التى يصار إليها لتحسين الكلام ، ووضع تحتها عدة فنون ، وهو بهذا نصّ على ما يجب إدراجه تحت « البديع » ، بالإضافة إلى أنه عكس الموضوع ، فبدلاً من أن يكون « البديع » درجة من التميز يصل إليها الفنان عن طريق أى فن بلاغى ، صار « البديع » أن تستخدم الجنس والطباق والسجع والازدواج ... ، ثم قسم السكاكى هذه الفنون إلى قسمين ، لفظى ومعنوى ، وهذا تمت الرواية فصلاً ، ومشكلة مصطلح « البديع » ليست القضية ، لأن التقسيم قد استقر ، والتصنيف قد استحکم ، والأذواق قد سقمت ، فصار الجمود تجديداً .

ويأتى بدر الدين بن مالك (ت ٦٨٦ هـ) ويضع مصطلح « البديع » ويأتى القزوينى (ت ٧٣٩ هـ) وشرح التلخيص ، وعلماء القرن الثامن ومن بعدهم ، ليسيروا على الدرب ، درب العقم والتعقيد ، والتلاعب بالألفاظ ، والتنافس فى « البديعيات »^(١) وكلها جهود ضائعة .

حتى يأتى العصر الحديث ، والبلاغيون المحدثون ، فيحاولون أن يضعوا الأمور فى نصابها ، مرددين قوله تعالى « ... فأما الزُّبْدُ فيذهب جُفَاءً ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ... » (الرعد — ١٧) والحمد لله رب العالمين .

(١) البديعية قصيدة تحتوى على كل الفنون التى أدرجت تحت « علم البديع » ، وهى فى الوقت ذاته فى المديح ، وبخاصة مدح الرسول ﷺ ، انظر فصل « حياة الصبغ البديعى الأدبية والعلمية فى البديعيات » من ٣٧٠—٤٦٥ من كتاب « الصبغ البديعى » للدكتور أحمد إبراهيم موسى ، ط دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ١٩٦٩ م .

ب - الإيقاع

قلنا إن البديع هو درجة التميز والابتكار ، وأن الفنون البلاغية كلها بديعية إذا توافر لها الابتكار والتميز والإبداع ، والفنون البديعية التي جمعناها هنا اشتركت في عامل « الإيقاع » . الأمر الذى لا يتوافر للتشبيه أو المجاز أو الفصل والوصل أو التقديم والتأخير ... أو غيرها من الفنون ، ولكى تكون بصفة « البديعية » يجب أن تقوم على الوفاء بالمعنى ، فهى ليست وجوها لتحسين الكلام ، إنما هى « الكلام » نفسه ، والمعنى هنا ، لا يعنى معانى الألفاظ المفردة ، بل يعنى « الموضوع » الذى يتحدث فيه الفنان ، و « الوفاء به » يعنى كيفية إبرازه وصياغته ، صياغة فنية شائقة .

أما الإيقاع فهو التناغم الذى يقيمه الفنان بينه وبين المخاطب عن طريق الموضوع ، هو الموسيقى المنبعثة من داخل الصياغة ، وهو ليس نغمات مكررة فقط ، بل هى تصوير لجو المعنى طلبا للتواصل المستمر بين المتكلم والمخاطب والموضوع .

فحين تقول الخنساء

إِنَّ الْبُكَاءَ هُوَ الشُّقَاءُ . . . مِنَ الْجَوَى يَبِينُ الْجَوَانِحُ

أرادت أن تقيم جواً من الحزن الدفين ، يصل بينها وبين المخاطب ، عن طريق الإيقاع المملوء بالحزين ، وهى بهذا تكون قد وفّت بالمعنى ، أى قدمته فى صورة دقيقة مصحوبا بالإيقاع المناسب .

فأصوات الحروف ، وتركيب المقاطع ، وتناغم الحركات مع السكّنات ، والعلاقات الوطيدة بين مخارج الحروف ومعانيها وتناسقها فى مسافات مرسومة ، كل هذه أدوات لتهيئة الجو العام النفسى للإيقاع ، فالموضوع يوحى بالإيقاع ، والإيقاع يُبرز الموضوع ، والعلاقة بينهما عضوية لا تنفصم .

وثم فنون لا يظهر بهاؤها إلا وهى موقّعة ، كالسجع والجناس والازدواج والمشاكلة ، وفنون أخرى لها من الطاقة أن تُبرز كل خفاياها بلا إيقاع ، وقد يتوافر

لها الإيقاع ويكون حينئذ إضافةً جديدة . كالطباق والتعليل والمبالغة والتورية ، وغيرها من الفنون التي لا تحتاج إلى الإيقاع لتبرز خفاياها ، ولكنه قد يظهر فيها .

هذا هو الإيقاع ، أن يستخدم الفنان قدرات أصوات الحروف ، ونغمات الألفاظ ، والتراكيب ، وينسق بينها ، بحيث تترجم ما يعتمل في نفسه ، وتجذب المخاطب إلى محيطها ، ليزوب في أجوائها ، ويظل في جنباتها ، لا يتفك عقله مع نفسه مع روجه في تجاوب متصل مع الفنان وعمله الفني .

ومن جزئيات الإيقاع في البيت الواحد ، ومع إيقاع البيت الآخر ، والأبيات معا ، تتكون النغمة العامة للعمل الفني من حزن سائد أو فرح غامر ، أو قلق طاغ ، أو شوق محير ... الخ .

أولا : مصطلحات الوفاء بالمعنى والإيقاع

أولا — السجع

- ١ — مصطلح « السجع » و « الفاصلة » .
- ٢ — تعقيب على جهود القدماء .
- ٣ — تعريف للسجع والفاصلة ، والفرق بينهما في رأيي .
- ٤ — الفاصلة في القرآن الكريم .
(أ) أبنية الفواصل في القرآن الكريم .
(ب) خروج نظم الآية عن مقتضى الظاهر لتلائم الفواصل في القرآن الكريم .

١ — مصطلح « السجع » و « الفاصلة »

مصطلح « السجع » أقدم من مصطلح « الفاصلة » ، بدليل الحديث الشريف « أسجعا كسجع الكهان »^(١) والمعروف أن العرب قالوا « سجع الكهان » ، ولم يقولوا « فواصل الكهان » .

لقد أدى اختلاف تخريج العلماء لهذا الحديث إلى اختلاف في موقفهم من السجع والفاصل ، هل السجع هو الفواصل ؟ هل هما شيان مختلفان ؟ هل في القرآن سجع ؟ أم أن ما به فواصل منتهية بحروف متماثلة ؟؟

قال الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) : « سجع الرُّجُل ، إذا نطق بكلام له فواصل كقوافي الشعر من غير وزن ، كما قيل : لصها بطل ، وتمرها دَقْلٌ »^(٢) ، إذا كثر الجيش بها جاعوا ، وإن قَلَّوا ضاعوا »^(٣) .

ويسمى سيبويه (ت ١٨٠ هـ) السجع ، « فواصل » ، يقول : « جميع مالا يحذف في الكلام ، وما يختار فيه أن لا يحذف ، يحذف في الفواصل والقوافي ،

(١) قصته : أن حمل بن مالك . كان قد تزوج بامرأتين ، يقال لأحدهما : مليكة بنت ساعدة ، وللأخرى : أم عفيفة بنت مسروح ، فتغايرتا ، كما هو الشأن بين الضريتين — فضربت أم عفيفة مليكة بمسطح بيتها [أى : الجرن ييسط فيه التمر ويحفف] أو بعمود فسطاطها [أى : بعمود خيمتها] وهى حامل ، فألقى جنينها ، ورفعت قضيتها إلى النبی ﷺ ، فقضى على عاقلة الضارية [أى : على قرابتها من جهة الأب الذين يشتركون في دفع الدية] بغرة عبد أو أمة [الغرة من القوم : أشرفهم وأجلهم قدراً] ، فقال أخوها العلاء : أنغم من لا شرب ولا أكل ، ولا صاح فاستهل ؟ فمثل ذلك يُطَلُّ .

— [جملة : « مثل ذلك يطل » — تقريرية بمعنى : الذى في عمر هذا الجنين لا يستحق أن نغم من أجله دية ، فدُمه هدر ، ويجوز فيها أن تكون استفهامية إنكارية ، بمعنى : أنغم ما نغم لمثل هذا الجنين ؟ والعبرة بطريقة إلقاء الجملة في حال وقوعها من العلاء نفسه] . انظر الباقلائي — إعجاز القرآن ٧٤ من مقدمة المحقق ، وانظر في الكتاب نفسه مروي بعدة روايات كلها تدور حول هذا المضمون .

(٢) الدقل : أردأ أنواع التمر .

(٣) الخليل بن أحمد — العين — ٢٤٤ تحقيق د. عبد الله درويش — مطبعة العاني — بغداد — ١٩٦٧ م ، وانظر الشاهد في البيان والتبيين للجاحظ ٢٨٥/١ ط الخانجي تحقيق الأبتاذ عبد السلام هارون — الرابعة .

والفواصل قول الله تعالى « والليل إذا يسر » [الفجر — ٤]^(١) و « ما كنا نُبغ » [الكهف — ٦٤]^(٢) و « يوم التناد » [غافر — ٣٢]^(٣) و « الكبير المتعال » [الرعد — ٩]^(٤) ، والأسماء أجدر أن تحذف ، وإذا كان الحذف فيها في غير « الفواصل والقوافي »^(٥) ، ويقول كذلك « إن العرب إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون ، لأنهم أرادوا مدَّ الصوت ، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا »^(٦) .

والكلمة التي تنتهي بها الجملة « فاصلة » ، عند الفراء (ت ٢٠٨ هـ) ، وهي « رَعُوس الآيات »^(٧) وهي « آخر الآية »^(٨) و « آخر الحروف » و « أواخر الحروف »^(٩) ، ويلتفت الفراء إلى جانب الإيقاع الموسيقي في « الفاصلة » ، فيقول في قوله تعالى « ولن خاف مقام ربه جنتان » [الرحمن — ٤٦] ، وإنما ثنأنا هنا لأجل الفاصلة ، رعاية للتي قبلها والتي بعدها على هذا الوزن ، والقوافي تحتمل في الزيادة والنقصان مالا يحتمله سائر الكلام »^(١٠) ، وله في « الإتيان » للسيوطي ، حول قوله تعالى « إذ أنبعث أشقائها » [الشمس ١٢]^(١١) قوله :

- (١) والآيات قبلها : « والقمر ليال عشر ، والشفق والزهر ، والليل إذا يسر » من ٤-١ .
- (٢) وقبلها : « قال : أرأيت إذ أوتينا إلى الصخرة ، فإني آنست الحوت ، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره ، واتخذ سبيله في البحر عَجَبًا ، قال : ذلك ما كنا نبغ ، فأرثدَّا على آثارهما قصصا » ٦٣ ، ٦٤ من سورة الكهف ، مع ملاحظة أن « نبغ » ليس فاصلة .
- (٣) وقبلها : « مثل ذأب قوم نوح وعاد وثمود ، والذين من بعدهم ، وما الله يريد ظُلماً للعباد ، ويقوم إلى أخاف عليكم يوم التناد » ٣١ ، ٣٢ من سورة غافر .
- (٤) وقبلها : « الله يعلم ما تحمل كل أنثى ، وما تغيض الأرحام ، وما تزداد ، وكل شيء عنده بمقدار ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال » ٨ ، ٩ من سورة الرعد .
- (٥) الكتاب — ١٨٤/٤ تحقيق أ. عبد السلام هارون ، ط الهيئة العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٧ .
- (٦) الكتاب — ٢٨٩/٢ ط الأممية .
- (٧) الفراء — معاني القرآن — ١٧٦/٢ ، ط دار الكتب المصرية ببيروت — تحقيق أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار — ١٩٥٥ .
- (٨) المصدر نفسه — ١٦/١ و ٢٠٠ — ٢٠١ .
- (٩) المصدر نفسه — ٢٠٠/١ ، ٢٠١ .
- (١٠) الزركشي — البرهان — ٦٥/١ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، وانظر معاني القرآن للفراء — ١١٨/٣ .
- (١١) وقبلها « قد خاب من دسائها ، كذبت ثمود بطغواها ، إذ أنبعث أشقائها » ١٠ إلى ١٢ من سورة الشمس .

فإنهما رجلان ، قَدَار وآخر معه ، ولم يقل أشقيها « للفاصلة »^(١) ، ويرد
الأخفش الأوسط « سعيد بن مسعدة » (ت ٢١٥ هـ) قول سيويه في إثبات
ألف « ظنونا » و « السبيلا » في قوله تعالى « وتظنون بالله الظنونا »
[الأحزاب — ١٠] ، وقوله تعالى « أضلونا السبيلا » [الأحزاب — ٦٧] ،
بأن : إثبات الألف لأنها رأس آية ، لأن قوما من العرب يجعلون أواخر القوافي إذا
سكتوا عليها ، على مثل حالها إذا وصلوها ، وهم أهل الحجاز ، وجميع العرب إذا
ترنموا في القوافي أثبتوا في أواخرها الياء والواو والألف »^(٢) .

وقد أحس ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) بخطورة ما يذهب إليه الفراء ، فحين تثنى
لفظه « جنة » لغرض الإيقاع الموسيقي ، تصوير الحقيقة في جانب ، والإيقاع في
جانب آخر ، وصار المعنى تابعا للإيقاع ، ومن ثم ، تحول الإيقاع إلى هدف ،
يقول ابن قتيبة : « وهذا من أعجب ما حُمل عليه كتاب الله ، ونحن نعوذ بالله
من أن نتعسف هذا التعسف ، ونجيز على الله — جل ثناؤه — الزيادة والنقصان
في الكلام لرأس الآية ، وإنما يجوز في رءوس الآي ، أن يزيدا هاءً للسكت ،
كقوله « وما أدراك ما هيّة » [القارعة — ١٠] ، وألفا ، كقوله : « وتظنون بالله
الظنونا » [الأحزاب — ١٠] ، أو بحذف همزة من الحرف ، كقوله « أثاثا
ورثيا »^(٣) [مريم — ٧٤] ، أو ياءً ، كقوله « والليل إذا يسر » [الفجر —
٤] ، لتستوى رءوس الآي على مذاهب العرب في الكلام إذا تَمَّ ، فأذنت
بانقطاعه وابتداء غيره ، لأن هذا لا يزيل معنى على جهته ، ولا يزيد ولا ينقص ،

(١) نقل السيوطي هذا الرأي عن كتاب « شمس الدين بن الصائغ » إحكام الآي في أحكام الراي
انظر الاتفاق — ٢٩٩/٣ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم — الطبعة الثالثة — دار التراث بالقاهرة
وانظر معترك الأقران للسيوطي — ٦٣/١ تحقيق علي محمد البجاوي ط دار الفكر العربي بالقاهرة .

(٢) الأخفش — معاني القرآن — ٧٢/١ تحقيق د. فايز فارس ، ط الكويت — ١٩٧٩ م — الأولى ،
وللأخفش حديث سيأتي إن شاء الله عن المبالغة في قوله تعالى « واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا »
[البقرة — ١٢٥] انظر ص ١٦٤ من البحث ، بالرغم من قول صاحب كتاب « لمحات بلاغية في
معاني القرآن للأخفش » أنه « لم يقع للأخفش في كتابه «معاني القرآن» على إشارات لأي مما عُرف
بعد ذلك بالبديع » ١١ ص ٩٦ ط النهضة المصرية — ١٩٨٣ م — الأولى .

(٣) الرُّبِّي : المنظر والأشارة والهيئة ، « تفسير غريب القرآن » لابن قتيبة ص ٢٧٢ ، تحقيق السيد أحمد
صنقر ، ط دار الكتب العلمية — بيروت — ١٩٧٨ .

وأما أن يكون الله عز وجل وعد جنتين ، فيجعلهما جنة واحدة من أجل رعوس الآي ، فمعاذ الله ^(١) .

ويتابع الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) مَنْ سَبَقَهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي اعْتِبَارِ أَنَّ السَّجْعَ « فاصلة » ، نسب إليه السيوطي : « سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى كِتَابَهُ اسْمًا مُخَالَفًا لِمَا سَمَّى الْعَرَبُ كَلَامَهُمْ ، عَلَى الْجُمْلَةِ وَالتَّفْصِيلِ ، : سَمَى جُمْلَتَهُ « قَرَأْنَا » ، كَمَا سَمَوْا « دِيْوَانًا » ، وَبَعْضَهُ « سُورَةً » « كَقَصِيدَةٍ » ، وَبَعْضَهَا « آيَةً » « كَالْبَيْتِ » وَآخِرَهَا « فَاصِلَةً » « كَقَافِيَةٍ » ^(٢) ، ثُمَّ يَضِيفُ فِي « الْبَيَانِ » ، أَنَّ لِلْكَلامِ الْمَسْجُوعِ مِيزَةً سُرْعَةَ الْحِفْظِ ، وَنَشَاطَ الْأَذَانِ لِسَمَاعِهِ ، وَصُعُوبَةَ ضَيَاعِهِ ، وَذَلِكَ فِيمَا أَوْرَدَهُ عَنْ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ الْفَضْلِ بْنِ عَيْسَى الرَّقَاشِيِّ : « قِيلَ لَهُ : لِمَ تَوَثَّرَ السَّجْعُ عَلَى الْمُنْثُورِ ، وَتَلَزَمَ نَفْسُكَ الْقَوَافِي وَإِقَامَةُ الْوِزْنِ ؟ » ^(٣) ، أَجَابَ الرَّقَاشِيُّ : « إِنْ كَلَامِي لَوْ كُنْتُ لَا أَمَلُ فِيهِ إِلَّا سَمَاعَ الشَّاهِدِ ، لَقَلَّ خِلَافِي عَلَيْكَ ، وَلَكِنِّي أُرِيدُ الْغَائِبَ وَالْحَاضِرَ ، وَالرَّاهِنَ وَالْغَائِبَ ، فَالْحِفْظُ إِلَيْهِ أَسْرَعُ ، وَالْأَذَانُ لِسَمَاعِهِ أَنْشَطُ ، وَهُوَ أَحَقُّ بِالتَّقْدِيرِ ، وَبِقِلَّةِ التَّفَلُّتِ ، وَمَا تَكَلَّمْتُ بِهِ الْعَرَبُ مِنْ جَيِّدِ الْمُنْثُورِ أَكْثَرَ مِمَّا تَكَلَّمْتُ بِهِ مِنْ جَيِّدِ الْمَوْزُونِ ، فَلَمْ يُحْفَظْ مِنَ الْمُنْثُورِ عُشْرُهُ ، وَلَا ضَاعَ مِنَ الْمَوْزُونِ عُشْرُهُ » ^(٤) .

أما كُرُّه الأسجاع ، فكان لسبب « أَنَّ كَهَانَ الْعَرَبِ الَّذِينَ كَانَ أَكْثَرُ الْجَاهِلِيَّةِ يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهِمْ ... كَانُوا يَتَكَهَّنُونَ ، وَيَحْكُمُونَ بِالْأَسْجَاعِ ... ، فَوَقَعَ النَّهْيُ فِي ذَلِكَ الدَّهْرِ لِقَرَبِ عَهْدِهِمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ ، وَلِبَقِيَّتِهَا فِيهِمْ ، وَفِي صُدُورِ كَثِيرٍ مِنْهُمْ ، فَلَمَّا زَالَتِ الْعِلَّةُ زَالَ التَّحْرِيمُ » ^(٥) كما يقول الجاحظ .

وبالرغم من ذلك ، فإن لحديث « أسجع كسجع الكهان ؟ » تعليلاً آخر عند الرقاشي ، يقول : « لَوْ أَنَّ هَذَا الْمُتَكَلِّمَ لَمْ يُرِدْ إِلَّا الْإِقَامَةَ لِهَذَا الْوِزْنِ ، لَمَا كَانَ عَلَيْهِ بَأْسٌ ، وَلَكِنَّهُ عَسَى أَنْ يَكُونَ أَرَادَ إِبْطَالَ حَقِّ ، فَتَشَادَقَ فِي الْكَلَامِ » ^(٦) .

- (١) ابن قتيبة — تفسير غريب القرآن — ٤٤٠ ، ويقول السيوطي في « الاتقان » ، بعد ذكر رأي ابن قتيبة هذا « وأما ابن الصائغ ، فإنه نقل عن الفراء ، أنه أراد « جنات » فأطلق الاثنين على الجمع = السيوطي — الاتقان — ١٤٣/١ . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .
- (٢) نلاحظ هنا ، أن السجع صار مقابلاً للنثر ، أي صار بمعنى الكلام الموزون المقفى .
- (٣) البيان — ٢٨٧/١ تحقيق عبد السلام هارون — الرابعة .
- (٤) نفسه — ٢٨٩/١ .
- (٥) نفسه — ٢٨٧/١ .
- (٦)

ويقرر الزجاج (ت ٣١١ هـ) أن أهل اللغة يسمون أواخر الآى فواصل ، ويسمونها « رأس آية » متابعا الفراء والأخفش — وأنهم كذلك يميزون حذف الياءات من الفواصل ، كما يميزونه في قوافي الشعر^(١) .

وفي نعوت الوزن ، تكلم قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) عن التصريع وهو « أن يُتَوَحَّى فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به ، أو من جنس واحد في التصريف ... »، وضرب مثالا للفظتين المسجوعتين في تصريف واحد ، قول امرئ القيس الكندي .

مِجَشُّ مِجَشُّ مُقْبِلُ مُدِيرٍ معا . تكتيس طباء الحَلْبِ العَدَوَانِ^(٢)
وربما كان السجع ليس في لفظة لفظة ، ولكن في لفظتين بالوزن نفسه ، كقوله :
أَلَصُّ الضُّرُوسِ ، حَنِىُّ الضُّلُوعِ ثُبُوعٌ ، طَلُوبٌ ، تَشِيطٌ ، أَشِيرٌ^(٣)
ومثل قول زهير بن أبى سلمى :

كَبْدَاءُ مُقْبِلَةٌ ، وَرَكَاءُ مُدِيرَةٌ قَوْدَاءُ ، فيها إِذَا مَا اسْتَعْرَضَتْهَا خَضَعُ^(٤)
يقول قدامة : « فَأَتَى بِفَعْلَاءِ مُفْعَلَةٍ ، تَجْنِيساً للحروف بالأوزان » ، ثم يبين موطن الجمال في « التصريع » أنه « يَحْسُنُ إِذَا اتَّفَقَ لَهُ فِي الْبَيْتِ مَوْضِعٌ يَلِيقُ بِهِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ يَحْسُنُ ، وَلَا عَلَى كُلِّ حَالٍ يَصْلَحُ ، وَلَا هُوَ أَيْضاً إِذَا تَوَاتَرَ وَاتَّصَلَ فِي الْآيَاتِ كُلِّهَا بِمَحْمُودٍ »^(٥) .

(١) معانى القرآن وإعرابه — ٣٩١/١ تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي — ط بيروت وانظر ١٣٧/٢ منه .

(٢) المِجَشُّ الجرى الماضى ، المِجَشُّ : غليظ الصوت ، التيس : فحل الطباء ، الحَلْبُ : نبت ترعاه الطباء فتضم عليه بطونها ، أو نبات تعتاده الطباء فيخرج منه ما يشبه اللبن إذا قطع ، وإنما سمي « الحَلْبُ » لتحلبه ، العدوان : الشديد العدو وهو من وصف التيس ، وقد شبه الفرس بفحل الطباء في ضموه ونشاطه وسرعته ، وبالديوان : مكر مفر مقبل مدبر معا — انظر هامش التحقيق . ص ٣٨ .

(٣) أَلَصُّ الضُّرُوسِ : ملتصق الأسنان بعضها ببعض ، حَنِىُّ الضُّلُوعِ : مشرف الضلوع ظاهرها ، ثُبُوعٌ للصبيد : قوى عليه .

(٤) الكبداء : المرأة الضخمة الوَسَطُ البطيئة السير ، الوركاء : عظيمة الورك ، القوداء : الطويلة ، وقوله : « فيها إِذَا مَا اسْتَعْرَضْنَا خَضَعُ » أى : إذا اعترضت طريقها أو رأيها من عرضها — رأيت فيها كبراً وخيلاء .

(٥) قدامة — نقد الشعر — ٣٨ وما بعدها — تحقيق كمال مصطفى ط ١٩٦٢ م — الخانجي .

وقد أطلق أبو الحسن علي بن عيسى الرُّماني (ت ٣٨٤ هـ) ، مصطلح « الفواصل » ، وزقض مصطلح « السجع » ، لأن « الفواصل بلاغة ، والأسجاع عيب » ، وذلك أن الفواصل تابع للمعاني ، أما الأسجاع فالمعاني تابعة لها ،... وقُبِحَ ذلك وعَيَّبَهُ بَيْنَ مَنْ لَهُ أَدْنَى فَهْمٍ ، فمن ذلكم ما يحكى عن بعض الكهان : « الأرض والسماء ، والغراب الواقعة بنقعاء ، لقد نفر الجُحْدُ إلى العُشْرَاء ... ، فهذا أغث كلام يكون وأسخفه ، وقد بينا علته ، وهو تكلف المعاني من أجله ، وجعلها تابعة له من غير أن يبالي المتكلم بها ، ما كانت » ^(١) ، والفرق بين الفواصل والسجع ، أن الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع ، توجب حسن إفهام المعاني ، بينما السجع ليس فيه إلا الأصوات المتشاكلة ، كما ليس في سجع الحمامة إلا الأصوات المتشاكلة ^(٢) .

والرمانى يعطى الجانب الإيقاعي حَقَّهُ من الدرس ، فيقسم الفواصل إلى قسمين « فواصل متجانسة الحرف الأخير » و « فواصل متقاربة الحرف الأخير » . ومن الفواصل المتجانسة في الحرف الأخير ، قوله تعالى « طه ، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ، إلا تذكرة لمن يخشى » [طه — ١ و ٢] ، وكقوله « والطور ، وكتاب مسطور » [الطور — ١ و ٢] ، أما الفواصل ذات تقارب المخارج في الحرف الأخير ، كاليم والنون ، في قوله « الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين » [الفاتحة — ٢ و ٣] ، وكالدال والباء ، نحو قوله تعالى « ق ، والقرآن المجيد » ثم قال « هذا شيء عجيب » [ق — ١ و ٢] ، ثم يبرز الرُّماني فائدة الفواصل في أنها — تفيد بجوار المعنى وحسن الإيقاع « دلالتها على المقاطع ، وتحسينها الكلام بالتشاكل ، وإبدائها في الآى بالنظائر » ^(٣) .

ويرد ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) فكرة عبد الصمد الرقاشى السابقة ، عن أثر السجع في النفس ، وقدرته على اللصوق السريع بالذاكرة ، يقول « لو لم يكن

(١) الرمانى — النكت في إعجاز القرآن — ٩٠ ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز ، تحقيق د. محمد زغلول سلام ، ط دار المعارف ، والعُشْرَاء من البوق ونحوها : ما مضى على حملها عشرة أشهر .

(٢) نفسه والصفحة .

(٣) نفسه ص ٩١ .

المثل مسجوعا لم تأنس النفس إليه ، ولا أُنْقَتَ لِمُسْتَمْعِهِ ، وإذا كان كذلك لم تحفظه ، وإذا لم تحفظه لم تطالب أنفسها باستعمال ما وُضِعَ له ، وجيء به من أجله « (١) » .

ولم يضع أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) حداً فاضلاً بين مفهوم « السجع » و « الفاصلة » و « الازدواج » ، فسمى « الازدواج » سجعا ، والسجع فواصل ، ولم يصرح أمام أية آية من الآيات التي استشهد بها ، أن ما بها سجع ، وإنما سماه فواصل (٢) .

ويخلط ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ) بين السجع والازدواج والفاصل ، يقول : « ومن المناسبة بين الألفاظ في الصيغ ، والسجع والازدواج » ويحد السجع بأنه « تماثل الحروف في مقاطع الفصول » ويوضح أن « بعض الناس يذهب إلى كراهة السجع والازدواج في الكلام ، وبعضهم يستحسنه ، ويقصده كثيراً ... » ، أما المذهب الصحيح عنده « فإن السجع محمود إذا وقع سهلاً متيسراً بلا كلفة ولا مشقة ، وبحيث يظهر أنه لم يُقَصَّد في نفسه ، ولا أَحْضَرَه إِلَّا صِدْقُ معناه دون موافقة لفظ ، ولا يكون الكلام الذي قبله إنما يُتَحَيَّلُ لأجله ، وَوَرَدَ ليصير وصلة إليه » (٣) وعن فواصل القرآن يقول : « إنهم سَمَوْها فواصل ، ولم يسموها أسجاعاً ، وفرقوا ، فقالوا : إن السجع هو الذي يُقَصَّد في نفسه ، ثم يحمل المعنى عليه ، والفاصل التي تتبع المعاني ، ولا تكون مقصودة في أنفُسِها ، وقال علي بن عيسى الرماني ... » ثم يستعرض رأى الرماني في « النكت » ، ثم يذكر رأيه « فأما قول الرماني . — إن السجع عيب والفاصل بلاغة — على الإطلاق ، فغلط ، لأنه إن أراد بالسجع ما يكون تابعا للمعنى وكأنه غير مقصود ، فذلك بلاغة والفاصل مثله ، وإن كان يريد بالسجع ما تقع المعاني تابعة له وهو مقصود متكلف — فذلك عيب ، والفاصل مثله ، وكما

(١) ابن جني — الخضائص — ٢١٦/١ تحقيق محمد علي النجار ، الطبعة الثالثة المصورة .

(٢) أبو هلال العسكري — الصناعتين — ٢٦٦ وما بعدها ، تحقيق على محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم — ط عيسى الحلبي ، الثانية ١٩٧١ م .

(٣) ابن سنان الخفاجي — سر الفصاحة — ١٦٣ وما بعدها ، تحقيق عبد المتعال الصعيدي ، ط صيح — ١٩٦٩ م .

يَعْرِضُ التكلف في السجع عند طلب تماثل الحروف ، كذلك يعرض في الفواصل عند طلب تقارب الحروف ، وأظن أن الذى دعا أصحابنا إلى تسمية كل ما في القرآن فواصل ، ولم يسموا « ما تماثلت حروفه سَجْعاً ، رَغْبَةً في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروى عن الكهنة وغيرهم ، وهذا غرض في التسمية قريب ، فأما الحقيقة فما ذكرناه ، لأنه لا فرق بين مشاركة بعض القرآن لغيره من الكلام في كونه مسجوعاً ، وبين مشاركة جميعه في كونه عَرَضاً وصوتاً وحروفاً وكلاماً وعريباً ومؤلفاً ، وهذا مما لا يَحْفَى فيحتاج إلى زيادة في البيان ، ولا فرق بين الفواصل التى تتماثل حروفها في المقاطع وبين السجع »^(١) .

ويرى الجرجاني — عبد القاهر (ت ٤٧١ هـ) ، أن السجع والجناس جزء هام من المعنى ، يقول بعد ضرب الأمثلة « قد تبين من هذه الجملة ، أن المعنى المقتضى اختصاص هذا النحو بالقبول ، هو أن المتكلم لم يَقْدُ المعنى نحو التجنيس والسجع ، بل قاده المعنى إليها ، وَعَبَّرَ به الْفَرْقُ^(٢) عليهما ، حتى إنه لو رام تركهما على خلافهما مما لا تجنيس فيه ولا سجع ، لَدَخَلَ من عقوق المعنى وإدخال الوحشة عليه في شبيه بما ينسب إليه المتكلف للتجنس المستكروه ، والسجع النافر »^(٣) .

ويطيل الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) الوقوف أمام أسرار الفواصل في القرآن ، ليثبت أنها لم تأت حلية ولا زركشة ، يقول مثلاً في قوله تعالى « وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض ، قالوا : إنما نحن مُمِصِّلُونَ ، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ، وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس ، قالوا : أنؤمن كما آمن السفهاء — ألا إنهم هم السفهاء ، ولكن لا يعلمون » [البقرة ، ١١ — ١٣] ، فإن قلت : فَلِمَ فَصِلَتْ هذه الآية بـ « لا يعلمون » التى قبلها بـ « لا يشعرون » ؟ قلت : لأن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق ، وهم على الباطل ، يحتاج إلى نظر واستدلال ، حتى يكتسب الناظر المعرفة ، وأما النفاق وما فيه من البغى

(١) نفسه — ١٦٥ و ١٦٦ .

(٢) الفرق : الفصل بين شيئين ، ومن معانيه بالكسر ، المَوْجَةُ .

(٣) الجرجاني — أسرار البلاغة — ٩٩ تحقيق محمد رشيد رضا ، ط السادسة — ١٩٦٠ م .

المؤدى إلى الفتنة والفساد فى الأرض ، فأمر دنيوى مبنى على العادات ، معلوم عند الناس ، خصوصا عند العرب فى جاهليتهم ، وما كان قائما بينهم من التغاور والتناحر والتجاذب والتحازب ، فهو كالمحسوس المشاهد ، ولأنه قد ذكر السقفة وهو جهل ، فكان ذكر العلم معه أحسن طباقا له^(١) .

ويلحظ الزمخشري ، أن القرآن قد يعدل عن لفظ إلى لفظ ، مراعاة لحق الفاصلة ، إذ أن الفواصل القرآنية فى سور كثيرة ، يتحد نغمها الصوتى ، فيكون لها من التأثير ما يبلغ مداه فى نفس قارئه ، يقول فى قوله تعالى « وَتَبْتَئِلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا » [المزل — ٨] : وتبتل إليه أى : انقطع إليه ، فإن قلت : كيف قيل « تبتيلا » مكان « تبتيلا » ؟ قلت : لأن معنى « تبتل » « بتل نفسك » ، فجاء به على معناه مراعاة لحق الفواصل^(٢) ، ويقول فى قوله تعالى « رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا » [الأحزاب — ٦٧] ، وزيادة الألف لإطلاق الصوت ، جعلت فواصل الآى كقوافى الشعر ، وفائدتها الوقف ، والدلالة على أن الكلام قد انقطع ، وأن ما بعده مستأنف^(٣) .

وتأتى أهمية كتاب « حقائق السحر فى دقائق الشعر » لرشيد الدين الوطواط (ت ٥٧٣ هـ)^(٤) ، من أنه ألهم فخر الدين الرازى (ت ٦٠٦ هـ) الكثير مما قاله فى كتابه « نهاية الإيجاز فى دراية الإعجاز »^(٥) ، وكذلك الجزء الخاص بالمحسنات عند السكاكى (ت ٦٢٦ هـ) فى كتابه « المفتاح »^(٦) ، وقد ذكر الوطواط أن الأسجاع ثلاثة أنواع ، الأسجاع المتوازية ، والأسجاع المطرقة والأسجاع المتوازنة ، ثم يلاحظ ملحوظة فى أثناء عرضه لهذه الأنواع ، « أنه لا يجوز تسمية

(١) الكشف — ١٨٣/١ ط دار المعرفة — بيروت ، وهى التى اعتمدت عليها فى البحث — ويقصد به « أحسن طباقا له » أحسن ملازمة ومشاكلته .

(٢) نفسه — ١٧٧/٤ .

(٣) الكشف — ٢٧٥/٣

(٤) هو بالفارسية ، ونقله إلى العربية د. إبراهيم أمين الشوارى — ط لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٤٥ م .

(٥) طبع بمطبعة الآداب والمؤيد بمصر — ١٣١٧ هـ .

(٦) انظر ، د. أحمد مطلوب — البلاغة عند السكاكى — ٢٤٣ ط النهضة — بغداد ١٩٦٤ م ود.

شوق ضيف — البلاغة تطور وتاريخ — ٢٧٥ ط دار المعارف ١٩٦٥ م .

وأواخر آيات القرآن « أسجاعاً » بل يجب تسميتها « فواصل » ، كما قال عز وجل « كَتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ » [فَصَّلَتْ ٣ - ١]^(١) ، وهو يخلط بين السجع والفاصل والازدواج ، وثمة أثارة من العسكرية تسربت إلى عرضه للسجع ، ولكنها ليست في نضارة الدرس العسكري .

وبعد أن يفرغ السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) من الحديث عن البلاغة بعلمها « المعاني والبيان » ١١ ، يقسم الفصاحة إلى نوعين ، فصاحة لفظية وفصاحة معنوية ، يقول « وإن الفصاحة بنوعها مما يكسو الكلام حلة التزيين ، ويرقيه أعلى درجات التحسن ، فهنا وجوهٌ مخصوصة ، كثيراً ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام ، فلا علينا أن نشير إلى الأعراف منها ، وهي قسمان ، قسم يرجع إلى المعنى ، وقسم يرجع إلى اللفظ ... ، ومن القسم الثاني : « الأسجاع » ، وهي في النثر كما القوافي في الشعر ، ومن جهاته الفواصل القرآنية ، والكلام على ذلك ظاهر ... »^(٢) .

ويختلف ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) عن السكاكي في معالجته الأدبية الفنية للسجع ، إلا أنه قد خلط بين السجع والفاصل والازدواج ، وهو يمثل الطريقة الأدبية في المعالجة البلاغية ، تلك الطريقة التي تعتمد على التحليل الأدبي والإكثار من الشواهد ، والتي لا تلتفت كثيراً إلى تحديد المصطلحات والفصل بينها ، يقول الدكتور أحمد مطلوب في إثبات عربية المصطلحات البلاغية « ... ومما يؤيد قولنا هو أننا نجد بعض كتب البلاغة في عصر متأخر تنقص فيها المصطلحات المحددة ، كما في كتابي « المثل السائر » و « الجامع الكبير » لابن الأثير ، وهذا يؤكد أن المصطلحات البلاغية في إحدى مدارس البلاغة ، وهي المدرسة الأدبية^(٣) لم تحدد وتستقر حتى أواخر القرن السادس الهجري ، وأوائل القرن (١) حقائق السحر — ١٠٥ وما بعدها .

(٢) المفتاح — ١٧٩ وما بعدها — ط التقدم العلمية — ١٣٤٨ هـ .

(٣) من أبرزها : في رأيي — الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) والمبرد (ت ٢٨٥ هـ) وابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) وابن طباطبا (ت ٣٢٢ هـ) والعسكري (ت ٣٩٥ هـ) والخطابي (ت ٣٨٨ هـ) والشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) وابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـ) وابن منقذ (ت ٥٨٤ هـ) وابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) وابن الزملاكي (ت ٦٥١ هـ) وابن أبي الإصبع (ت ٦٥٤ هـ) والتتويحي (أحد أعيان المائة السابعة) وابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) وابن حمزة العلوي (ت ٧٢٩ هـ) ... ومن هذا حذوهم .

السابع ، لكنها حددت في المدرسة الكلامية^(١) منذ عهد مبكر ، إلا أنها بقيت غير جامعة مانعة حتى ظهر السكاكي ، فحددها التحديد النهائي^(٢) .

كنت أقول ، إن ابن الأثير قد خلط بين السجع والفواصل والازدواج^(٣) ، لكنه في النوع الخامس من القسم الثاني من الصناعة اللفظية ، الذي سماه بـ « الموازنة » ، عاد وتعرض للفواصل ، بعد أن عرف « الموازنة » بأن « تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنشور متساوية في الوزن ، وأن يكون صدر البيت الشعري وعجزه متساويي الألفاظ وزنا ، ... وهذا النوع من الكلام هو أخو السجع في المعادلة ، دون المماثلة ، لأن في السجع اعتدالاً وزيادة على الاعتدال ، وهما تماثل أجزاء الفواصل لورودها على حرف واحد ، وأما الموازنة ففيها الاعتدال الموجود في السجع ، ولا تماثل في فواصلها ، فيقال إذاً ، كل سجع موازنة ، وليس كل موازنة سجعاً ، وعلى هذا ، فالسجع أخص من الموازنة ، فمما جاء منها قوله تعالى « وآتيناهما الكتاب المستبين ، وهديناهما الصراط المستقيم » [الصفات — ١١٧ ، ١١٨] ، ثم ضرب الأمثلة ... ، وقال : وأمثال هذا في القرآن كثير ، بل معظم آياته جارية على هذا المنهج ، حتى أنه لا تخلو منه سورة من السور ، ولقد تصفحته ، فوجدته لا يكاد يخرج منه شيء عن السجع والموازنة^(٤) .

(١) من أبرزها — في رأيي — قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) واسحق ابن وهب (معاصر لقدامة) والرماني (ت ٣٨٤ هـ) والقاضي عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ) والجرجاني (ت ٤٧١ هـ) والريشني (ت ٥٣٨ هـ) وحارم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ) وبدر الدين بن مالك (ت ٦٨٦ هـ) والخطيب القرظيني (ت ٧٣٩ هـ) والسبكي (ت ٧٧٣ هـ) والتفتازاني (ت ٧٩٢ هـ) وأبو محمد القاسم السجلماسي تلميذ حازم القرطاجني (من نقاد القرن الثامن في المغرب العربي) الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) السيوطي (ت ٩١١ هـ) ابن يعقوب المغربي (ت ١١١ هـ) ... ومن هذا حلدهم .

(٢) البلاغة عند السكاكي — ٢٩٧ ، ط النهضة بغداد — ١٩٦٤ م .

(٣) المثل السائر — ١٩٣/١ وما بعدها ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط الحلبي ١٩٣٩ م ، وانظر الجامع الكبير له ، فصل « السجع والازدواج » — ٢٥١ وما بعدها ، تحقيق د. مصطفى جواد ، ود. جميل سعيد ط المجمع العلمي العراقي — ١٩٥٦ م .

(٤) المثل السائر — ٢٧٨/١ الطبعة السابقة .

وإذا نَحْنُنا المصطلحات جانباً ، ويجدناه قد التفت إلى السجع وإلى
القواصل ، وربط بين الازدواج والتوازن .
وبعد ، فليس هناك من يستحق أن أقف عنده ، لأجد لديه إضافة تسترعى
الانتباه ، أو تستدعى التنويه^(١) .

(١) انظر على سبيل المثال ، بديع ابن منقذ باب «الترصيع» ص ١١٦ ، والبيان لابن الرومكالى ، وبديع القرآن
لابن أبي الإصبع — باب التسجيع — ١٠٨ ، وتحرير التحرير له — ٢٠٠ ، والإكسر في علم التفسير
للطوفي (ت ٧١٦ هـ) باب السجع والازدواج — ٣١٠ تحقيق د. عبد القادر حسين ، والإيضاح
للقرطبي — ٥٤٧ تحقيق د. محمد عبد النعم خفاجي — ونجم الدين بن أحمد بن الأثير (ت ٨٣٧ هـ)
في جواهر الكثر — ٢٠٤ باب الترصيع ، تحقيق د. محمد زغللول سلام ، ونجم بن حمزة
العلوي — الطراز — ١٨/٣ والسبكى في عروس الألفاظ ٤٤٥/٤ ضمن شروح التلخيص — ط
الحلبي ١٩٣٧ م ، والفتاوى (ت ٧٩٢ هـ) في شرح السعد ٤٤٥/٤ من شراح التلخيص وابن
مقرب القرني (ت ١١١٠ هـ) في مواهب الفلاح ٤٤٥/٤ من شراح التلخيص ...

التعقيب

من خلال استعراضنا لجهود القدماء في درس السجع والفواصل والازدواج ،
نلاحظ :

١ — أن حديث « أسجعا كسجع الكهان ؟ » قد سيطر على الدرس البلاغى ، مما أدى إلى الخلط بين « السجع » و « الفواصل » ، وساعد على هذا الخلط الحرج من وصف ما فى القرآن « سجعا » .

٢ — أن القدماء قد التفتوا إلى جانب « الوفاء بالمعنى » ، وكان من أسباب رفضهم للسجع ، لأن « الفواصل تابعة للمعاني ، أما الأسجاع فالمعاني تابعة لها » — ويضع الجرجانى الصورة النهائية للفكرة ، « أن المتكلم لم يَقدِّ المعنى نحو التجنيس والسجع ، بل قاده المعنى إليهما » .

٣ — وكان الفراء من السابقين إلى التنبيه على أهمية « الإيقاع » فى الفواصل ، ثم وجدنا قدامة يقف أمام الإيقاع الصوتى غير المسجوع ، ويعتبره سجعا ، كقول الشاعر :

أَلَصُّ الضُّرُوسِ ، حَيِّى الضُّلُوعِ . تَبُوعٌ ، طَلُوبٌ ، نَشِيْطٌ ، أَشِيرٌ .

وهذا أدخل فى الازدواج ، وقد يكون مستساغا فى اللغة اليونانية ، التى نقل عنها قدامة ، لكن لكل لغة روحها ومزاجها — هذا بالإضافة إلى الإيقاع الصوتى النابع من تقارب المخارج فى الحرف الأخير — والذى ذكره الرماني — كالميم والنون فى قوله تعالى « الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين » والبدال والباء ... الخ .

٤ — ولم يتوقف الأمر عند ذلك ، بل كان للجانب النفسى نصيب ، إذ ينبه الجاحظ إلى سهولة حفظ السجع ، ويشير ابن جنى إلى الجانب الذوقى فى السجع ، فالنفس تأنس به ، والسمع يرضى عنه ، والذاكرة تتلقفه ، والميل يجنح إليه .

٥ — ويتوقف أبو هلال العسكري في درسه المستفيض عن السجع والفواصل والازدواج ، ويشرح لنا المقصود بالازدواج ، ويضرب لنا الأمثال بصوتية لم ألقها — على ما أعلم — في المصادر السابقة له .

ولكن ...

١ — اتسمت دراستهم بالنظرة الجزئية ، والولوع بالمصطلحات ، وعدم الالتفات إلى تعميق الفكرة التي رصدوها بنظرة شاملة ، تحيط بأشكالها ودوافعها وتطوراتها .

٢ — لم يضموا — مثلاً — الفنون التي تتميز ، بغلبة الجانب الإيقاعي كالسجع والفواصل والازدواج والمشاكلة وغيرها ، ويربطوا ذلك بنتائج علم اللغة في الصوتيات ، وعلم القراءات في الوقف والابتداء ، ونتائج علم النحو والصرف في الزيادة والنقصان ، والإبدال والادغام ، طلباً لسلامة الإيقاع .

٣ — وبالرغم من فهمهم الواعي أن المعاني مُلازمة للإيقاع ، مُلازمة وجود وانصهار ، إلا أنهم لم يتوقفوا عند أثر المعنى في الإيقاع ، ولا أثر الإيقاع في المعنى ، ولا أثر السياق في المعنى والإيقاع ، ولا أثرهما في السياق — وكذلك لم يتوقفوا عند شاعر بعينه ، أو سورة بعينها ، أو ناثر بعينه ، ليقدموا عن أى منهم دراسة تحليلية متكاملة ، إنما كانت الشواهد والمصطلحات والاعتماد على السابق من الدراسات مع ما تيسر من إضافة هنا أو هناك ، هي جُلُّ بضاعتهم .

٣ - تعريف للسجع والفاصلة ، والفرق بينهما في رأى

السجع :

اتفاق آخر حرفين في كلمتين متتاليتين ، فلو قلنا « الهمس » ثم قلنا « اللمس » ، كنا قد أصدرنا صوتين متفقين في آخر جزء منهما ، أى رددناه مرتين ، كما تصنع الحمامة حين « تُسَجِّعُ » ، فهي تردد مقاطع صوتية مرات متتالية .

أما الفاصلة :

فهى الكلمة التى ينتهى بها معنى الجملة ، ويحسن السكوت عندها ، فهذه الكلمة « فاصلة » ، لأنها تنبؤنا بأن معنى الجملة قد انتهى ، ولأنها تعطينا فرصة الوقوف لإراحة النفس عند القراءة ، ولأنها تفصل بين معنيين إما فصلاً تاماً وإما غير تام .

و « الفاصلة » أعم من السجع ، لأن الفاصلة تأتى مسجوعة ، وغير مسجوعة .

إذاً ، السجع :

وصف لإيقاع متردد في كلمتين مفردتين غير داخلتين في تركيب جملة ، وقد تحتوى الجملة في سياقها على كلمتين متفقتين في آخر حرف فيهما ولكنهما لا يؤذنان بانتهاء معنى ، ولا يفصلان بين شطرين في الكلام ولا يحسن الوقوف عندهما ، هاتان الكلمتان يعتبران « سجعاً » .

أما الفاصلة :

فلا توجد إلا في تركيب ، لا توجد إلا في سياق ، لأن وجودها به ومن أجله .

ومثال للسجع داخل السياق ، قوله تعالى في سورة [الانفطار — ١٣] و [١٤] « إن الأبرار لفي نعيم ، وإن الفجار لفي جحيم » ، فلا يحسن الوقوف عند « الأبرار » ولا عند « الفجار » ، لأنه لن يؤدي إلى معنى مفيد ، إذاً فالكلمتان

هنا مسجوعتان بالرغم من وجودهما في سياق ، لأنهما لا يصلحان أن يكونا فاصلتين ، بينما نجد كلمة « نعيم » فاصلة ، وكلمة « جحيم » فاصلة ، وهما فاصلتان مسجوعتان موزونتان .

فالسجع : وصف لظاهرة صوتية « إيقاعية » ، والفاصلة : وصف للحد الذي يقف بين جملة انتهى معناها ، وأخرى ابتدأ معناها .

وسجع الكهان : ألفاظ استعملت لإيقاعاتها الصوتية بغض النظر عن حاجة المعنى لها أو نفوره منها ، فهو إيقاع بلا معنى ، وتكلف وتخليط ... وحين أقول « إيقاع صوتي » فلا أقصد « الإيقاع الموسيقي » ، لأن الإيقاع الصوتي وصف لتشكيل جهاز النطق لمخارج الحروف عن طريق مرور الهواء في مناطقه ، أما الإيقاع الموسيقي ، فهو الأثر الصوتي النفسى الناتج عن امتزاج مقاطع صوتية بمعنى من المعانى من متكلم معين في موضوع معين لمستمع معين . لذا ، يكون السجع إيقاع صوتي اذا كان في كلمتين مفردتين « الهمس » ثم « اللمس » ، ويكون إيقاع موسيقي في داخل سياق جملة أو جملتين متتاليتين . أما الفاصلة فهي قمة الإيقاع الموسيقي ، ذلك الإيقاع الذى ابتدأ مع ابتداء أول حرف في أول كلمة من أول الجملة ، ويظل هذا الإيقاع في درجات من القوة والضعف ، حتى يصل إلى « الفاصلة » ، فهو إلى الفاصلة يكون ، والفاصلة فيها منه أثر لأنها منه وجدت ، وبه تكون .

ومن هنا أقول : إن القرآن الكريم فيه سجع ، فيه هذه الألفاظ المسجوعة الداخلة في السياق والتي لا يحسن الوقوف عندها لعدم وفائها بالمعنى المطلوب .

وفيه فواصل ، فيه هذه الألفاظ المسجوعة وغير المسجوعة التي تؤذن بانتهاء المعنى ، وانتهاء النغمة أيضا ، لذا ، فهي رأس الآية .

وفيه ازدهاج ، فيه هاتان الجملتان المتتاليتان الموزونتان .

ولست مع قدامة في « السجع الصرفي » الذى يذهب إليه حين يرى بين « الضروس » و « الضلوع » سجعا ، فالوزن الصرفي غير الوزن الإيقاعى ، بينما أوافق الرماني في الإيقاع الصوتي بين الحرفين المتقاربين في المخارج مثل « الرحيم » و

« الدين » وغيرهما ، لأن المَحْوَل هنا ، هو الإيقاع في الأذن والنفس ، بغض النظر عن رسم الحرف في الخط على الورق .

وقد تنبه العسكري إلى الكلمتين المسجوعتين في داخل السياق ، ووصفهما بأتهما « سجع » ، وليستا فاضلتين ، وذلك في قول « البصير » الذي أورده ، يقول البصير : حتى عاد تعريضك تصريحاً ، وتمريضك تصحيحاً^(١) يقول العسكري : فالتعريض والتمريض سجع ، والتصريح والتصحيح سجع آخر ، فهو سجع في سجع ، ومثله في القرآن ، قوله تعالى « إن إلينا إيابهم » ثم إن علينا حسابهم » [الغاشية — ٢٦]^(٢) .

والعلة في اشتراط اتفاق آخر « صوت » في الكلمة ، مع آخر « صوت » في الكلمة التالية ، هو أنه آخر ما يقرع الأذن ، ويبقى فيها ، فإذا تكرر في كلمة أخرى عاد إلى وجوده في الأذن ، مذكراً بالكلمة الأولى . وكل طاقات الإيقاع الموسيقى لا تتجلى إلا في التركيب ، فتظهر مع « الفاصلة » ، وتظهر مع الكلمتين المسجوعتين في داخل سياق ، انظر إلى قوله تعالى : « والتفت الساق بالساق » ، إلى ربك يومئذ المساق » [القيامة — ٢٩ و ٣٠] ، فحرف القاف في « الساق » أعاد إلى الأذن والنفس ، صدى حرف القاف في « الساق » ، وبالتالي عادت الكلمة « معنى ونغما » ، شكلاً وموضوعاً ، إلى المستمع .

« إن دقائق الساعة المتوالية ، حين تبدأ أو تتكرر يعيها المستمع ، ولما كان تكرار الدقات يتبع نظاماً معيناً ، فإن السامع يتوقع أن تتكرر الدقات بالنظام نفسه باستمرار ، والدليل على ذلك أنه إذا توقفت الساعة عن العمل ، كان توقفها سبباً في لفت النظر إليها ، والبحث عن أسباب توقفها ، أي أن حدوث الأشياء بنظام مخالف لما نتوقع يحدث في أنفسنا شيئاً من الدهشة والاضطراب ، وهذا هو عينه التحليل النفساني لما يحدث ارتياحاً عند الاستماع إلى الموسيقى الصوتية .

(١) التمريض ضد التصريح ، وفي الاصطلاح : المعنى الحاصل عند اللفظ لا باللفظ نفسه ، وإن شئت قل « هو إمالة الكلام إلى عرض يدل على الغرض المقصود » أي « توجيه الكلام إلى جانب يفهم منه المراد إشارة وتلويعاً » وتمريض الكلام أي اللجوء به إلى التلميح والإشارة والإلغاز حتى لا يفهمه غير المراد به ، والتصحيح : أي التصريح بالمقصود بدون تمريض .

المنسجمة ، أو إلى الشعر الموزون ، أو النثر المسجوع ، أو الخاضع لنظام معين في توالى الكلمات ، وسرد العبارات » كما يقول الأستاذ حامد عبد القادر^(١) .

وليس هناك مسمى آخر للسجع ، لأنه صفة للمفردات تشبيهاً بأصل صوتي معروف في حياة العرب ، ألا وهو « سجع الحمام » ، وقطبا السجع في الصياغة العربية — فيما أرى — هما « سجع الكهان » هبوطاً^(٢) و « سجع القرآن » صعوداً .

أما « سجع البلغاء » ، فقد يهبط إلى درجة « سجع الكهان » حين يكون اختيار الكلمتين المسجوعتين رديفاً ، وقد يرقى سجعهم ويسمو فيقترب من « سجع القرآن » .

وليس هناك مسمى آخر للفاصلة ، لأنها استقرت باستقرار علم القراءات ، وبخاصة في مبحث « الوقف والابتداء » ، يقول الزركشى (ت ٧٩٤ هـ) : « وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها »^(٣) ، ومن علم القراءات تسلسل مصطلح « الفاصلة » إلى الدراسات البلاغية^(٤) .

(١) حامد عبد القادر — دراسات في علم النفس الأدبي — ٨٦ ط القاهرة .

(٢) جاء في العقد الفريد : أن عامر بن طفيل العامري (ت ١١ هـ) وكان عضواً في الوفد الذي أرسله النعمان إلى كسرى ، عندما خطب بين يدي الملك سجع في قوله ، فقال له الملك : متى تكاهنت يا ابن الطفيل ؟ « العقد الفريد — ١٨/٢ ط الأميرية ، ومعنى سؤاله أنه يستغرب أن يكون الخطيب متحدثاً بأسلوب مسجع يخص الكهان دون غيرهم من الناس » انظر عبد السلام فوزي — السجع وأطوار استعماله في أدب العرب — ١٤ ط بغداد ١٩٦٦ م .

(٣) الزركشى — البرهان — ٥٤/١ .

(٤) د. منير سلطان — الفصل والوصل في القرآن الكريم — ١٨ وما بعدها ، ط دار المعارف ١٩٨٣ م .

الفاصلة في القرآن الكريم

(أ) أبنية الفواصل

في دراسة شائقة ، تفرغت لجوانب عديدة من أبنية الفاصلة ، يحدثنا الدكتور محمد الحسناوى عن « أبنية الفواصل في القرآن الكريم »^(١) .

فهناك الفاصلة التى تماثلت حروف رؤيها ، كقوله تعالى « والطَّورِ ، وكتابِ مَسْطُورٍ ، فى رَقٍ منشور ، والبيت المعمور » [الطور ، ١ — ٤] .

أو قوله تعالى : « ألم نشرح لك صدرك ، ووضعنا عنك وزرك ، الذى أنقضَ ظهرك ، ورفعنا لك ذكرك » [الانشراح ، ١ — ٤] .

وثمة الفاصلة المتقاربة فى مخارج رؤيها ، كقوله تعالى « الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين » [الفاتحة — ٢ و ٣] .

ومن ناحية الوزن ، والمقصود به « الوزن العروضى » ، من حيث الحركة والسكون ، فهناك الفاصلة الموزونة المسجوعة ، كقوله تعالى « فيها نسرٌ مرفوعة ، وأكوابٌ موضوعة » [الغاشية — ١٣ و ١٤] .

وتلك الموزونة غير المسجوعة ، كقوله تعالى « فالعاصفاتِ عصفاً ، والنَّاشراتِ نشراً ، فالفَارِقَاتِ فَرَقاً ، فالمُلَقَّياتِ ذِكْراً » [المراسلات ، ٢ — ٥] .

وتَقْصُرُ الفقرة التى تنتهى بالفاصلة ، فتكون هى الفاصلة ، أو تكون الفاصلة هى الكلمة الثانية أو الثالثة ، أو أكثر من ذلك .

كقوله تعالى « ألم » [البقرة — ١]^(٢) و « حم » [المؤمن — ١]^(٣) و « طسم » [الشعراء — ١]^(٤) أو قوله « الرحمن » [الرحمن — ١] و

(١) محمد الحسناوى — الفاصلة فى القرآن — انظر الفصل الثانى والثالث من الباب الثانى من ٤٥ — ١٠٠ ، ط دار الأصيل — سوريا .

(٢) وكذلك ، آل عمران — ١ ، والعنكبوت — ١ ، ولقمان — ١ ، والسجدة — ١ .

(٣) وكذلك ، فصلت — ١ ، الزخرف — ١ ، الدخان — ١ ، الأحقاف — ١ .

(٤) وكذا ، القصص — ١ .

« الحاقة » [الحاقة — ١] وقد تكون الفاصلة هي الكلمة الثانية من الفقرة ، كقوله تعالى « وَمَارِقٌ مَصْفُوفَةٌ ، وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ »^(١) [الغاشية — ١٥ و ١٦] .
أو تكون هي الكلمة الثالثة ، كقوله تعالى « وَالتَّجْمِ إِذَا هَوَى ، مَاضِلٌ صَاحِبِكُمْ وَمَا غَوَى »^(٢) ، وما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى » [النجم ، ١ — ٣] .

وقد تكون الفقرتان متساويتين طولاً ، كما في قوله تعالى « إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً ، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً » [المعارج ، ١٩ — ٢١] ، وهذا ما يسمى بـ « الازدواج » .

وقد لا تتساوى الفقرتان طولاً ، كما في قوله تعالى « إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ، إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ، إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ، [المزمل ، ٥ — ٧] .

وفي سورة « الرحمن » تكررت آية « فَبَأَى آلَاءُ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ » وكأنها الإيقاع الثابت « اللازمة » « القفل » الذي لا يتغير بتغير المعاني والأحداث ، يقول تعالى « وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ، فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكَامِ ، وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ »^(٣) ، فَبَأَى آلَاءِ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ، وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ^(٤) مِنْ نَارٍ ، فَبَأَى آلَاءِ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ ، رَبِّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبِّ الْمَغْرِبَيْنِ ، فَبَأَى آلَاءِ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ » [الرحمن ، ١٠ — ١٨] .

ونلاحظ أن هذه الآية الكريمة قد احتلت أماكن غير ثابتة على مدى السورة كلها ، إذ وردت ثلاثين مرة ، بين ثمان وسبعين آية ، وذلك بحسب أهمية وحاجة

(١) التمارق ج : تُمَرَّقُ وهي الوسادة الصغيرة يُكَمَّ عليها ، والزرابي ج زَرَبِيَّة : وهي وسادة تُبَسَطُ للجلوس عليها .

(٢) أى ما عَدَلَ الرسول الكريم عن الحق .

(٣) الحب ذو الْعَصْفِ : الحب كالحنطة والشعير ، وكل ما يُتَعَدَّى به ، والعصف : هو ورق النبات اليابس كالتيبن ، والريحان : المشموم أو الرزق يقال خرجت أطلب ريحان الله .

(٤) المارج من نار : هو لها الخالص من الدخان .

الحدث الذى يسبقها ، فكلما كان الحدث أقدر على تصوير قدرة الله تعالى تأتى آية « فبأى آلاى ربكما تكذبان » ، استفهاماً يقصد به التعريض بسطحية عقول هؤلاء المكذبين ، الذى لا يرون ما تحتهم ، وما فوقهم ولا يفقهون حديثاً ، وهذا الاستفهام لا يلتزم غرضاً بلاغياً واحداً ، فقد يكون للتعريض ، أو للتعجب ، أو للأنكار أو للوعيد ... إلخ ، على حسب موقعه من الفواصل ... ، وهو سؤال واحد .

(ب) خروج نظم الآية عن مقتضى الظاهر بسبب الفاصلة في القرآن الكريم

ذكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) في «الإتقان» في النوع «التاسع والخمسين»^(١) فصلاً عن كتاب «إحكام الراي في أحكام الآي» لشمس الدين ابن الصائغ (ت ٧٧٦ هـ)^(٢) عن «خروج نظم الآية عن المؤلف بسبب الفاصلة» وقد رصد ابن الصائغ أربعين خروجاً عن مقتضى الظاهر، نقتطف منها:

١ — تقديم الفاضل على الأفضل، نحو قوله «وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا، إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٌ، وَلَا يَفْلَحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَكْبَى/فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا: آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى» [طه — ٧٠ و ٧١].

٢ — حذف ياء المنقوص المَعْرِفِ، نحو «الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما يغيض الأرحام وما تزداد»، وكل شيء عنده بِمِقْدَارٍ،/ عالم الغيب والشهادة الكبيرة الْمُتَعَالِ [الرعد، ٨ و ٩].

٣ — صرف مالا ينصرف، نحو «ويطاف عليهم بآنية من فضة» وأكواب

(١) انظر الإتقان — ٢٩٦/٣ وما بعدها، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم — الطبعة الثالثة — ١٩٨٥ نشر وتوزيع دار التراث بالقاهرة.

(٢) هو محمد بن عبد الرحمن بن علي بن شمس الدين الحنفى، من علماء مصر في القرن الثامن، اشتغل بالتأليف والتصنيف — انظر في ترجمته — كشف الظنون، والدرر الكامنة ٩٩/٣، وله من الكتب المتعلقة بالإعجاز وفنون البلاغة «روض الأفهام في أقسام الاستفهام» «نشر العبير في إقامة الظاهر مقام الضمير» «المقدمة في سر الألفاظ» «إحكام الراي في أحكام الآي» — انظر الإتقان ٢٠/١ و ٤٠/٣ و ٢٩٦. وما بعدها. وانظر في «خروج نظم الآية عن مقتضى الحال بسبب الفاصلة» وما دار بين أبي عمرو بن العلاء والمدينى، الخصائص لابن جنى — ٢٩٣/٣، وما ذكره ابن سيدة في الحكم في قوله تعالى «وما كنثُمُتَّخِذُ الْمُضِلِّينَ عُضْدًا» موازنة لما قبلها «يُفْسِرُ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا» [الكهف — ٥٠ و ٥١]، وقال ابن سيدة «أى أعضاداً»، وإنما أفرد ليعدل رءوس الآيات بالإنفراد، الحكم — ٢٤١/١ ط بيروت. وانظر كذلك د. عبد الفتاح لاشين في كتابه «الفاصلة القرآنية» ص ٢٢ وما بعدها — ط دار المريخ بالرياض.

كانت قواريرا ، / قواريرا من فضة قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا « [الإنسان ، ١٥ ،
 . [١٦]

٤ — إيراد أحد قِسْمَي الجملة غير مطابق للآخر ، نحو « أَحْسِبَ النَّاسُ ،
 أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ، ولقد فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
 فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ » [العنكبوت — ٢ و
 ٣] . ولم يقل « الذين كذبوا » .

٥ — إشار أغرب اللفظتين ، نحو « ضِيْرِي » في قوله « أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ
 وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ، أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ ، تلك إِذَا قِسْمَةٌ ضِيْرِي »
 [النجم ، ١٩—٢٢] ولم يقل « جائرة » ، و « الحُطْمَةُ » في قوله
 « يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ، كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطْمَةِ ، وما أدراك ما
 الحُطْمَةُ ، نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ » [الهمزة ، ٣—٦] ولم يقل « جهنم » ،
 أو « النار » ، و « سَقَر » في قوله « إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ، إِنَّ هَذَا إِلَّا
 قَوْلُ الْبَشَرِ ، سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ، وما أدراك ما سَقَر ، لا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ .
 [المدثر ، ٢٤—٢٨] ، و « لَطْفِي » في قوله « كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْفَىٰ ، نَزَاعَةٌ
 لِلشَّوْءِ » [المعارج — ١٥ و ١٦] و « هاوية » في قوله « وأما من
 خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ، فَأُمَّهُ هَاوِيَةٌ ، وما أدراك ما هِيَّة ، نَارِ حَامِيَةٍ » [القارعة ،
 ٨—١١] ، لمراعاة فواصل كل سورة .

٦ — حذف المفعول ، نحو قوله « إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ، فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ
 وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ » [الليل ، ٥—٧] ، ونحو قوله
 « والضحى ، والليل إِذَا سَجَىٰ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ » [الضحى ،
 ١—٣] .

٧ — الاستغناء بالإفراد عن التثنية ، نحو قوله ، وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
 لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ، فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ
 وَلِزَوْجِكَ ، فلا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى » [طه — ١١٦ و
 ١١٧] .

٨ — إِيثار بعض أوصاف المبالغة على بعض ، نحو « وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ، وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَابٌ ، أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ، إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ » [ص — ٤ و ٥] .

٩ — وقوع « فاعل » موقع « مفعول » نحو « فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيَّةً ، إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةً ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ » [الحاقة ، ١٩ — ٢١] .

ونحو « إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ، فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّا خُلِقَ ، خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ ذَافِقٍ » [الطارق ، ٤ — ٦] .

١٠ — الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه ، نحو « أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ ، وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى » [طه ، ١٢٨ ، ١٢٩] .

ومن نافلة القول ، أن نذكر أن النظم القرآني لم يخرج عن مقتضى الظاهر في التركيب اللغوي مراعاة للفاصلة ، ولكن المعنى فرض الخروج عن هذا « المقتضى » وكانت الفاصلة نتيجة من نتائج الوفاء بالمعنى ، فالأمر كله سياق عام يؤدي معنى معيناً يتطلب تركيباً معيناً ، فالعلماء هنا يصفون مدى ارتباط الشكل بالمضمون ، وموسيقا الفاصلة جزء من الشكل وجزء من المضمون .

ثانيا : الازدواج

- ١ — المصطلح
- ٢ — الازدواج فى التراث
- ٣ — المزاوجة والازدواج

١ - المصطلح :

لا خلاف في الازدواج ، من مفهوم الكلمة جاء المعنى ، ومن واقع المعنى جاء المصطلح .

الازدواج : هو توازن جملتين متتاليتين توازنا عروضيا ، ففي قوله تعالى « إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم » [الانفطار — ١٣] ، ازدواج بين الجملة الأولى والجملة الثانية ، أى أن إيقاع الجملة الأولى هو إيقاع الجملة الثانية ، أى الحركات والسكنات في الجملة الأولى هي حركات وسكنات حروف الجملة الثانية ، بغض النظر عن الوزن الصرفي ، ذلك ، لأن السجع والفاصلة والمشكلة بالنسبة للكلمة ، والازدواج بالنسبة للجملة ، وكلها تَشُدُّ ترديد إيقاع منتظم على الأذن ، عن طريق النغمات المتساوية ، وهذا لا يتأتى بالحفاظ على الوزن الصرفي .

٢ - الازدواج في التراث :

ولَنَقُـمَ بجولة في تراثنا الجليل نكشف فيها عن جهد القدماء في « الازدواج » وسنرى أن الجاحظ والعسكرى قد حازا قصب السبق في درس الازدواج ومَن بينهما ثم من جاء بعدهما ، كلهم رددا كلامهما .

في البيان والتبيين ، يفرد الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) بابا لمزدوج الكلام ، أورد فيه قول النبي ﷺ في معاوية « اللهم عَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِسَابَ وَفِيهِ الْعَذَابُ » ، وأيضا ما قاله الرجل الأسدى لشيخ مات ابن له ، يقول الجاحظ « وقال رجل من بنى أسد الشيخ » مات ابنه ، فاشتد جزعه عليه ، فقام إليه شيخ مِنَّا فقال : اصبر أبا أمانة ، فإنه قَرِطٌ افترطته ، وَخَيْرٌ قَدَمَتُهُ ، وَذُخْرٌ احْرَزْتَهُ ، فقال مجيباً له : وَلَدٌ دَفَنْتُهُ ، وَثُكُلٌ تَعَجَّلْتُهُ ، وَغَيْبٌ وَعِدْتُهُ ، والله لئن لم أجزع من التَّقْصِي لا أفرح بالمزيد » ، ثم استرسل الجاحظ قليلا في ذكر الشواهد ، ولكنه لم يتعرض لمفهوم المصطلح ، مكتفيا بوصف الجمل التي أوردها بأنها من « مُقَطَّعَاتِ الْكَلَامِ »^(١) وأظن ظناً ، أن الجاحظ هو الذى ألهم العسكرى ما قاله

(١) البيان والتبيين — ١١٦/٢ و ١١٧ ط هارون .

في باب الازدواج ، ثم أضاف العسكري (ت ٣٩٥ هـ) ، ما أضاف . يقول « لا يَحْسُنُ منشور الكلام ، ولا يَحُلُوْهُ حتى يكون مُزْدَوِجاً ، ولا تكاد تجد لبلوغ كلاماً يخلو من الازدواج ، ولو أُسْتُغْنِيَ كلام عن الازدواج لكان القرآن ... » وقد كثر الازدواج فيه حتى حصل في أوساط الآيات ، فضلاً عما تزوج في الفواصل منه ، كقوله تعالى « الحمد لله الذي ، خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ، وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ » [الأنعام — ١] أمّا ما زووج بينه بالفواصل المسجوعة ، فكقوله تعالى « فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ، وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ » [الشرح — ٧ و ٨] ، ويعلق على الشواهد التي أتى بها قائلاً « ... وكذلك جميع ما في القرآن مما يجرى على التسجيع والازدواج ، يخالف في تمكين المعنى وصفاء اللفظ ، وتضمني الطلاوة ، والماء لما يجرى مجراه من كلام الخلق » ، ثم يسمى الفواصل سجعا ، ويقسمه إلى وجوه ثلاثة . منها : أن يكون الجزآن متوازنين متعادلين ، لا يزيد أحدهما على الآخر مع اتفاق الفواصل على حرف بعينه ، وهي كقول الأعرابي « سنة جَرَدَتْ ، وسال جَهْدَتْ ، وأَيْدٍ جَمُدَتْ ... »^(١) ومنها : أن يكون ألفاظ الجزأين المزدوجين مسجوعة ، فيكون الكلام سجعا في سجع ، وهو مثل قول البصير « حتى نَقَادَ تعريضك تصريحاً ، وتمريضك تصحيحاً »^(٢) ، فالتعريض والتريض سجع ، والتصریح والتصحیح سجع آخر ، فهو سجع في سجع ، ومثله قوله تعالى « إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ » [الغاشية — ٢٦] والذي هو دونهما : أن تكون الأجزاء متعادلة ، وتكون الفواصل على أحرف متقاربة الخارج ، إذا لم يمكن أن تكون من جنس واحد ، كقول بعض الكتاب « إذا كُنْتُ لَا تُؤْتِي مِنْ نَقْصِ كَرَمٍ ، وَكُنْتُ لَا أُؤْتِي مِنْ ضَعْفِ سَبَبٍ ، فكيف أخاف منك خيبة أمل ، أو عدولاً عن اغتفار زلل ... » فهذا الكلام جيد التوازن ، ولو كان بَدَل « ضعف سبب » كلمة آخرها ميم ، ليكون مُضَاهِيّاً لقوله « نَقْصِ كَرَمٍ »^(٣) لكان أجود — ويتوقف أبو هلال العسكري عند درجة التوازن في

(١) السنة : القحط — الأيدي هنا : معناها العطايا والنعم .

(٢) التعريض : التلميح والإشارة الدكية . التمريض : كُئِيَ الكلام عن جهته ، واللحن فيه ليفهمه المخاطب

دون غيره .

(٣) كأن يكون « ضعف رهم » مثلاً .

الازدواج بين الجمل ، يقول « إن أمكن أن تكون الأجزاء متوازنة كان أجمل ، وإن لم يكن ذلك فينبغي أن يكون الجزء الأخير أطول » ثم يتراجع عن شرط طول الجزء الأخير ، ويسجل على نفسه عكسه ، قائلاً « على أنه قد جاء في كثير من ازدواج الفصحاء ، ما كان الجزء الأخير منه أقصر ، حتى جاء في كلام النبي ﷺ منه شيء كثير — كقوله للأَنْصار يفضِّلهم على من سواهم . إنكم لتكثرُونَ عند الفزع ، وتقلون عند الطمع » ، ثم يكمل قوانين الازدواج ، بأنه ينبغي أيضاً أن تكون على زنة واحدة ، وإيه لم يمكن ، أن تكون على حرف واحد ، فيقع التعادل والتوازن : كقول بعضهم : « اصْبِرْ على حَرْ اللِّقاء ، وَمَضْضِ النِّزال ، وشِدَّة المِصْصاع ، ومداومة المِراس »^(١) ، فلو قال « اصبر على حَرْ الحرب ، ومضض المنازلة » لبطل رونق التوازن ، وذهب حسن التعادل .

ويحدد أبو هلال العسكري عَيِّنَ للازدواج — هما التجميع ، والتطويل ، ثم يختم دراسته للسجع والفواصل والازدواج بقوله : « وقد أعجب العرب السجع ، حتى استعملوه في منظوم كلامهم ، وصار ذلك الجنس من الكلام منظوماً في منظوم ، وسجعا في سجع ، وهذا مثل قول امرئ القيس :
سَلِيمُ الشَّظَى عَيْلُ الشَّوَى شَنِجُ النِّسَا . . . لَهُ حَجَبَاتٌ مُشْرِفَاتٌ عَلَى الْفَالَى^(٢)
وسمى أهل الصنعة هذا النوع من الشعر « الترصيع »^(٣) .

ولم يضيف ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ) جديداً في موضوع « الازدواج » ، وكان مشغولاً بالرد على مَنْ هاجم وجود السجع في القرآن . وعلى رأسهم الرمانى^(٤) .

(١) المصاع : القتال والمجالد .

(٢) ديوانه : ٦٥ ، وأراد على الفائل ، فقلب ، وهو عِرْق في الفخذين يكون في تحرية الورك ، ينحدر في الرِّجْل « اللسان : مادة — ف ي ل » والحجبة : رأس الورك ، والحجبتان : حرفا الورك اللذان يشرفان على الخاصرتين ، « اللسان مادة — ح ج ب » ، والشظى : عظم لاصق بالذراع ، فإذا زال قيل شظيت الدابة ، الشوى : اليدان والرجلان ، والعبل : الممتلئ ، والشَّنجُ : التَّقْبُضُ ، والنِّسَا : عرق في الفخذ .

(٣) الترصيع : هو أن يكون حشو البيت مسجوعاً ، وأصله من قوطم : « رَصَعْتُ الْعِقْدَ أى فَصَّلتُهُ » — الصناعتين — ٢٦٦ وما بعدها .

(٤) سر الفصاحة — ١٦٣ وما بعدها .

وفي وقفة تحاطفة ، يربط الزنخشرى (ت ٥٣٨ هـ) علم القراءات بالبلاغة في باب « الازدواج » ، وذلك في قوله تعالى « وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ، وَلَا تَذُونَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا » [نوح — ٢٣] يقول « وقرأ الأعمش (ت ١٤٨ هـ) ^(١) « ولا يغوثا ويعوقا » بالصرف ، وهذه قراءة مُشْكِلَةٌ لأنهما إن كانا عربيين أو أعجميين ، ففيهما سبباً منع الصرف ، إما التعريف ووزن الفعل ، وإما التعريف والعُجْمَة ، ولعل (أى الأعمش) قصد الازدواج ، فَصَرَّفَهُمَا لمصادفته أخواتهما متصرفات ، وَدًّا وسُوَاعًا ونسراً ، كما قرئ « وضحاها » [الشمس — ١] لوقوعه مع المَمَالَات ^(٢) .

ولم يجد ابن منقذ (ت ٥٨٤ هـ) في الازدواج إلّا « أن الازدواج بين الكلمات والجمل بكلام عذب ، وألفاظ عذبة حلوة ، كما قال الله تعالى « فمن اعتدى عليكم ، فاعتدوا عليه » [البقرة — ١٩٤] ^(٣) .

ويلتفت حازم القرطاجنى (ت ٦٨٤ هـ) إلى سبب ذيوع الازدواج عند الكلام أنه « لشدة حاجة العرب إلى تحسين كلامهما ، اختص كلامهما بأشياء لا توجد في غيره من ألسن الأمم ، فمن ذلك ، تماثل المقاطع في الأسجاع والقوافي ، لأن في ذلك مناسبة زائدة » ^(٤) .

٣ — المزوجة والازدواج :

مع السكاكى (ت ٦٢٦ هـ) يرسخ مصطلح جديد هو « المزوجة » ، وتداولته الكتب ، على الرغم من أنه لخصه من كتاب « الدلائل » للجرجانى ، ومن ثم وقع خلط بين مصطلح « الازدواج » و « المزوجة » — يقول الجرجانى (ت ٤٧١ هـ) عن « النظم يتحد في الوضع ، ويدق فيه الصُّنْع » « واعلم أن مما

(١) هو سليمان بن مهران الأسدى بالولاء ، أبو محمد ، الملقب الأعمش ، تابعى مشهور ، كان عالماً بالقرآن والحديث والفرائض — تولى سنة ١٤٨ هـ — الأعلام ١٣٥/٣ وما به من مصادر ترجمته .

(٢) ويقصد آيتى « رَفَعَ سَمَكَهَا فسواها ، وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا ، وَأَخْرَجَ ضَحَاها » [النازعات ٢٨ و ٢٩] والكشاف — ١٦٤/٤ .

(٣) البديع — ١١١ وما بعدها .

(٤) القرطاجنى — منهاج البلغاء وسراج الأدباء — ١٢٢ تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة — تونس ١٩٦٦ م .

هو أصل في أن يدق النظر ، ويغمض المسلك في توخى المعانى التى عرفت ، : أن تتحد أجزاء الكلام ، ويدخل بعضها في بعض ، ويشتد ارتباط ثان منها بأول ، وأن تحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحداً ، وأن يكون حالك فيها حال البانى ، يضع يمينه ههنا في حال ما يضع يساره هناك ، نعم ، وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين ، وليس لما شأنه أن يجنى على هذا الوصف حد يحصره ، وقانون يحيط به ، فإنه يجنى على وجوه شتى ، وأنحاء مختلفة ، فمن ذلك أن تزوج بين معنيين في الشرط والجزاء معا ، كقول البحرى :

إذا ما نَهَى النَّاهَى، فَلَجَّ بى الهوى أصاحت إلى الواشى لَفَجَّ بى الهجرُ

فهذا نوع ، ونوع منه آخر ...، ونوع ثالث ...، ومنه « التقسيم » وخصوصاً إذا قَسُمْتَ ثم جَمَعْتَ ، كقول حسان :

قوم إذا حاربوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ .: أو حاولوا النَّفْعَ في أشياعهم تَفَعُّوا سَجِيَّةً تلك منهم غير مُحَدَّثَةٍ .: إن الخلائق فاعلم شَرُّها البَدْعُ ومن ذلك ، وهو شئ في غاية الحسن ، قول القائل :...، وإذا قد عرفت هذا النمط من الكلام ، وهو ما تتحد أجزاؤه حتى يوضع وضعا واحداً ، فاعلم أنه النمط العالى والباب الأعظم ...، وما نَدَّرَ منه ولطف مأخذه ...، الآيات المشهورة في تشبيه شيئين بشيئين ، كبيت امرئ القيس :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا .: لدى وكرها العُنَابُ والحَشَفُ البَالِي

وبيت الفرزدق :

وبيت بشار : « كَأَنَّ مُتَارَ النَّفْعِ » ، وما أتى في هذا الباب مَأْنَى أعجب مما قضى كُلُّهُ ، قول زياد الأعجم :

وإِنَّا وَمَا تُلْقَى لَنَا إِنْ هَجَوْنَنَا .: لكالبحر، مَهْمَا يُلْقَى فِي الْبَحْرِ يَغْرَقُ^(١)

(١) عن المحقق « الأغاني » ٣٩٢/١٥ ط الدار ، وذلك حين أخبره الفرزدق أنه هَمَّ أَنْ يَهْجُو قَوْمَهُ عَبْد القيس ، فاستمهل زياد ، وقال له : كما أنت حتى أسمعك شيئاً ، فقال :

وما ترك الهاجون لى إِنْ هَجَوْنَهُ .: مَصْحُحاً أَرَاهُ فِي أَدِيمِ الْفَرَزْدَقِ وَإِنَّا وَمَا تُهْدَى لَنَا إِنْ هَجَوْنَنَا .:

فقال له الفرزدق : حسبك ، هَلُمَّ ننتارك ، قال زياد : ذاك إليك ! .

ولأنما كان أعجب ، لأن عمله أدق ، وطرقه أغمض ، ووجهه المشابكة فيه أغرب^(١) . وقد استرسلت في النقل ، لأبين مدى جناية السكاكي ومدرسته على الغرض الذى قصد إليه الجرجاني ، ونلاحظ أن السكاكي هو الذى وضع مصطلح « المزاوجة » ، ونلاحظ كذلك أنه فرغ حديث الجرجاني من الفن وجهده من الروح ، وسجنه في شاهد واحد دون الشواهد الأخرى ، ليس هذا فحسب ، بل أدى الأمر إلى خلط من جاء بعده بين « المزاوجة » و « الازدواج » ١١ يقول السكاكي « ومن الفصاحة المعنوية « المزاوجة » وهى أن تزوج بين معنيين في الشرط والجزاء ، كقول البحترى « إذا ما نهى الناهى »^(٢) ، ويتابعه القزوينى (ت ٧٣٩ هـ) مردداً كلامه^(٣) . ويرى التفتازانى (ت ٧٩٢ هـ) أحد شراح التلخيص أنه « قد يتوهم من ظاهر العبارة أن « المزاوجة » هى أن يجمع بين معنيين في الشرط ، ومعنيين في الجزاء ، كما جمع في الشرط بين « نهى الناهى » و « لجاج الهوى » وفي الجزاء بين « إصاقتها إلى الواشى ولجاج المهجر » وهو فاسد^(٤) وإنما يجعل معنيين واقعين في الشرط والجزاء مزدوجين . في أن يرتب على كل منهما معنى مرتب على الآخر^(٥) .

ويقف ابن يعقوب المغربى (ت ١١١٠ هـ) أحد شراح التلخيص وقفة أطول في إيضاح الإيهام في تعريف القزوينى ، مما لا يخرج فيه عما قاله التفتازانى ، ولكنه يضيف خلطاً جديداً بين « المزاوجة » و « الازدواج » ويجعلهما شيئاً واحداً^(٦) .

ورحم الله أبا بكر ، عبد القاهر الجرجاني وعفا عن السكاكي وتلاميذه .

ونستطيع أن نقول إن المزاوجة هى : المشكلة بين المعانى في ترتيب وقوعها ، وتنسيق أماكنها ، بحيث تبدو متلاحمة كتلاحم الفرد بزوجه ، وكأنهما انسكبا في وعاء واحد ، أى : « مشكلة فنية » .

(١) الدلائل ، ٩٣—٩٦ تحقيق محمود شاكر .

(٢) المفتاح — ١٧٩ وما بعدها .

(٣) الإيضاح — ٤٩٧

(٤) المختصر — ٣١٧/٤ ضمن شروح التلخيص .

(٥) المختصر — ٣١٦/٤

(٦) مواهب الفتاح — ٣١٧/٤ — ضمن شروح التلخيص .

أما « الأزواج » فهو الجمل المتماثلة الأوزان ، والمقاطع الصوتية المتشابهة في الإيقاع ، فلا علاقة باذن ، بين « المزوجة » و « الأزواج » لأن المزوجة قد تأتي في صورة مزدوجة ازدواجاً إيقاعياً ، وقد لا تأتي ، فهي أعم من « الأزواج » ، والذي أوقع اللبس في هذا الشاهد البائس الذي اقتلعه السكاكي من حديث الجرجاني ، أنه مُزَاوَجٌ مُزْدَوَجٌ ، مصبوب في وعاء واحد ، موزون في إيقاع .

إذا ما نهى الناهي / فلج بى الهوى ، أصاغت إلى الواشى / فلج بى الهجر بينا
لا ازدواج إيقاعى في معظم الشواهد التى أتى بها عبد القاهر في حديثه عن
« المزوجة » ، وإلا ، فأين الإيقاع في قول بشار :

كان مَثَارُ النَّقْجِ فوق رِجْسِنَا . . وَأَسْيَافُنَا ، لَيْلٌ نَهَاوَى كَوَاكِبِهِ ؟

ثالثا : الجنس .

- ١ — مصطلح الجنس .
- ٢ — تعريف الجنس التام والجنس الناقص في رأى .
- ٣ — اختلاف المعنى بين المتجانسين .
- ٤ — الحقيقة والمجاز بين المتجانسين .
- ٥ — الجانب الإيقاعى بين المتجانسين .
- ٦ — الوفاء بالمعنى والإيقاع بين المتجانسين .

أولاً : مصطلح الجنس :

قال الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) : الجنس : لكل شيء من الناس والطير والعروض والنحو^(١) ويذكر ابن المعتز : أن الأصمعي (ت ٢١٦ هـ) ألف كتابه « الأجناس » ، بمعنى : أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام ، أى تشبهها في تأليف حروفها^(٢) ، ويسمى ثعلب (ت ٢٩١ هـ) تكرير اللفظة بمعنيين مختلفين « المطابق » ، ثم يمثل بشواهد تضم الجنس التام والجناس الناقص مع طباق السلب^(٣) ، ويتوسع ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) في مفهوم الأصمعي للجناس ، ويقسمه إلى قسمين . « فمنه ما تكون الكلمة تجانس أخرى في تأليف حروفها ومعناها ، ويشق منها ، مثل قول الشاعر :

.. يَوْمٌ حَلَجْتُ عَلَى الْخَلِيجِ نُفُوسَهُمْ ..^(٤)

أو يكون تجانسها في تأليف الحروف ، دون المعنى ، مثل قول الشاعر :

.. فَأَرَفْتُ بِهِ إِنَّ لَوَمَ الْعَاشِقِ اللَّوْمُ ..^(٥)

فهو هنا قد جعل الاشتقاق قسيم الجنس ، أو هو الجنس الناقص .

وأخذ قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) مصطلح « المطابق » من ثعلب (ت ٢٩١ هـ) وجعله عنواناً على الجنس التام ، كقول الأفوه الأودى :

وَأَقْطَعَ الْهَوْجَلُ مُسْتَأْنِساً .. يَهْوَجِلُ عَيْرَانِيَةً عَنَّتْرِيس^(٦)

وأما « المجانس » فيعرفه : بأن تكون المعاني ، اشتراكهما في ألفاظ متجانسة

على جهة الاشتقاق مثل قول زهير :

(١) ابن المعتز — البديع — ٢٥ تحقيق كراتشكوفسكى .

(٢) المصدر نفسه والصفحة .

(٣) ثعلب — قواعد الشعر — ٥٦ تحقيق خفاجى ١٩٤٨ م .

(٤) خلجت : جذبت ، والخليج : بحر صغير يجذب الماء من بحر كبير . وعجز البيت غصباً وأنت لثقلها مستام .

(٥) أبر هلال العسكرى — الصناعتين — ٣٣٠ وما بعدها ، وصدر البيت : يا صاح إن أخاك الصَّبَّ مهموم .

(٦) المرجل الأولى ، المغارة البعيدة التى ليست بها أعلام ، والهوجل الأخرى : الناقة ، والناقة العيرانة : الصلبة ، والعنتريس : الغليظة الوثيقة من النياق .

كَأَنَّ عَيْنِي وَقَدْ سَالَ السَّلِيلُ بِهِمْ . . . وَغَبَرَةً مَا هُمْ ، لَوْ أَنَّ هُمْ أَمَمٌ^(١)
فالمطابق : هو الجناس التام ، المشتق : هو الجناس الناقص^(٢) .

ويحكى أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) ، قال : قلت لعل بن سليمان
الأخفش (ت ٣٥١ هـ)^(٣) — وكأن من أعلم من شاهدته بالشعر : طائفة —
وهم الأكثرون — تزعم أن الطباق : ذكر الشيء وضده ، وطائفة تقول : هو
اشتراك المعنيين في اللفظ الواحد ، فقال : من الذى يقول هذا ؟ قلت : قدامة
وغيره ، قال : هذا يا بني « التجنيس » ، ومن ادعى أنه طباق فقد أتي خلافا
على الخليل والأصمعي ، قلت : أفكانا يعرفان هذا ؟ فقال : سبحان الله ، وهل
غيرهما ؟ في علم الشعر وتمييز تحييثه من طييبه . . .^(٤) والجرجاني — على بن عبد
العزير (ت ٣٦٦ هـ) ، يتعرض في « الوساطة » للتجنيس ، ويقدم عدة
مصطلحات :
فالمستوفى :

هو الجناس التام بين الاسم والفعل ، وضرب مثلاً لذلك قول أبي تمام :
مَا مَاتَ مِنْ كَرَمِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ . . . يَحْيَا لَدَى يَحْيَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ

(١) سَالَ السَّلِيلُ بِهِمْ : سَارُوا فِيهِ سِرّاً سَرِيعاً ، لَمَّا انْحَدَرُوا فِيهِ ، وَالسَّلِيلُ : وَادٍ بَعِيتَةٌ ، وَالْأَمَمُ : الْقَرِيبُ ،
وَبَعْدَهُ :

غَرَّبَ عَلَى بَكْرَةٍ أَوْ لَوْلُو قَلْبِي . . . فِي السَّلَكِ نَحَانَ بِهِ رَبَّائِي النُّظْمُ

أَي : لَوْ أَنَّهُمْ بَقُوا وَمَا رَحَلُوا ، مَا حَدَثَ لِعَيْنِي مَا حَدَثَ ، وَلَا تَوَقَّعْتُ عِنْدَ وَادِي السَّلِيلِ أَرْقَبَهُمْ ، وَلَا
كَانَتْ عَيْنِي هَذِهِ كَدَلُو مَعْلَقٍ فِي بَكْرَةٍ يَسَحُّ مِنْهَا الْمَاءُ ، وَلَا كَانَتْ عِبْرَاتِي الْمَتَسَاقِطَةَ تَبَاعاً كَحَبَابِ
اللَّوْلُو الْمَتَبَعَةِ الَّتِي لَمْ يَحْسَنْ تَرْتِيبَهَا صَاحِبَاتُهَا فِي السَّلَكِ .

(٢) قدامة بن جعفر — نقد الشعر — ١٨٥ وما بعدها — تحقيق كمال مصطفى — الخانجي ١٩٦٣ م .

(٣) هو : الأخفش الصغير من أئمة النحو واللغة — معجم الأبناء ٢٤٦/١٨ .

(٤) السجلماسي المنزوع البديع في تجنيس أساليب البديع — ٣٧٢ تحقيق الغازي مكتب المعارف — الرباط
بالمغرب — ١٩٨٠ م — وذكر المحقق في الهامش أن النص كاملاً موجود في « حلبة المحاضرة —
المخطوط بمخزنه القرويين بفاس — ورقة ٩ و ١٠ . والسجلماسي هو : أبو محمد القاسم الأنصاري من
نقاد القرن الثامن الهجري بالمغرب ومن تلاميذ حازم القرطاجني .

والمطلق :

أطلقه على الجنس الناقص للاختلاف في عدد الحروف ، كقول النابغة :
وأقطع الخرق بالخرقاء قد جُعِلَتْ .: بعد الكَلالِ تَشْكِي الأَيْنِ والسَّامِ^(١)
والناقص :

وهو ما نقصت الحروف الأصلية في إحدى الكلمتين عن الأخرى : كقول
الأخنس بن شهاب :
وحامِي لِوَاءٍ قَدْ قَتَلْنَا وَحَامِلٌ .: لَوَاءٌ مَنَعْنَا والسيوفُ شَوَارِعُ
فجانس بـ « حامى وحامل » ، والحروف الأصلية في كل واحد منهما تنقص
عن الآخر ، ومثله قول أبى تمام :
.: يَمُدُّونَ مِنْ أَيْدٍ عَوَاصِرَ عَوَاصِمٍ .: ^(٢)

أما قول أبى تمام :

خَلَقْتُ بِالْأَفْقِ الْقَرْبَى لِي سَكْنًا .: قد كان عيشى به حُلُوءًا بِحُلُوءٍ
فهو عند الجرجاني . من الأول « المطلق » ، وليس بناقص ، لأن الألف والنون
في « حُلُوءٍ » زائدتان .

ومنها التجنيس المضاف : كقول البحتري :

أَيَا قَمَرَ الثَّمَامِ أَعْنَتْ ظِلْمًا .: عَلَى تَطَاوُلِ اللَّيْلِ الثَّمَامِ^(٣)

(١) الخرق : الواسع من الأرض الذى تنخرق فيه الريح ، والخرقاء : الناقة التى بها هَوَجٌ من نشاطها ،
الأَيْن : الأعياء ، السَّام : الفتور والملل ، يشير إلى بُعْد سفره وطوله ، وأنه استعمل هذه الناقة التى
كانت نشيطة في أول أمرها وما إن طال السفر حتى أعيت ، فلو كانت مما يشتكى لاشتكت من
طوله .

(٢) عواص : جمع عاصية من العصيان ، وعواصم : جمع عاصمة من العصمة ، أى أنها عاصيات على
أعدائهم ، عاصمات لأوليائهم .

(٣) أتم القمر : اكتمل وهو بدر الثَّمَام ، وليل تَمَام : أطول ليالى الشتاء .

ومعنى التثام واحد في الأمرين ، ولو انفرد لم تعد تجنيساً ، ولكن أحدهما صار موصلاً بالقمر ، والآخر بالليل ، فكانا كالمختلفين ، وقد يكون من هذا الجنس ما تجانس به المفرد بالمضاف ، وقد تكون الإضافة اسماً ظاهراً أو مكنياً ، وقد تكون نسباً ، ومن أملح ما سمعت فيه — يستمر الجرجاني في حديثه — قول أبي الفتح ابن العميد^(١) .

فإن كان مسخوطاً ، فقل شعر كاتب . . . وإن كان مرضياً ، فقل شعر كاتب ومن التصحيف ، كقول الشاعر^(٢) :

وَلَمْ يَكُنْ الْمُعْتَرُّ بِاللَّهِ إِذْ سَرَى . . . يُعْجِزُ ، وَالْمُعْتَرُّ بِاللَّهِ طَائِبٌ

ويأتى الرماني (ت ٣٨٤ هـ) ، فيعرف الجنس بأنه « بيان بأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد في اللغة » ، ويقسمه إلى قسمين ، جناس مزوجة ، وجناس مناسبة ، ويقصد بجناس المزوجة ، ذلك الذي يقع بين لفظتين متجانستين ، إحداهما حقيقية والأخرى مجاز ، بغير تفريق بين الجنس التام والآخر الناقض ، كقوله تعالى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » (البقرة — ١٩٤) يقول الرماني : أى جاوزه بما يستحق طريق العدل ، إلا أنه استعير للثاني لفظ الاعتداء لتأكيد الدلالة على المساواة في المقدار ، فجاء على مزوجة الكلام لحسن البيان ، ومن ذلك قوله تعالى « يخادعون » الله وهو خادعهم (النساء — ١٤٢) أى : مجازهم على خديعتهم ، ووبال الخديعة راجع عليهم ، والعرب تقول : الجزاء بالجزاء ، والأول ليس بجزاء ، وإنما هو مزوجة

(١) هو : علي بن محمد بن الحسين ، أبو الفتح ابن العميد (ت ٣٦٦ هـ) ، وزير من الكتاب الشعراء الأذكياء ، يلقب بذي الكفايتين ، خلف أباه في وزارة ركن الدولة البويهى بالرى ونواحيها ثم نكبه مؤيد الدولة وقتله . وأخباره كثيرة على قصر مدته — انظر ترجمته في الأعلام ٣٢٥/٤ .

(٢) الشاعر هو البحتري ، انظر ديوانه ١٨/١ ، والمعتز بالله : الخارج على المعتز بالله ، والد عبد الله بن المعتز ، صاحب كتاب « البديع » . أما المعتز بالله — فهو محمد بن جعفر بن المعتصم ، عقد له أبوه البيعة بولاية العهد سنة ٢٣٥ هـ ، ولما ولي المستعين بالله سنة ٢٤٨ هـ سجنه ، فاستمر إلى أن أخرجه الأتراك بعد ثورتهم على المستعين بالله ، وكانت أيامه أيام فتن وشغب ، وجاءه قواده فطلبوا منه مالاً لم يكن يملكه ، فاعتذر ، فدخلوا عليه وضربوه ، فخلع نفسه ، وعذبوه إلى أن مات سنة ٢٥٥ هـ — الأعلام ٧٠/٦ . وانظر « الوساطة » من ٤١ — ٤٤ و ٤٦ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى — الطبعة الثالثة — المحلى .

الكلام ، والقسم الثانى : وهو « المناسبة » ، وعرفها بأنها « تدور فى فنون المعانى التى ترجع إلى أصل واحد » ، يقصد بذلك « الاشتقاق » ، يقول ، ومن ذلك « قوله تعالى : « ثم انصرفوا صرّف الله قلوبهم (التوبة — ١٢٧) ، ولم يستشهد بجناس تام فى أمثلة « المناسبة »^(١) .

ويستعرض أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) ما وصل إليه معظم جهود السابقين عليه فى « التجنيس » ، ولكنه يتوقف عند تجنيس الاشتقاق ويرفض منه ما كان تصريفا كاسم الفاعل واسم المفعول وأمثلهما ، يقول فى كتابه « الصناعتين » وَشَرَطَ بعض الأدباء قريبا من هذا الشرط فى التجنيس ، وخالفه فى الأمثلة ، فقال — ذلك الذى رمز إليه بـ « بعض الأدباء » — ومن جنس تجنيسين فى بيت زهير فى قوله :

بِعَزْمَةٍ مَأْمُورٍ مُطِيعٍ وَأَمْرٍ . . . مُطَاعٍ فَلَا يُلْقَى لِحَزْمِهِمْ مِثْلُ^(٢)
وليس المأمور والآمر ، والمطيع والمطاع من التجنيس ، لأن الاختلاف بين هذه الكلمات لأجل أن بعضها فاعل ، وبعضها مفعول به ، وأصلها إنجا هو الأمر والطاعة ، وكتاب « الأجناس » الذى جعلوه لهذا الباب مثالا ، لم يصنف على هذا السبيل ، ويكون المطيع مع المستطيع ، والآمر مع الأمير تجنيسا ، وجعل أيضا — الرموز إليه بـ « بعض الأدباء » — من التجنيس قول الآخر :

فَذُو الْحِلْمِ مِثْلًا جَاهِلٌ دُونَ ضَيْفِهِ . . . وَذُو الْجَهْلِ مِثْلًا عَنْ أَذَاهِ حَلِيمٍ

ويقول العسكري ، وهذا مثل الأول ، ليس بتجنيس ، ثم عُدَّ من الشواهد غيرهما ، ثم علق بأنه « ليس فى هذه الألفاظ تجنيس ، وإنما اختلفت هذه الكلمُ للتصريف » وهو فى عرضه بعد ذلك لشواهد التجنيس يأتى أولا بجناس من القرآن ثم من كلام المصطفى ﷺ ، ثم من أقوال العرب ثم من أشعار المتقدمين ثم المحدثين ، ويتعرض العسكري للجناس الناقص لاختلاف ترتيب الحروف ، ويصفه بأنه « متجانس الحروف » إلا أن فى حروفه تقدما وتأخيرا كقول أبى تمام :

(١) انظر — النكت فى إعجاز القرآن — ص ٩١ تحقيق د. محمد زغلول سلام ط دار المعارف .

(٢) يصف قوما بالهزم .

بيض الصفائح لاسود الصفائح في . . متونهن جلاء الشك والريب
أما الناقص لاختلاف عدد الحروف ، فقد وصفه بأنه « يخالف ما تقدم
بزيادة حرف أو نقصانه » ، وفي أمثله يضم إليه الجنس الناقص لاختلاف نوع
الحروف ومثال اختلاف العدد ، قوله من شعره :

عذيري من دهر موارٍ موارٍ . . له حسنات كلهن ذنوب
ومثال النقص لاختلاف النوع : قول الشاعر :

مطاعين في الهيجاء . . مطاعين في القرى
وبالرغم من أن أبا هلال — وهو مصدر هام لكل من أتى بعده من
البلاغيين — لم يتوقف عند الجنس الناقص لاختلاف هيئة حروف الكلمتين
المتجانستين ، إلا أنه أتى بشاهدين له ، أحدهما شاهد على الجيد من التجنيس
والآخر شاهد على المعيب منه .

والجيد ، قول طرفة :

بحسام سيفك أو لسانك . . والكلم الأصيل كأزغب الكلم^(١)
ويضيف ابن رشيق القيرواني (ت ٤٥٦ هـ) مزيداً من المصطلحات في
الجناس ، منها المماثل :

وهو أن تكون اللفظة واحدة باختلاف المعنى ، نحو قول زياد الأعجم ، وقيل
الصلتان ، يرثي المغيرة بن المهلب^(٢) .

فأنع المغيرة للمغيرة إذ بدت . . شعواء مشعلة كنبج النابج
فالمغيرة الأولى : رجل ، والمغيرة الثانية : الفرس ، وهي ثانية الخيل التي تُغير .
ومنها : التجنيس المحقق : وهو ما اتفقت فيه الحروف دون الوزن — رجع إلى
الاشتقاق أو لم يرجع ، نحو قول أحد بني عبس :

(١) الصناعتين — أبو هلال العسكري — ٣٣٦ تحقيق على محمد البجاوي — الحلبي .
(٢) المغيرة بن المهلب — (ت ٨٢ هـ) — أمير شجاع استخلفه أبوه على خرسان فمات فيها .

وَذَلِكُمْ أَنْ ذُلَّ الْجَارُ خَالَفَكُمْ . . . وَأَنَّ أَتْفَكُمْ لَمْ يَعْرِفَ . الْأَتْفَا
فاتفت « الأتف » مع « الأتف » في جميع حروفها دون البناء . ورجعا إلى
أصل واحد .

ومنها : التجنيس المضارع : وهو على ضربين كثيرة ، منها أن تزيد الحروف
وتنقص ... ، ومنها أن تتقدم الحروف وتتأخر ... ، ومنها ما تتقارب مخارج
الحروف ، كقوله تعالى « وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ » [الأنعام — ٢٦]^(١)

ويضيف أن من الجناس : الجناس المنفصل ، ويقول : إنه قد أحدثه
المولدون ، مثل أبي الفتح البُستى^(٢) وأنه يظهر أيضا في الخط ، كقوله :

عَارِضَاهُ بِمَا جَنَى عَارِضَاهُ . . . أَوْ دَعَايَ أُمْتُ بِمَا أَوْدَعَايَ^(٣)

وبعد مناقشة للجرجاني والرماني فيما أطلقاه من مصطلحات وشواهد ، بما لا
طائل من ورائه — يقول : وإذا دخل التجنيس نفى عُذَّ طباقا ، وكذلك الطباق ،
يصير بالنفي تجنيساً ، أى « أن يقع في الكلام شيء مما يستعمل للضدين ،
كقولهم « جَلَلٌ » بمعنى صغير ، و « جَلَلٌ » بمعنى عظيم ، فإن باطنه مطابقة ،
وإن كان ظاهره تجنيساً ، وكذلك « الْجَوْنُ » الأبيض ، و « الْجَوْنُ » الأسود ،
وما أشبه ذلك ، وكذلك ان دخل النَّفْيُ ، كما قدمت — قال البحرى :

يُقَيِّضُ لِي مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ الْهَوَى . . . وَيَسْرِى إِلَى الشَّوْقِ مِنْ حَيْثُ أَعْلَمُ

فهذا مجانس في ظاهره ، وهو في باطنه مطابق ، لأن قوله « لا أعلم » كقوله
« أجهل »^(٤) .

(١) الآية : « ومنهم من يستمع إليك ، وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه ، وفي آذانهم وقراً ، وإن يروا كل آية لا
يؤمنوا بها ، حتى إذا جاءوك مجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين ، وهم ينهون عنه
وينأون عنه ، وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون » .

(٢) هو — على بن محمد البُستى — أبو الفتح — شاعر عصره وكاتبه ، ولد في بُست « قرب سجستان »
والإبها نسبه ، وكان من كتاب الدولة السامانية في خراسان ، وارتفعت مكانته عند الأمير سبكتكين
وتخدم ابنه ، يمين الدولة ، ثم أخرجه هذا إلى ما وراء النهر ، فمات غريبا في بلدة أوزجيد ببخارى (سنة
٤١٠ هـ) — الأعلام — ٤٢٦/٤ .

(٣) العارضان : مثني العارض ، وهو صفحة الخد ، أو جانب الوجه ، أو صفحة العنق ، وأودعاني الأولى
مكونة من « أو » + « دعاني » — أى اتركانى ، وأودعاني الأخرى من الفعل أودعَ يُودِعُ .

(٤) العمدة — ١٢/٢ و ٣٢١/١ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط بيروت الرابعة ١٩٧٢ م .

ويقف ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ) مؤيداً المصطلحات التي أتى بها الآمدي في رده على قدامة بن جعفر ، وينقل عن الرماني ما ورد عنه من مصطلحات وشواهد ، ويضيف معلومة جديدة ، أن أبا العلاء المعري — أستاذه — هو الذي أطلق مصطلح « مجانس التركيب » على « الجناس المركب من كلمتين » ، كقول أبي العلاء المعري — أحمد بن عبد الله بن سليمان :
 مَطَا ، يَا مَطَايَا وَجَدَكُنْ مَنَازِلَ . . مَنَى زَلَّ عَنْهَا لَيْسَ عَنَى بِمُقْبَلٍ^(١)
 يقول : وما أحفظ لأحد من الشعراء شيئاً من قبيله ، وهو عندي غير حسن ، ولا مختار ، ولا داخل في وصف من أوصاف الفصاحة والبلاغة^(٢) .

ومع الجرجاني — عبد القاهر (ت ٤٧١ هـ) ، تخف زحمة المصطلحات ويرتفع لواء الفن ، فالجرجاني لم يقسم ، ولم يبحث عن شاهد لمصطلح ، ولا عن مصطلح لشاهد واحد ، إنما كان همه أن يقول : « وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيساً مقبولاً ولا سجعاً حسناً ، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه ، وحتى تجده لا يبتغي به بدلاً ، ولا تجد عنه حولا ، ومن ههنا كان أحلى تجنيس تسمعه ، وأعلاه ، وأحقه بالحسن وأولاه . ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه ، وتأهب لطلبه ، أو ما هو لحسن ملاءمته — وإن كان مطلوباً — بهذه المنزلة^(٣) .

ويلج الجرجاني على قيمة « وفاء الجناس للمعنى » ، كما فعل مع السجع ، يقول : واعلم أن النكتة التي ذكرتها في التجنيس ، وجعلتها العلة في استيعابها الفضيلة ، وهي حسن الإفادة . مع أن الصورة بصورة التكرار والإعادة ، وإن كانت لا تظهر الظهور التام الذي لا يمكن دفعه إلا في المستوفى المتفق الصورة منه ، كقوله :

(١) مَطَا يَمْطُو مَطَوًّا : مَدَّ يَمُدُّ بِهِم السَّيْر ، وَمَنَازِلٌ : فاعِلٌ مَطَا ، وَمَطَايَا الْآخَرَى : مَكْرَهٌ مِنْ (هَاءٍ مِنْ مَطَا الْأَوَّلَى وَهِيَ لِلنَّدَاءِ + مَطَايَا جَمْعُ مَطِيَّةٍ) ، وَالنَّتْنَى : الْقَدَرُ ، يَقُولُ — وَاللَّهُ أَعْلَمُ — اسْتَدْعَى وَجَدَ هَذِهِ الْمَطَايَا مَنَازِلَ لِلْأَحْبَابِ زَلَّ عَنْهَا الْقَدَرُ ، أَيْ أَنَّهَا سَالِمَةٌ مِنَ الْمَصَائِبِ لِأَنَّهَا مَعْدُودَةٌ بِهِمْ ، وَلَكِنْ هَذَا الْقَدَرُ مَازَالَ يَصِيبُنِي وَلَا يَهْدِي أَنْ يَقْلَعُ عَنِّي .

(٢) سر الفصاحة — ١٩٠ تحقيق عبد المتعال الصعيدي — ط صبيح ١٩٦٩ م .

(٣) أسرار البلاغة — ٧ ، تحقيق رشيد رضا ، الطبعة السادسة ١٩٦٠ م .

ما مات من كرم الزمان فإنه . . . يحيا لدى يحيى بن عبد الله
أو المرفور ، الجارى هذا الجرى ، كقوله « أو دعانى أمت بما أودعاني » فقد^(١)
يتصور في غير ذلك من أقسامه أيضا ، مما يظهر ذاك فيه ، ما كان نحو قول أبي
تمام :
يمدون من أيّد عَوَاصِرِ عَوَاصِمِ . . . تصول بأسياف قَوَاضٍ قَوَاضِبِ^(٢)
ويقول البحتري :

لَئِنْ صَدَفَتْ عَنَّا قَرَبَتْ أَنْفُسِي . . . صَوَادٍ إِلَى تِلْكَ الْوُجُوهِ الصَّوَادِفِ^(٣)
وذلك أنك تتوهم قبل أن يرد عليك آخر الكلمة كاليم من عواصم ، والباء
من قواضب ، أنها هي التي مَضَتْ ، وقد أرادت أن تجيعك ثانية ، وتعود إليك
مؤكدّة ، حتى إذا تمكن من نفسك تمامها ، ووعى سمعك آخرها ، انصرفت عن
ظنك الأول ، وزُلتَ عن الذي سبق من التخيل ، وفي ذلك ما ذكرت لك من
طلوع الفائدة ، بعد أن يخالطك اليأس منها ، وحصول الريح بعد أن تُغَالَطَ فيه ،
حتى ترى أنه رأس المال^(٤) .

وكان الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) يلح على أن صورة الجناس المطبوع ، قد وردت
كثيراً في القرآن الكريم ، كقوله تعالى « وقال يا أسفاً على يوسف »^(٥) .
(١) فقد ، جواب — وإن كانت لا تظهر الظهور التام .

(٢) عواص : جمع عاصية من العصيان ، وعواصم جمع عاصمة من العصمة ، أى عاصيات على الأعداء .
عاصمات للأولياء ، وقواض جمع قاضية من القضاء وهو الإهلاك ، وقواضب : جمع قاضية من
القضب وهو القطع ، أى مهلكة قاطعة .

(٣) صدف عنه : أعرض عنه ، وصواد : جمع صادية من الصدى : أى العطش .
(٤) أسرار البلاغة — ١١ و ١٢ ، يشير الدكتور إبراهيم سلامة إلى أن « أرسطو » في الفصل الحادى عشر
من الكتاب الثالث في الخطابة فكر في الجناس حيث يقول « إن معظم النكت البلاغية التى نلمحها
فى الصورة والنقل ، بلاغتها فى المماثلة التى يلجأ إليها الأديب ، فإذا انتظرنا من الأديب معنى فحاصلنا
عليه لىأتى بمعنى آخر مضاد له ، تأثرنا به ، وتأثرنا بكلامه أكثر من غيره ، وكأننا من أثر هذه الدهشة
وتلك المماثلة نقول : « ما أحق ما يقول ، وما أصدق ، إننا نحن الذين أخطأنا الفهم لا الأديب » ثم
يقابل د. سلامة بين هذه الفقرة وبين ما قال عبد القاهر فى سر جمال التجنيس — بلاغة أرسطو عند
العرب — ص ١٤ .

(٥) والآية « وتولى عنهم » ، وقال يا أسفاً على يوسف . وأَبْطِشَتْ عيناه من الحزن فهو كظيم » وانظر
الكشاف للزمخشري ٣٣٨/٢ ط دار المعرفة — بيروت — وسأعتمد على هذه الطبعة فى بحثى هنا .

ونحو « أَثَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا »^(١) و « وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ »^(٢) و « وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا »^(٣) وفي قوله تعالى « من سَبَأٍ بَنِيًّا يَقِينٌ »^(٤) يقول : وقوله من سبأ بنياً من جنس الكلام الذى سماه المحدثون « البديع » ، وهو من محاسن الكلام ، الذى يتعلق باللفظ بشرط أن يجىء مطبوعاً ، أو يضعه عالم بجوهر الكلام ، يحفظ معه صحة المعنى وسداده ، ولقد جاء ههنا زائداً على الصحة فَحَسِّنْ ، وَبَدِّعْ ، لفظاً ومعنى ، ألا ترى أنه لو وضع مكان « بَنِيًّا » بخبر ، لكان المعنى صحيحاً ، وهو كما جاء لما فى النبأ من الزيادة التى يطابقها وصف الحال^(٥) .

ويقسّم أسامة بن منقذ (ت ٥٨٣ هـ) درسه للجناس قِسْمَةً لغوية ، فالتجنيس المغاير : هو أن تكون الكلمتان اسماً وفعلاً . مثل قوله تعالى حكاية عن بلقيس^(٦) « وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ »^(٧) ، والمماثل : هو أن تكون الكلمتان اسمين أو فعلين ، ويأتى للاسمين بشاهد قوله تعالى « وَجَنَّتِ الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ »^(٨) ، ولا يأتى بشاهد على تجنيس الفعلين سوى قوله بعض الأدباء إلى الرشيد « أَحْسِنْ لَنَا فِي النَّظَرِ كَمَا أَحْسَنَّا فِي الْإِنْتِظَارِ » ، ثم تجنيس التصريف : أن تنفرد كل كلمة من الكلمتين عن الأخرى بحرف كقوله تعالى « وَيَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا » ، بينما جعل من شواهد تجنيس التصحييف الذى هو : أن تكون النقط فرقاً بين كلمتين ، كقول البيهقي :

(١) التوبة — ٣٨ والآية « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ، أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ، فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ » وانظر الكشاف ١٨٩/٢ .

(٢) الأنعام — ٢٦ ، وانظر الكشاف ١٢/٢ .

(٣) الكهف — ١٠٤ ، وقبلها « هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا » والكشاف ٥٠٠/٢ .

(٤) النمل — ٢٢ والآية « فَمَكَثْ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطَّ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَأٍ بَنِيًّا يَقِينٌ » — نتحدث عما حدث بين الهدهد وسليمان عليه السلام .

(٥) الكشاف — ١٤٤/٣ .

(٦) هى ملكة اليمن — وكانت هى وقومها مجوساً يعبدون الشمس — الكشاف ١٥٠/٣ .

(٧) النمل — ٤٤ ، والآية « قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا ، قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ ، قَالَتْ : رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ، وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » النمل — ٤٤ .

(٨) الرحمن — ٥٤ ، والآية « مُتَكَبِّرِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَّائِنُهَا مِنْ اسْتَبْرَقٍ ، وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ »

ولم يكن المغتر بالله اذ سرى ليعجز والمعتز بالله طاليه

وتجنيس الترجيع : وهو أن تُرْجَعَ الكلمة بذاتها ، كما في قوله تعالى « إِنْ رَأَوْهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ » [العاديات — ١١] وتجنيس العكس : وهو أن تكون الكلمة عكس الأخرى . كما قال الله تعالى حكاية عن هارون « إِنْ خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ ، فَرَّقْتُ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ »^(١) وتجنيس التركيب : ويعرفه بأن تكون الكلمة مركبة من كلمتين ، كما قال أبو العلاء المعري ، ثم يأتي بشاهد للبستي ؟! « ناظره فيما جنى ناظره » أما المصطلح الثامن عند ابن منقذ ، فهو « تجنيس التحريف » ، وهو أن يكون الشكل فرقا بين الكلمتين ، كقول البحتري :

سَقَمَ دُونَ أَغْيَيْنَ ذَاتِ سَقَمٍ وَعَذَابٌ مِنَ الثَّنَائِيَا الْعَذَابِ^(٢)

إذن ، فالسكاكي وتلامذته لم يأتوا من فراغ ؟!

ويوجز فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) في كتابه « نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز » ما توصل إليه البلاغيون السابقون عليه في التقسيم ، والشواهد والتفريق بين المجانسة التامة وهي توجد عنده « اذا تساوى المفردان في أنواع الحروف وأعدادها وهيئاتها » ولم يذكر « ترتيبها »^(٣) .

ويجمع السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) مصطلحات الجناس ، ويقسمها إلى جناس تام وآخر ناقص ، وتحت الجناس الناقص يأتي بالعديد من الأنواع^(٤) .

ثم يستوى الجناس بناءً ضخماً عند القزويني (ت ٧٣٩ هـ) ذا مصطلحات راسخة محددة ، مثلاً للتقسيم المنطقي الدقيق ، مما لا يدع بعده مجالاً لاجتهاد منطيق ولا فلسفة متفلسف^(٥) .

(١) طه — ٩٤ ، والآية « قَالَ يَا ابْنَ أُمِّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي ، وَلَا بِرَأْسِي ، إِنْ خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي » .

(٢) أسامة بن منقذ — البديع ١٢ وما بعدها — تحقيق د. أحمد أحمد بدوي ود. حامد عبد الحميد ط. وزارة الثقافة والإرشاد — الحلبي القاهرة ١٩٦٠ م .

(٣) انظر ص ٢٨ وما بعدها ط الآداب والمؤيد ، بمصر — القاهرة ١٣١٧ هـ .

(٤) السكاكي — المفتاح — ١٨١ ط التقدم العلمية — ١٣٤٨ هـ .

(٥) القزويني — الإيضاح — ٥٣٥ وما بعدها ، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي — الطبعة الخامسة — ١٩٨٠ م ، بيروت .

وقد رأى ابن الأثير (ت ٦٣٨ هـ) أن الجنس التام ، هو الجنس الحقيقي وهو اللفظ المشترك ، وما عداه فليس من التجنيس الحقيقي في شيء ، ويكون الجنس غير التام تسمية بالمشابهة . لا لأنها دالة على حقيقة المسمى بعينه ، لذا ، يجعل الجنس التام قسماً قائماً بذاته ، وغير التام يقسمه إلى ستة أقسام ، ولم يهتم ابن الأثير بالمصطلحات بقدر ما اهتم بالشواهد الأدبية العديدة ، تلك التي استقاها من كتب السابقين ، ثم أضاف إليها ما جادت به قريحته من رسائل^(١) .

وأياً ما كان الأمر فغلبة الروح الأدبية على درس ابن الأثير أوضح منها بكثير عن المدرسة المشرقية التي أنجبت الرازي والسكاكي والقزويني ... الخ .

ولا جديد عند ابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤ هـ)^(٢) ولا ابن الزملكاني (ت ٦٥١ هـ)^(٣) ولا الطوفي (ت ٧١٦ هـ)^(٤) ولا الجرجاني (محمد بن علي) (ت ٧٢٩ هـ)^(٥) ولا ابن الأثير (نجم الدين أحمد بن إسماعيل) (ت ٧٣٧ هـ)^(٦) ...

ثانياً : مصطلح الجنس « التام والناقص »

من واقع هذا التراث الجليل الذي سبق أن عرضت لمعظم ما ورد فيه ، ألاحظ ملاحظاتي ، وألقتُ تصوري لمفهوم الجنس تماماً وناقصاً .

قالوا : « الجنس » ويقال له « المجانسة » و « التجانس » و « التجنيس » و « الأجناس » كما عرفه ابن المعتز — « أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام ، ومجانستها لها ، أن تشبهها في تأليف حرفها » ويكمل قدامة رسم الحدود « أن تكون في الشعر معانٍ متغايرة ، قد اشتركت في لفظة واحدة ،

(١) ابن الأثير — المثل السائر — ٣٤٢/١ وما بعدها تحقيق الحوفي وطباعة .

(٢) ابن أبي الإصبع — بديع القرآن ١٠٢ — تحقيق د. حفي شرف ، ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة ١١٨٣ هـ .

(٣) ابن الزملكاني — التبيان في علم البيان — ١٦٦ وما بعدها ، تحقيق د. أحمد مطلوب ود. خديجة الخديشي ، ط بغداد مطبعة العاني ١٩٦٤ م .

(٤) الطوفي — الإكسير — ٣١٥ وما بعدها تحقيق د. عبد القادر حسين ، نشر مكتبة الآداب بالقاهرة .

(٥) الجرجاني — الإشارات والتنبيهات — ٢٨٩ وما بعدها د. عبد القادر حسين ط دار نهضة مصر .

(٦) ابن الأثير — جوهر الكنز — ٩١ وما بعدها تحقيق د. محمد زغلول سلام ط منشأة المعارف بالإسكندرية .

والألفاظ متجانسة مشتقة » ، ويضم الرمانى التعريفين فى تعريف واحد « إنه بيان المعانى بأنواع من الكلام يجمعها أصل واحد » — اذن ، فالجناس التام جزء من « المشترك اللفظى » ماعدا جناس التركيب « لا جَامَ لَنَا » و « جَامَلْنَا » مثلاً . يقول السيوطى (ت ٩١١ هـ) « من الألفاظ المشتركة فى معانٍ كثيرة ، لفظ « ع ي ن » ، قال الأصمعى (ت ٢١٦ هـ) فى كتاب « الأجناس » « العين : النقد من الدراهم والدنانير ، ليس بعرض ، والعين : مطر أيام لا يُقْلَع ، يقال : أصاب أرض بنى فلان عين ، والعين : عين الانسان التى ينظر بها ، والعين : عين البئر ، وهو تخرج مائها ، والعين : القناة التى تعمل حتى يظهر مائها ، والعين ... ، والعين ... ، والعين ... ، الخ »^(١) وكتاب « الأجناس » هذا ، قد اعتمد عليه ابن المعتز فى درسه للجناس ، وكذا أبو الهلال العسكرى وغيرهما بطبيعة الحال ، ومن أجل تطبيق ما ورد فيه هاجم أبو هلال العسكرى أن يكون بين الكلمتين (الآمر والأمير) جناس ، فهما اشتقاق أصغر .

ويبقى مصطلح « المشترك اللفظى » فى علم اللغة ، وتختص البلاغة بمصطلح « الأجناس » أو « الجناس » ، وهو بمفهومه البلاغى صار فرعاً من المشترك اللفظى بعد أن كان هو والمشارك اللفظى شيئاً واحداً^(٢) .

وإذا كان الجناس التام أخص من المشترك اللفظى ، فالجناس الناقص أعم من « الاشتقاق الصغير »^(٣) لأنه يشغل من الجناس ، مساحة الاختلاف بين اللفظين فى العدد والهيئة والترتيب ، ما عدا الاختلاف فى نوع الحروف .

(١) السيوطى — المزهرة — ٣٧٢/١ تحقيق محمد أحمد جاد المولى والبجاوى وأبو الفضل إبراهيم ط الحلبى .
(٢) المشترك اللفظى هو موضوع كتب « ما اتفق لفظه واختلف معناه » انظر ما كتبه المبرد (ت ٢٨٥ هـ) فى كتابه « ما اتفق لفظه واختلف معناه » ص ٢ وما بعدها ، تحقيق عبد العزيز الراجكوتى ط السلفية مصر ١٣٥٠ هـ — ومن قبله سيبويه فى الكتاب ٢٤/١ تحقيق عبد السلام هارون ، ط الثانية ١٩٧٧ م — ثم ما جاء فى كتاب « الأجناس » لأبى عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤) — انظره فى كتاب « أثر القرآن فى تطور النقد العربى » — ١٩١ ط دار المعارف — الثالثة — للدكتور محمد زغلول سلام — وأبو العميل الأعراى (ت ٢٤٠) فى كتابه « ما اتفق لفظه واختلف معناه » ص ٨ وما بعدها نشر كركوك — ١٩٢٥ م .

(٣) يقول ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) عن الاشتقاق الذى قسمه إلى ضربين الصغير والكبير « ... فالصغير ما فى أبهى الناس وكتبهم ، كأن تأخذ أصلاً من الأصول فتتفرعاً ، فتجمع بين معانيه ، وإن اختلفت »

وقد ربط البلاغيون بين الجناس والاشتقاق الأصغر ، في قوله تعالى « فأقم وجهك للدين القيم (الروم — ٤٣) » ، لأن اللفظين يجمعهما اشتقاق واحد ، فهما من مادة « ق و م » بل ، وربطوا بين الجناس وبين ما يشبه الاشتقاق وليس منه ! كقوله تعالى « اثاقلتم إلى الأرض ، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة » (التوبة — ٣٨) .

وهكذا سيطرت أفكار اللغويين على المباحث البلاغية وَوَجَّهَتْهَا غير وجهتها ، فاختلطت الأمور .

ومصطلح الجناس في رأيي ، مقطعان صوتيان مُتَّفَقَان في الإيقاع مختلفان في المدلول « ؛ « لفظان متحدان في الشكل مختلفان في المضمون » ، واتفاق الإيقاع يعني أن عدد الحروف ونوعها وهيئتها وترتيبها متماثل . وهذا هو الجناس التام .

أما الجناس الناقص : فهو : « مقطعان صوتيان مختلفان في الإيقاع مختلفان في المدلول » وعدم التماثل يعني : اختلافاً في عدد الحروف ، أو نوعها أو هيئتها أو ترتيبها، ونرى أنفسنا من شجرة المصطلحات بأغصانها العجفاء . ولا يبقى لدينا إلا جناسان : تام أو ناقص .

ونستطيع أن نترجم اختلاف الجناس الناقص عن الجناس التام بأحوال طرأت على الإيقاع التام الذي هو خصيصة الجناس التام .

فنرى أن اختلاف عدد الحروف — يؤدي إلى اختلاف زمن الإيقاع بين المقطعين الصوتيين ،

== صيغة ومبانيه ، وذلك كتركيب « س ل م » فإنك تأخذ منه معنى السلامة أطلق تفاقلاً بالسلامة — وعلى ذلك بقية الباب إذا تأولته ، وبقية الأصول غيره ... وأما الاشتقاق الأكبر . فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية ، فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً ، تجتمع التراكيب الستة ، وما يتصرف من كل واحد منها عليه ... فمن ذلك « ج ب ر » ، فهي أين وقعت للقوة والشدة ، منها « جبر » العظم والفقير إذا قويتهما ، وشددت منهما ، و « الجبر » الملك لقوته وتقويته لغيره ... الخ — الخصائص — ١٣٣/٢ وما بعدها تحقيق محمد علي النجار — الطبعة الثانية .

فتكون الكلمة الأولى أقصر زمنا في نطقها من الأخرى ، مثل « الجوى » أو « الجوانح » أو « إن » « رهم » « بهم » « يومئذٍ لخير » ، وقد يكون العكس ، تكون الكلمة الأولى أطول زمنا — في نطقها من الأخرى مثل قوله تعالى « وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ » [القصص — ٤٥] .

واختلاف نوع الحروف يؤدي إلى اختلاف مسافة الإيقاع :

بأن تكون الكلمة الأولى أبعد من الثانية في مخارج حروفها ، أو أقرب ، مثل « يَنْهَوْنَ » و « يَنْأَوْنَ » ، أو « دَامِس » و « طَامِس » .

واختلاف هيئة الحروف يؤدي إلى اختلاف درجة الإيقاع :

بأن تكون الكلمة الأولى أقوى في مخارج حروفها أو أضعف من الكلمة الأخرى ، مثل « البدعة شَرَكُ الشَّرَك » و « الكَلَمُ » و « الكَلِمُ » .

واختلاف ترتيب الحروف يؤدي إلى اختلاف مواقع الإيقاع :

حروف الكلمة الأولى عكس مواقع الكلمة الأولى مثل « حَتَفَ » و « فَتَحَ » ، أو مختلفة عنها مثل « مَلَسَ » « لَمَسَ » وهكذا ...

وهذا بالنسبة لإيقاع الكلمتين ، وثُمَّ إيقاع آخر هو إيقاع بقية الكلمات في السياق الواحد ، ودور الكلمتين المتجانستين مع بقية الكلمات لا يقل أهمية عن دور توافر الجناس بينهما .

وإذا لم يكن المعنى قد استدعى الإيقاع ، ولم يكن الإيقاع وليد المعنى ، فلا خير في هذا الجناس ، بين الكلمتين منفردتين أو في سياق .

ثالثا : اختلاف المعنى بين المتجانسين :

قلنا إن الجناس « اتفاق مقطعين صوتيين في الإيقاع واختلافهما في المعنى » وأريد هنا أن أوضح أن اختلاف المعنى هنا يجب ألا يتقيد بحدود لغوية أو ضوابط ، و « أمر » و « أمير » جناس ، و « ظالم » و « مظلوم » جناس ، وكل ما نطلبه من اللفظة الثانية أن تضيف معنى جديداً للفظة الأولى ، وإذا تحققت هذه

الإضافة المعنوية ، تحقق شرط « الاختلاف في المعنى » . فمثلاً في بيت العجير السلولى^(١) الذى يقول فيه :

يَسْرُكُ مَظْلُوماً وَيَرْضِيكَ ظالماً وَكُلُّ الذى حَمَلْتُهُ فهو حامله
فالممدوح يعفو مظلوماً فيسرك ، ويقسو متجبراً ، فيرضيك ، وهو جواد
سخى ، قد جمع بين متناقضين ، جمع إلى العفو التسامح ، وإلى العنف التساهل ،
هو شخصية متوازنة ، كل من قصده يمجده عنده ما يريد ، ويحمل عنه ما ينوؤه ،
إذن ، لفظة « ظالماً » هنا أضافت معنى خارجاً عن المعنى الأول .

وخذ قول جلييلة بنت مُرَّة^(٢)

إِنِّى قَاتِلَةٌ مَقْتُولَةٌ وَلَعَلَّ الله أن يَرْتاحَ لى
و « مقتولة » هنا أضافت جديداً إلى معنى لفظ « قاتلة » معنى خارجاً عنه .
مختلفاً اختلافاً بَيِّناً ، فهى أخت القاتل وزوج القاتل .

أما إذا كانت الكلمة الثانية لا تفيد إلا التوكيد ، فيخرج هذا من إطار
الاختلاف في المعنى ، لأن المعنى الأول لم يُضَفْ إليه شيء ، بقدر ما تأكد
حدوثه ، وتعمق أثره ، كقول الله تعالى « وَكَلَّمَ الله موسى تَكْلِيماً » [النساء —
١٦٤] وقوله تعالى « فلا وَرَبِّكَ لا يؤمنون حتى يُحَكِّمُوكَ فيما شَجَرَ بينهم ثم لا
يَجِدُوا فى أنفسهم حَرْجاً مما قَضَيْتَ ، وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً » [النساء — ٦٥] وقوله
تعالى « إن الله وَمَلَائِكَتُهُ يُصَلُّونَ على النبى يا أيها الذين آمنوا صَلُّوا عليه وَسَلِّمُوا
تَسْلِيماً » [الأحزاب — ٥٦] .

فَكَلَّمَ تَكْلِيماً ، وَسَلَّم تَسْلِيماً ، ليست جناساً إنما هى توكيد مطلق ، لا

(١) العجير السلولى (ت ٩٠ هـ) من شعراء الدولة الأموية ، كان فى أيام عبد الملك بن مروان ، وكان جواداً
كرهما ، عُثِدَ ابن سلام فى شعراء الطبقة الخامسة من الإسلاميين — الأعلام للزركلى ٢١٧/٤ وما به من
مصادر .

(٢) هى جلييلة بنت مُرَّة البكرية ، زوج كليب سيد ربيعة وأخت جساس الذى قتله ، وكان شاعرة
فصيحة ، ولكن ما وصل إلينا من شعرها قليل ، وفى هذا البيت تركز مشكلتها التى لا تحل لها إلا عند
الله وحده ، بعد مصرع زوجها على يد أخيها — انظر الروائع من الأدب العربى — ٩٢/١ بإشراف د.
يوسف خليف ، الطبعة العامة المصرية ١٩٨٣ م .

تخصيص فيه يخرج من إطار العموم ويحدد معاملة ، ومثله قول المهلهل ابن ربيعة^(١) .

يَا أَيُّهَا الْجَانِي عَلَى قَوْمِهِ . . . جِنَايَةٌ لَيْسَ لَهَا بِالْمُطِيقِ
فلفظ « الجاني » تتضمن معنى إحداث الجناية ، فلا تكون « جناية » جناساً ناقصاً إنما هي توكيد .

ويختلف الأمر حين يكون المصدر مُبَيَّنّاً للنوع ، لنوع الفعل ، فيكون جناساً كقوله تعالى « وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذِيرُ ، كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذْنَاهُمُ أَخَذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ » [القمر — ٤٢] ، فأخذ العزيز المقتدر غير أخذ الدليل المُحَقِّق ، وأخذ العلوي القدير غير أخذ البشر ، لذا أضافت « أَخَذَ » الثانية معنى جديداً لـ « أَخَذْنَاهُمْ » الأولى . معنى كانت بحاجة إليه لتأخذ شكلها الطبيعي الذي حدثت به ، فلم يكن أخذاً مطلقاً بأية درجة ، وبأية وسيلة ، وبلا هدف ، إنما كان أخذاً صادراً من الرب تعالى ، ويعنف يناسب الكفر من آل فرعون ، ولهدف يستحقون أن ينالوه من أجل جبروتهم .

ومثله قوله امرئ القيس :

إِذَا مَا الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ . . . تَعَرَّضَ أَثْنَاءُ^(٢) الْوِشَاحِ الْمُفَصَّلِ

فالثريا : كواكب تظهر بعد انتصاف الليل ، ويعلن تعرضها عن اقتراب الفجر ، وتعرضت : صارت مُسْتَعْرِضَةً قبل أفوها ، وأثناء الوشاح المُفَصَّل : أي أثناء « الشال » الذي تطرحه المرأة على كتفها ، وقد ازدان بالجواهر ، فالمصدر هنا جاء مبيّناً للنوع ، مُكوّناً إضافة جديدة لحدث الاستعراض ، بأن أخرجته من العموم إلى الخصوص ، من عموم الوشاح « أَيُّ وشاح » إلى خصوص الوشاح « المزدان بالجواهر » .

(١) المهلهل ، عَدِيّ بن ربيعة ، وهو أخو كليب سيد ربيعة بعد أبيه ، وقد قتله جساس البكري الذي غضب لإهانة لحقت بخالته البسوس حين رمى كليب ناقة لها بسهم أصابها فقتلها ، ومن هنا دارت حرب البسوس بين قبيلتي بكر وتغلب ، وهنا يخاطب المهلهل جساساً بأنه أطلق شرارة ليس في مقدوره أن يتحمل نتائجها .

(٢) أَثْنَاءُ — جمع « ثُنَى » وهو ثنى من التوب وكف من أطرافه .

أُترانا بعد هذا نقبل قول العسكري « ... ومن جَنَسَ تجنيسين في بيت زهير في قوله :

بعزمة مأمور مطيع وأمر . . . مُطَاع فلا يُلْفَى لحزمهم ومثل
وليس المأمور والآمر ، والمطيع والمطاع من الجناس ، لأن الاختلاف بين هذه
الكلمات لأجل أن بعضها فاعل ، وبعضها مفعول به ، وأصلها إنما هو الأمر
والطاعة ، وكتاب الأجناس الذي جعلوه لهذا الباب مثالا لم يُصَنَّف على هذا
السييل ،...، وجعلوا أيضا من التجنيس قول العجير السلولي :

يَسْرُكُ مَظْلُوما ويرضيك ظالما . . . وكل الذي حَمَلْتُهُ فهو حامله
...، ليس في هذه الألفاظ تجنيس ، وإنما اختلفت هذه الكلمة للتصريف^(١)
لا نستطيع أن نقبل هذا الرأي على إطلاقه ، والأمر موكول بالإضافة التي يأتي بها
المعنى الثاني ، وإذا تعذرت فلا جناس ثم .

ولا يظهر الأمر جلليا إلا حينما نضع البيت في مكانه من القصيدة ، لتذوق أثر
الجناس في المعنى ، وفي الأقل نضعه بجوار أقرب جيرانه لِنُجَسَّ إحساساً أقرب ،
وليكن ذلك في أبيات امرئ القيس التي يقول فيها :

فقلت : سَبَّكَ اللَّهُ إِنَّكَ فَاضِحِي . . . أَلَسْتُ تَرَى السُّمَارَ وَالنَّاسَ أَحْوَالي
فقلت : يَمِينُ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا . . . وَلَوْ قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي
حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ حَلْفَةً فَاجِرٍ . . . لَنَامُوا، فَمَا إِنِّ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالِي^(٢)

فالليل الدامس ، والأصوات الطارقة من بعيد ، والظلمة المهيمنة ، والحوار
الذي يدور همساً بين امرئ القيس وصاحبه ، كل منهما له رغبة عارمة في
صاحبه ، لكنها تخاف السُّمَارَ والقيل والقال ، وهو لا يخاف. مما تخاف ، إنما
يخاف أن تفر حماسها ، وتضيق منه بهجة الرغبة ، وبين الشد والجذب ، والدفع
والمنع ، تطلب منه أن يرى ما شأن السُّمَار ؟ هل ناموا ؟ ، فيتلصص امرؤ القيس

(١) الصناعتين — ٣٣٠ .

(٢) سبَّكَ الله : صيغة دعاء لا تؤدي معناها الحقيقي ، أبرح . قاعداً ، أظل قاعداً والصال : الذي
يصطفى بالنار ، يستدق بها .

فيراھم قاعدين ، فماذا يفعل ؟ ماذا يفعل ؟ فليحلف حَلْفَ فاجر أنهم قد ناموا — . حلف لها بالله فصدقت ، و « حلفة فاجر » أضافت للحَلِف بالله معنى حين صورت الصراع الذى نهش قلب امرئ القيس حين وجد السُّمَّار قاعدين ، إن هذه الحَلْفَةُ قد غيَّرت مجرى الأحداث ... ، وأعطتنا مزيداً من الاقتراب من الصورة وبطلانها ، اذن فالمعنى مختلف ، فكان الجنس بين « حَلَفْتُ ... حَلْفَ فاجر » وكان ناقصاً لأن الایقاعين مختلفان والمعنيين مختلفان أيضاً .

رابعا : الحقيقة والمجاز بين المتجانسين :

قد يكون ركننا الجنس معنيين حقيقيين ، وقد يكون أحدهما مجازاً والآخر حقيقى ، وهذا مما يترك أثره فى تصوير المعنى ، وعمقه فى رسم خطوطه فمن الجنس التام ذى الطرفين الحقيقيين ، قول أبى تمام :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ . . . فى حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ

فالحد الأولى ، حدُّ السيف ، والحد الثانية : الفصل والقطع ، والكلمتان حقيقتان فى استعمالهما .

والجناس هنا تام حقيقى الطرفين .

أما حين يقول مسلم بن الوليد :

تَبَسَّمَ عَنْ مِثْلِ الْأَقَاحِيِّ تَبَسَّمَتْ . . . لَهُ مُزْنَةٌ صِيفِيَّةٌ فَتَبَسَّمَ

فـ « تبسم » الأولى حقيقية ، لصاحبه .

و « تبسم » الأخرى ، للمزنة ، وهى « السحابة الممتلئة ماءً ، وتبسمها هطول مائها على سبيل الاستعارة المكنية ، ويكون الجنس تاماً بين « تَبَسَّمَ » الثانية المجازية ، و « تَبَسَّمَ » الأولى الحقيقية .

والأمثلة على هذا كثيرة فى القرآن الكريم ، ففى قوله تعالى « وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا » [الشورى — ٤٠] ^(١) و « السيئة » الأولى حقيقية ، وهى العمل المخالف

(١) والآية كاملة : « وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ، فمن عفا وأصلح فأجره على الله ، إنه لا يحب الظالمين » .

الخارج عن شرعة الله ، وهو البداية الظلمة ، والافتراء الذى يقع على المفترى عليه ، أما « سيئة » الأخرى فمجازية على سبيل الاستعارة التصريحية ، لأنها بمعنى عقاب من الله ، عقاب شديد مناسب لما اقترفوه من آثام ، ومثلها قوله تعالى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه » [البقرة — ١٩٤]^(١) وقوله تعالى « مُسْتَهْزِئُونَ اللَّهِ يُسْتَهْزِئُ بِهِمْ » [البقرة — ١٤ و ١٥]^(٢) وقوله تعالى « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين » [آل عمران — ٥٤]^(٣) — وسُمِّيَ الرمانى هذا الصنف من الجناس : جناس المزاوجة ، وقال : إنه يقع فى الجزء أى فى جواب الشرط من الجملة الشرطية ، وضرب له مثلاً آية « فمن اعتدى » وقال : « فاعتدوا عليه ، أى جازوه بما يستحق طريق العدل ، إلا أنه استعير للثنائى لفظ الاعتداء ، لتأكيد الدلالة على المساواة فى المقدار ، فجاء على مزاوجة الكلام لحسن البيان »^(٤) .

فكما يقع الجناس بين المعانى الحقيقية ويكون له جماله ، يقع فى المعانى المجازية لغرض يقصد إليه ، وهدف يسعى إلى تصويره .

خامساً : الجانب الإيقاعى بين المتجانسين :

لاحظنا أن الجانب الصوتى يكاد يكون هو الركيزة التى يعتمد عليها فن الجناس ، وما الجانب الصوتى إلا الإيقاع Rhythm ، أو النغم ، أو التردد الموسيقى ، فالكلمتان المتجانستان تجانساً تاماً ، هما فى الواقع إيقاعان موسيقيان تردداً فى مساحة البيت الشعرى أو الآية القرآنية أو الجملة النثرية البشرية ، وكذا الكلمتان المتجانستان تجانساً ناقصاً ، فالنقص فى الجناس الناقص يلبي حاجة النفس إلى الإيقاع المتباين ، كما يلبي الجناس التام حاجتها إلى الإيقاع الواحد المتكرر .

(١) والآية كاملة : « الشهر الحرام بالشهر الحرام ، والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه مثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله ، واعلموا أن الله مع المتقين » .

(٢) والآيتان : « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم وإنما نحن مستهزون ، الله يستهزئ بهم ، ويمدهم فى طغيانهم يعمهون » .

(٣) والآية بعدها : « اذ قال الله يا عيسى إني مقرر لك ورافعك إني ومطهرك من الذين كفروا وحامل الذين أثبتوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ، ثم إني مرجعكم ، فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون » .

(٤) النكت فى إعجاز القرآن — ٩١ تحقيق د. محمد زعلول سلام . دار المعارف الثالثة .

وطالما أن الإيقاع هو ركيزة فن « الجناس » والإيقاع عبارة عن « تكرار ضربة أو مجموعة من الضربات بشكل منتظم على نحو تتوقعها معه الأذن كلما آن أوانها »^(١) ، فمن الطبيعي أن يكون تردد هذا الإيقاع متتاليا متصلا حيناً ، أو متتاليا منفصلا حيناً آخر ، ومن الطبيعي أيضاً أن يكون الفصل لوجود فاصل أو فاصلين أو عدة فواصل . أى : فراغ أو فراغان أو عدة فراغات من الألفاظ التي لا تُكوّن إيقاعاً موسيقياً . ويرجع ذلك إلى المعنى الذى يريد الفنان أن يُوصّله إلى المخاطب ، والفنان بفنه وخبرته يحرك هذا الفاصل [الفراغ] فيجعله قصيراً أو طويلاً ، أو يكرر النغمة ذاتها بلا فاصل ، حسبما يريد للمعنى من إصابة المقدار المطلوب من التأثير في أذن المخاطب ونفسه وعقله .

فالشاعر الذى يقول :

حَدَقُ الْآجَالِ آجَالٌ . . . وَالْهَوَى لِلْمَرِّ قَتَالٌ^(٢)

وقد كرر إيقاع لفظ « آجال » بدون فاصل .

وكذا فعل أبو تمام فى قوله :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَتْبَاءَ مِنَ الْكُتُبِ . . . فى حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّيْبِ

ونحن لا نلتفت فى « الجناس » إلى الحيز المكاني للكلمة بقدر ما نهتم بالحيز الزماني ، فكل كلمة تستغرق عدداً من الثواني بعدد حروفها ، بحيث لو سجلنا هذا النطق على « مُسَجِّل » لعرفنا عدد الذبذبات التى نطقها الناطق ليحول هذه الحروف المكتوبة إلى أصوات منطوقة . ومن هنا يأتي أثر الإيقاع المتجانس والفراغ بين الإيقاعين إن وُجد .

انظر إلى هذا الشاعر الذى استشهد به أسامة بن منقذ ، فقد حَرَّكَ الفواصل بين الإيقاعات حركة مقصودة لخدمة المعنى .

(١) د. فؤاد زكريا - التعبير الموسيقى - ٢١ ط مكتبة مصر - الثانية ١٩٨٠ م .

(٢) البيت لأبي سعيد عيسى بن خالد الخزومي ، والحدق : واحدة حدقة ، وهى سواد العين ، والآجال الأولى جمع إجل ، وهو القطيع من بقر الوحش ، والأخرى : جمع أجل والمراد به : العمر ، انظر الإيضاح للقريني ص ٥٣٦ تحقيق خفاجي .

رُبَّ حَوْدٍ عَرَفْتُ فِي عَرَفَاتٍ . . . سَلَبْتَنِي بِحُسْنِهَا حَسَنَاتِي
وَرَمْتُ بِالْجِمَارِ جَمْرَةَ قَلْبِي . . . أَيُّ قَلْبٍ يَقْوَى عَلَى الْجَمَرَاتِ
حَرَمْتُ حِينَ أَخَرَمْتُ نَوْمَ عَيْنِي . . . وَاسْتَبَاحْتُ حِمَايَ بِاللَّحْظَاتِ
وَأَقَاضْتُ مَعَ الْحَجِيجِ قَفَاضَتَهُ . . . مِنْ دُمُوعِي سَوَابِقُ الْعَبْرَاتِ
لَمْ أَتْلُ مِنْ مِثْنَى مِثْنَى النَّفْسِ لَكِنْ . . . خِفْتُ بِالْخَيْفِ أَنْ تُكُونَ وَقَاتِي^(١)

وبالرغم من « مهارة » الشاعر في التلاعب بالألفاظ مناسك الحج وتطويعها لتجربته العاطفية بغير قليل من السطحية ، فإنه ليكفيها بيان هذه الفراغات ، ومن الممكن أن نعتبر هذا النوع من الفصل « قصير المدى » ، ذلك الذي يتكون من كلمة إلى ثلاث كلمات ، مثل قول العباسي بن الأحنف :

حَسَامُكَ فِيهِ لِلْأَحْبَابِ فَتْحٌ . . . وَرُمُحُكَ فِيهِ لِلْأَعْدَاءِ خَنْفٌ
أما « طويل المدى » فهو — في رأيي — مازاد على ثلاث كلمات ، انظر إلى قول الغزوي^(٢) :

لَوْ زَارَنَا طَيْفُ ذَاتِ الْحَالِ أَحْيَانًا . . . وَنَحْنُ فِي حُفْرِ الْأَجْدَاثِ أَحْيَانًا^(٣)
وهناك خمس فواصل ، كقول أبي الفتح البستي :

كُلُّكُمْ قَدْ أَخَذَ الْجَامَ وَلَا جَامَ لَنَا . . . مَا الَّذِي ضَرَّ مُدِيرَ الْجَامِ لَوْ جَامَنَا^(٤)

(١) الحود : حسنة الخلق ، وأفاض الناس من عرفات : تفرقوا ، وبتى الأولى موضع والأخرى جمع أمنية ، والخيف : موضع بمكة المكرمة — وانظر الأبيات في البديع في نقد الشعر — لأسامة بن منقذ — ١٤ د. بدوي ود. عبد المجيد ط الحلبي ١٩٦٠ م .

(٢) هو : محمد بن علي أبو عبد الله الغزوي (ت ٧٦١ هـ) شاعر رقيق الأسلوب أديب ، اختص بأمراء لبنان ، مصري الأصل والمولد ، نشأ بغزة ، وأقام بها مدة طويلة ، فَنَسِبَ إليها — انظر الأعلام للزركلي ٢٨٥/٦ .

(٣) أحيانا الأولى : بعض الوقت ، وأحياناً الأخرى من الإحياء ، والأجداث : المقابر مفرداً جَدَثٌ .

(٤) انظر البيت في الإيضاح للقزويني ٥٣٧ ، وتحرير التحرير لابن أبي الإصبع ١١٠ — وهذا النوع من الجناس يسميه البلاغيون المتأخرون بـ « الجناس المركب » ، وهو أن يكون كلا اللفظين أو أحدهما مركب ، وفي ذلك أوضح دليل على أن الجناس ، فن موسيقى ، يعتمد على الإيقاع الصوري للألفاظ ، بغض النظر عن الجانب الحفظي أو الحيز المكاني ، وفي هذا البيت الركيك ، كلمتا (جام) أي =

وستة فواصل ، كقول أبى تمام :

وأصبحت غُرُرُ الأيام مُشْرِقَةً .: بالنَّصْرِ تَضَحُّكُ من أَيَّامِكَ المَغْرَرِ^(١) .

وقد بلغ القرآن الكريم فى نظمه الحد الأقصى لترجيع صدى الصوت للكلمة المجنسة الأولى ، بأن أعاد صداها بعد تسعة فواصل^(٢) وذلك فى قوله تعالى « يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ، يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ » [النور — ٤٣]^(٣) .

ويجئ إلى أن الفاصل لو زاد على هذه المساحة ، لضاع الغرض من التجنيس : كقول هذا الشاعر :

قُرْبَتْ ، فَلَمْ أَرْجُ اللَّقَاءَ وَلَا أَرَى .: لَنَا حِيلَةٌ يُدْنِيكَ مِنَّا احْتِيَالُهَا
فَأَصْبَحَتْ كَالشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ ضَوْوُهَا .: قَرِيبٌ ، وَلَكِنْ أَيْنَ مِنْكَ مَنَالُهَا^(٤)

الكأس ، ر (لنا) ، وننطقهما كأنهما كلمة واحدة هكذا (جام و لنا) والأخرى كلمة (جاملنا) من الفعل — حامل مجامل — ومثل هذا قول الشاعر :

فَلَمْ تَضِجِ الْأَعَادَى قَلْدَرِ شَتَائِي .: وَلَا قَالُوا فَلَانَ قَلْدَ رَشَائِي

الأولى من (قدر + شأنا) وخففت الهمزة ، والأخرى من قد + رشائى — من رشا يرشو .

(١) الغرر الأولى : بمعنى البياض والإشراق ، والأخرى بمعنى الكرم والشرف .

(٢) عرض القرآن الكريم لمختلف أشكال الفواصل بين المتجانسين ، بلا فاصلة كقوله تعالى « إني تخشيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَآءِيلَ » [طه — ٩٤] ، وبفاصلة واحدة كقوله تعالى « ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ » [النحل — ٦٩] — وبفاصلتين ، كقوله تعالى « وَجُودٌ يَوْمَعْدَ نَاضِرٍ إِلَى رَبِّهَا لَا نَضِرُهُ » [القيامة ٢٢ و ٢٣] ، وبثلاث فواصل ، كقوله تعالى « وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ » [العاديات — ٧ و ٨] ، وبأربعة فواصل ، كقوله تعالى « وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ ، كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ » [الروم — ٥٥] وخمسة فواصل ، كقوله تعالى « ذَلِكَمِ يَمَّا كُنْتُمْ لَفَزِحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَيَمَّا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ » [غافر — ٧٥] .

(٣) والآية الكريمة كاملة « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رِكَامًا ، فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ ، وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ، فَيُصِيبُ مَنْ يَشَاءُ وَيُصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ ، يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ، يَقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ » — يزجى : يسوق ، الودق : المطر ، جبال فيها من برد : هن من برد ، الأبصار الأولى : الأنظار ، والأخرى : العقول .

(٤) البيتان فى « البديع » لأسامة بن منقذ — ٢٩ .

سادساً : الوفاء بالمعنى والإيقاع بين المتجانسين :

أراى متعجلاً فى هذا الجانب ، بالرغم من أنه موضوع التطبيق على شعر شوقى فلا بأس من عرض تطبيقى سريع إلى أن يأتى شعر شوقى^(١) .

وسندير تحليلنا حول قوله تعالى « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ، ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا ، فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ، وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ، فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ ، يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ، يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ » [النور — ٤٣] .

فالأبصار الأولى جمع « بَصَرَ » وهو النظر ، والأخرى جمع « البصر » وهو العقل ، والفهم والفقه والخبرة الفائقة ، وليست هذه هى القضية فقط ، وإنما نلاحظ أن لكل كلمة حيز مكانى تملؤه بحروفها المخطوطة ، وحيز زمانى تستغرقه بنطق هذه الحروف ووقعها على الأذن ، وحين تنتقل الكلمة إلى المستمع فالأذن ، والإحساس بوقع الحروف وعددها يقومان مقام العين فى تقدير الحيز المكانى للكلمة ، الذى لا يدرك إلا بالقراءة .

وكلمة « الأبصار » هنا تأتى بعد مَشَاهِد عديدة تستحق الرؤية والتأمل فى عجائبها ، السحاب المتدافع الذى يتجمع فيما بينه فيؤلف السحب الكثيفة المثقلة بالماء والمطر الذى ينزل فى هيئة بَرَدٍ فيه الخير بنزوله ، وفيه الشر بامتناعه ، ثم ذلك البرق ذو الضوء والذى يخطف الأبصار — كل ذلك يحتاج إلى الإبصار ، إلى الرؤية الواعية ، والتعجب من قدرة الخلاق العظيم ، ثم يأتى الليل والنهار ، وكيف أنهما عبرة وعظة ، لمن كان له عقل يعى ولب يقظ ، إذن المشاهد المتعجبة ، أو البصر المتأمل ، وهنا وردت الكلمتان ، لتبادلا المواقع ، الذى يشاهد عليه أن يفكر فيما يشاهد ، والذى يفكر عليه أن يشاهد ما يعينه على فكره ، ومن هنا وردت الكلمتان المتفتحتان فى الإيقاع الصوتى التام ، المختلفتان فى المعنى ، المرتبطتان فى الإطار العام بالسياق ، وذلك لغرض إتمام المعنى ، وإضفاء الجمال الموسيقى النابع من ترديد نغمة « الأبصار » مرتين بينهما أطول فاصل يمكن

(١) انظر كتاب « البديع فى شعر شوقى » ط منشأة المعارف بالإسكندرية — ١٩٨٦ م .

أن يقع بين متجانسين ، حتى يتيح للمستمع أن يجول بفكره ونظره فيما حوله متأملاً متعجباً ، على ألا يطول التأمل فيكون بلا فائدة ، إنما العبرة بالنتيجة . ولذا بُدِئَ أولاً بالأبصار ، لعامة المبصرين ثم تُنِّي بالأبصار لخاصة المفكرين . وخذ مثلاً آخر ، قوله تعالى « وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ » [الروم — ٥٥] .

فالساعة الأولى معناها القيامة ، والساعة الأخرى معناها الوقت القصير . ونلاحظ أن « الساعة » الأولى بإيقاع السين الممدودة والعين المفتوحة والتاء المربوطة ، واختيارها معنى ليوم القيامة ، تدل على دقة مجيئها ، ودقة حسابها ، وانضباط وقتها ، كل هذا لا يدوم طويلاً ، لأن النعمة نَفْسَهَا ستكرر ، ولكن بمعنى آخر ، بمعنى الساعة الزمنية ، استعارة تصريحية لقصر الوقت ، كأنهم لم يعيشوا في الدنيا غير ساعة من زمن ، ولا بَقُوا في القبر غير ساعة من زمن ، إنما جاء لإحساسهم بقصر الوقت تعبيراً عن هول المفاجأة ، لذا لم تكن لفظة أخرى بقيادة على إعطاء هذا الإحساس أكثر من كلمة « الساعة » ، وهنا وجب التجانس التام ، بين المعنى والنغم ، لا لزر كشة ولا لتزيين ، أو تحسين ، إنما وفاء للمعنى ودقة في الأداء ، وتصويراً للمفاجأة ، ومدى وقعها على هؤلاء المجرمين ، « وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ » ، سنلاحظ أن لفظ « ساعة » قد تبلور في حرف « السين » التي لا تختفى نغمتها بل تستمر في « يُقْسِمُ » وتختفى من « المجرمون » لتظهر بحرف قريب في « لَبِثُوا » وتختفى في « غير » لتعود قوية واضحة جلية في « السَّاعَةُ » ثانية .

وفي الجناس الناقص ، نجد قوله تعالى « وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ » [الأنعام — ٢٦] .

حكى القرطبي في تفسير هذه الآية : أن النهى هو الزجر ، والنأى : البعد ذلك عن ابن عباس والحسن ، وقيل : وهو خاص بأبي طالب ينهى الكفار عن أذية محمد ﷺ ، ويتباعد عن الإيمان ، عن ابن عباس أيضاً ، وروى أهل السير ، قال : كان النبي ﷺ قد خرج إلى الكعبة يوماً ، وأراد أن يصلي ، فلما دخل في الصلاة ، قال أبو جهل — لعنه الله — : « من يقوم إلى هذا الرجل

يفسد عليه صلاته ، فقام ابن الزبير ، فأخذ قرئاً ودماً ، فلطخ به وجه النبي ﷺ ، فانفتل النبي ﷺ من صلاته ، ثم أتى أبا طالب عمه فقال : يا عمّ ألا ترى إلى ما فعل بي ؟ فقال أبو طالب : من فعل هذا بك ؟ فقال النبي ﷺ : عبد الله بن الزبير ، فقام أبو طالب ووضع سيفه على عاتقه ومشى معه حتى أتى القوم ، فلما رأوا أبا طالب قد أقبل جعل القوم ينهضون ، فقال أبو طالب : والله لئن قام رجل لجللته بسيفي ، فقعدوا حتى دنا إليهم ، فقال : يا بني من الفاعل بك هذا ؟ فقال : عبد الله بن الزبير ، فأخذ أبو طالب قرئاً ودماً فلطخ به وجوههم ولحاهم وثيابهم وأساء القول لهم ، فنزلت هذه الآية « وهم يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ » فقال النبي ﷺ : يا عمّ ، نزلت فيك آية ، قال : وما هي ؟ قال : تمنع قريباً أن تؤذيني ، وتأبى أن تؤمن بي ، فقال أبو طالب : والله لن يصلوا إليك بجمعهم .: حَتَّى . أَوْسَدَ فِي التُّرَابِ دَفِيناً ... الخ^(١)

والجناس في هذه الآية الكريمة بين « ينهون وينأون » ، وهما مقطعان صوتيان غير تامين ، ومختلفان في المعنى ، ونلاحظ أن الجار والمجرور المتعلق بالفعلين واحد ، وهو « عنه » ، أي أن الرسول ﷺ يحدث له النهي عنه ، والنأى عنه ، والنهي أمر بالابتعاد بالقول ، والنأى ابتعاد بالفعل والجسد ، والنهي أمر يصدر إلى الآخرين من الكفار ، والنأى أمر يصدر من الكفار إلى أنفسهم ، والنهي قول بلا قدرة ، والنأى قدوة احتوت قولاً ، وإيقاع النهي قريب جداً من النأى ، لأنهما كانا يحدثان في وقت واحد ، وهما مصدر النهي والنأى ، وهو صلوات الله عليه وسلامه — مصب النهي والنأى ، لذا جاء الإيقاع قريباً ، وتجاو الاختلاف في حرفين يخرجان من الحنجرة ، وكأنهما فعلاً يصدران عن شيء واحد ، كما يصدر النهي والنأى عن أبي طالب وأمثاله ، ثم يكون النهي أخص من النأى ، لأن قول بلا فعل ، ويأتى النأى أعم لأنه فعل يترجم قولاً ، ونلاحظ أن الجملة الأولى قد اشتملت على المسند إليه « هم » والمسند « ينهون » و القيد « عنه » ، بينما حذف المسند إليه من الجملة الأخرى ، وبقي المسند « ينأون » وبقي القيد « عنه » لأنه

(١) تفسير القرطبي ص ٢٤٠٢ وما بعدها . ط دار الشعب .

صلوات الله عليه وسلامه ، أهم منهم وأجل ، ثم نلاحظ « الازدواج » أى اتفاق
إيقاع جملتين متتاليتين ، « ينهون عنه » و « ينأون عنه » ، واتحاد الإيقاع يوحى
بأن الفعلين كانا يصدران بنفس القوة والعنف والغل . وبنفس الدرجة من
الهمجية . ولذا جاء الجنس ، لأنهما فعلاّن من جنس واحد ، هو الحقد
الأسود ، جاء الجنس ناقصا ، وما كان يصلح إلّا أن يأتى ناقصا ، للوفاء بالمعنى
والوفاء بالإيقاع بلا تكلف ...

رابعاً : المشكلة

١ — درس المشكلة

٢ — التعقيب

أولاً : درس المشاكلة

عُرِّفَتْ « المشاكلة » في الدرس البلاغى بمصطلحات عديدة ، منها :
« المزوجة » و « التصدير » و « رد الأعجاز على الصدور » و « الترديد » و
« المقابلة » .

وقد قصد بعض القدماء بـ « المشاكلة » — التناسب في النظم ، والتلاؤم في
الألفاظ مع السياق ، فهى « المشاكلة الفنية » بمعناها العام ، كالتى أشار إليها
ابن المقفع (ت ١٤٣ هـ) حين قال « ... وليكن في صدر كلامك دليل على
حاجتك ، كما أن خير أبيات الشعر — البيت الذى اذا سمعت صدره عرفت
قافيته ... »^(١) ، ويوضح المبرد (ت ٢٨٥ هـ) الفكرة ذاتها بتطبيقها على
الشاهد ، فيحكى « أنشد » الكميت بن يزيد نصيباً ، فاستمع له ، فكان فيما
أنشده .

وقد رأينا بها حوراً منعمة . . . ييضاً ، تكامل فيها الدل والشنب^(٢)

فَنَتْنَى نُصَيْبٍ يَخْصِرُهُ ، فقال له الكميت : ما تصنع ؟ فقال : أحصى
خطأك ، تباعدت في قوله « تكامل فيها الدل والشنب » ... الخ ، ويعلق المبرد
« والذى عابه نصيب من قوله « تكامل فيها الدل والشنب » قبيح جداً ، وذلك
أن الكلام لم يَجْرِ على نظم ، ولا وقع إلى جانب الكلمة وما يشاكلها ، وأول ما
يحتاج إليه القول ، أن يُنظَم على نَسَق ، وأن يوضع على رسم المشاكلة^(٣) .

ويجعلها ابن طباطبا (ت ٣٢٢ هـ) عنصراً من عناصر الخلق الفنى القائم على
المراجعة والتدبير^(٤) وإلى المضمون نفسه تعرض ابن الأثير^(٥) وابن سنان
الخفاجى^(٦) .

(١) البيان والتبيين — ١١٥/١ ط هارون .

(٢) الشنب : عذوبة الأسنان ورقتها .

(٣) الكامل — ١٦٠/٢ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم — ط نهضة مصر — ١٩٧٧ م .

(٤) عيار الشعر — ١٦٥ ، تحقيق د. محمد زغلول سلام ط منشأة المعارف .

(٥) المثل السائر — النوع الرابع والعشرون في التناسب بين المعانى — ص ٢٧٩ ط محيى الدين

(٦) سر الفصاحة ، ١٥٠—١٥٢ تحقيق عبد المتعال الصعيدى ط صبيح ١٩٦٩ م .

والأمر يختلف بعض الاختلاف في « المشاكلة » البلاغية ، يقول الفراء (ت ٢٠٧ هـ) في قوله تعالى « ولا تقتاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ، فإن قاتلوكم فاقتلوهم » [البقرة — ١٩١] — فإن قال قائل : أرأيت قوله : « فلا عُذوان إلا على الظالمين » [البقرة — ١٩٣] أعدوان هو — وقد أباحه الله لهم ؟ قلنا : ليس بعدوان في المعنى ، إنما هو لفظ على مثل ما سبق قبله ، ألا ترى أنه قال « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » [البقرة — ١٩٤] ، فالعدوان من المشركين في اللفظ ظلم في المعنى ، والعدوان الذي أباحه الله ، وأمر به المسلمين إنما هو قصاص ، فلا يكون القصاص ظلما ، وإن كان لفظه واحداً ، ومثله قول الله تبارك وتعالى « وجزاء سيئة سيئة مثلها » [الشورى — ٤٠] ، وليست من الله على مثل معناها من المسمى لأنها جزاء ^(١) .

وقد فهم المبرد (ت ٢٨٥ هـ) الأمر ، كما تصوره الفراء من قبل — فاعتبر آية « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه » مما « اتفق لفظه واختلف معناه » ، فمعنى « فاعتدوا عليه » : اقْتَصُّوا منه ، يُمَزَّجُ اللفظ بلفظ ما قبله ، كقول العرب : الجزاء بالجزاء ، والأول ليس بجزاء ، وتقول : فعلت بفلان مثل ما فعل بي ، أى : اقتصصت منه ، والأول بدأ ظلما ، والمكافئ إنما أخذ حقه ، فالفعلان متساويان ، والمَحْرَجَانِ متباينان ، اذ كان الأول ظلما ، ومثله « وجزاء سيئة سيئة مثلها » ، « والثانية ليست سيئة تكتب على صاحبها ، ولكنها مثلها في المكروه ... الخ » ^(٢) .

ويقوم ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) بإطلاق مصطلح « رد الأعجاز على ما تقدمها » بدلا من « المشاكلة » ، ثم يحدد لنا المسافات الفاصلة بين إيقاعى كلمتى « المشاكلة » .

فمنها : ما يوافق آخر كلمة فيه آخر كلمة في نصفه الأول .

تَلَقَّى إِذَا مَا الْأَمْرُ كَانَ عَرْمَرَمَا . . . فِي جَيْشٍ رَأَى لَا يُفَلِّ عَرْمَرُمُ

(١) معاني القرآن — ١١٦/١

(٢) المبرد — ما اتفق لفظه واختلف معناه — ص ١٢ و ١٣ ط السلفية بمصر ١٣٥٠ هـ .

ومنها : ما يوافق آخر كلمة منه ، أول كلمة في نصفه الأول .

كقول الشاعر :

سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَشْتَرِي عِرْضَهُ . . . وَلَيْسَ إِلَى دَاعِي النَّدَى بِسَرِيعٍ

ومنها : ما يوافق آخر كلمة فيه بَعْضَ ما فيه :

كقول الشاعر :

عَمِيدُ بَنِي سُلَيْمٍ أَقْصَدْتُهُ . . . سِيهَامُ الْمَوْتِ وَهِيَ لَهُ سِيهَامُ

وكقوله تعالى « انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا » [الإسراء — ٢١] ... الخ^(١) .

وكان جَهْدُ الزُّجَاجِ (ت ٣١١ هـ) لغويا في التفاتته إلى « المشاكلة » ، في قوله تعالى « الله يستهزئ بهم » [البقرة ١٤ و ١٥] ، يقول « ... ويجوز — والله أعلم — وهو الوجه المختار عند أهل اللغة ، أن يكون معنى يستهزئ بهم ، يجازيهم على هُزْيِهِمْ بالعذاب ، فَسُمِّيَ جزاء الذنب باسمه ، كما قال عز وجل « وجزاء سيئة سيئة مثلها » [الشورى — ٤٠] ، فالثانية ليست سيئة في الحقيقة ، ولكنها سُمِّيَتْ « سيئة » لازدواج الكلام^(٢) بينا وَسَّعَ الرَّمَانِي (ت ٣٨٤ هـ) الدائرة نفسها ، مع اعتباره المشاكلة جزءاً من الجناس ، لأن الجناس عنده على وجهين : مزاجعة ومناسبة ، والمزاجعة كما يقول : تقع في الجزاء ، كقوله تعالى « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه » [البقرة — ١٩٤] ، أى جازوه بما يستحق طريق العدل ، إلّا أنه استعير للثاني لفظ الاعتداء ، لتأكيد الدلالة على المساواة في المقدار ، فجاء على مزاجعة الكلام لحسن البيان ، ومن ذلك « مستهزئون الله يستهزئ بهم » [البقرة — ١٤ و ١٥] أى يجازيهم على استهزائهم ... الخ^(٣) . أما العسكري (ت ٣٩٥ هـ) ، فلا يضيف جديداً عما أسماه — مسaire لابن المعتز — « رد الأعجاز على الصدور » ، ويكتفى بمزيد من

(١) البديع — ٤٧ .

(٢) الزُّجَاجُ — معاني القرآن وإعرابه — ٥٦/١ شرح وتحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي ، ط بيروت .

(٣) النكت في إعجاز القرآن — ٩١ ط دار المعارف — الثالثة .

الشواهد ستجد طريقها إلى كتب البلاغيين التاليين ^(١) ، ويبدو أن الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) قد أفاد من شواهد العسكري في « رَدِّ عَجَزِ الكلام على صُدْرِهِ » فأتى على معظمها ^(٢) .

و « المشاكلة في القرآن » عند عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ) تجرى على طريقة العرب في الخطاب ، وهي أن يُسْتَعْمَلَ للثاني اللَّفْظُ الأول ، توسعاً وتجاوزاً طالما أن الثاني يشاكل الأول — يقول في الآية الكريمة « وقد مكر الذين من قبلهم ، فله المكر جميعاً » [الرعد — ٤٢] ، كيف يصح المكر على الله إذا بَيَّنَّ أنه من صفات الذم ؟ وجوابنا إن المراد إنزال العقاب بهم ، وما شاكله من حيث لا يعرفون ، كما ذكرنا في سورة البقرة ، في قوله تعالى « يخادعون الله والذين آمنوا » [البقرة — ٩] وما شاكله ^(٣) .

والمواطن عديدة ، تلك التي يتكلم فيها القاضي عبد الجبار عن « المشاكلة » في كتابيه « التنزيه » ^(٤) و « التشابه » ^(٥) ، ويكفى أن نقف عند العدل الإلهي في آية « إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ، وَأَكِيدُ كَيْدًا ، فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ ، أَمِهْلُهُمْ رُؤُودًا » [الطارق ، ١٥ — ١٧] من خلال مُشَاكَلَةِ « وأكيد » لـ « يكيّدون » ، يقول عبد الجبار « وقد بينا من قبل أن الواجب في ذلك أن يُحْمَلَ على أنه تعالى يُضِرُّ بهم ، وينفع المؤمنين والنبي صلوات الله عليه ، من حيث لا يشعرون بأن يَنْصُرَهُ على الكفار بأنواع لطائفه ، ويظفره بهم ، ثم يعاقبهم في الآخرة » ^(٦) .

والشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) يرى في « المشاكلة » أن من شأن العرب أن تسمى الشيء باسم ما يقاربه ، ويصاحبه ، ويشتد اختصاصه وتعلقه به ، إذا

(١) الصنائع — ٤٠٠

(٢) إعجاز القرآن — ٩٣ ، تحقيق السيد أحمد صقر ط دار المعارف .

(٣) تنزيه القرآن عن المطاعن — ٢٠٤ ط بيروت — دار النهضة الحديثة .

(٤) نفسه ، انظر الصفحات ٢١١ و ٢٢٤ و ٣٢٠ و ٣٣٠ و ٣٧٥ و ٣٨٩ .

(٥) متشابه القرآن — انظر الصفحات ١٤٦ و ٣٤٠ و ٣٥٧ من الجزء الأول و ٥٤١ و ٦٥٣ من الجزء الثاني ، تحقيق الدكتور عدنان زرزور — ط دار التراث بالقاهرة .

(٦) انظر ص ٦٨٦ من المتشابه الجزء الثاني .

انكشف المعنى وأمن الإبهام»^(١) .

ويأتى ابن رشيق القيروانى (ت ٤٥٦ هـ) فيطلق على « المشاكلة » « مصطلح التصدير ، ويعرفه : برد أعجاز الكلام على صدوره ، فيدل بعضه على بعض ، ... ويكسب البيت الذى يكون فيه أبهة ، ويكسوه رونقا وديباجة ، ويزيده مائية وطلاوة»^(٢) .

ويوضح الجرجاني — عبد القاهر (ت ٤٧١ هـ) كيف أن « المشاكلة » « ليست الإبقاء على إيقاع معين فحسب ، بل وإضافة معنى آخر — يأتى بمجىء الكلمة نفسها فى موقع آخر ، يقول «... وهكذا يكون الأمر أبداً ، كلما زدت شيئاً ، وجدت المعنى قد صار غير الذى كان ، ومن أجل ذلك صلح المجازاة بالفعل الواحد ، إذا أتى به مطلقاً فى الشرط ، ومُعَدَّى إلى شيء فى الجزاء ، كقوله تعالى : « إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ إِلَى أَنْفُسِكُمْ » [الإسراء — ٧] ، وقوله عز وجل « وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ » [الشعراء — ١٣٠] ، مع العلم بأن الشرط ينبغى أن يكون غير الجزاء ، من حيث كان الشرط سبباً والجزاء مُسَبِّباً ، وأنه مُحَال أن يكون الشيء سبباً لنفسه ، فلولا أن المعنى فى « أحسنتم » الثانية ، غير المعنى فى الأولى ، وأنها فى حكم فعل ثان ، لما ساغ ذلك ... ، ويجرى ذلك فى الفعلين قد عُدِّيَا جميعاً ، إلا أن الثانية منهما قد تَعَدَّى إلى شيء زائد ما تَعَدَّى إليه الأول ، ومثاله قوله : « إِنْ أَتَاكَ زَيْدٌ أَتَاكَ الْحَاجَةُ » وهو أصل كبير^(٣) .

ومن الجَلْبِىِّ هنا ، أن الجرجاني لا يقصد قدرة الكلمة وهى فى الموقع الثانى على إضافة معنى إلى موقعها الأول — وهى مفردة — إنما تأتى إليها الاضافة بعامل خارج عنها « وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ (جَبَّارِينَ) » ، و « إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ (إِلَى

(١) وذلك فى أثناء حديثه عن قوله تعالى « اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمْدُدُ لَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ » [البقرة — ١٥] وقوله تعالى « وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا » [الشورى — ٤٠] ، وقوله تعالى « فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ » [البقرة — ١٩٤] وقوله تعالى « وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ » [النحل — ١٢٦] — أمالى المرتضى ، القسم الثانى ١٤٧ ، والقسم الأول ٣٢٧ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

(٢) البعثة — ٣١٢ تحقيق محمد يحيى الدين عبد الحميد ، ط دار الجيل .

(٣) الدلائل — ٥٣٤ تحقيق محمود شاكر .

أنفسكم) ، وهذا غير قوله تعالى « أُنزِلَتْ بِهِ عَلَّمَهُ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً » [النساء — ١٦٦] ، وقوله تعالى : « وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ » [آل عمران — ٨] ، وقوله تعالى « وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا » [الشورى — ٤٠] ، ففي أمثلة الجرجاني لا مفر من استعانة الكلمة بغيرها لِيُبَيَّنَّ السَّرُّ في اختيارها دون غيرها ، بينما نرى أن المشاكلة في الأمثلة الأخرى ، قد استغنت الكلمة فيها عن غيرها ، وأضفت على السياق من الروضاء والرونق ما تعجز كلمة أخرى عن القيام به .

وعذر الجرجاني في عدم تَوَسُّعِهِ في الأمثلة ، أنه كان بصدد الرد على من توهّم أن « المفعول » زيادة في الفائدة ، ومن الممكن الاستغناء عنه وهو ما لا يعقل ، إذ لا يتصور في « زيد » من قولك « ضربت زيدا » أن يكون « زيدا » شيئاً برأسه ، حتى تكون بتعديتك « ضربت » إليه قد ضمنت فائدة إلى أخرى ... ثم انتقل إلى الحديث عن أمثلة المشاكلة المتعدية إلى مفعول^(١) .

ولا يضيف الجُشَمِيُّ (ت ٤٩٤ هـ) جديداً عما نقله من القاضي عبد الجبار^(٢) .

ويسمى الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) « المشاكلة » باسمها — حين يتعرض لآية « إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَوُضَّهَ فَمَا فَوْقَهَا » [البقرة — ٢٦] ، يقول : يجوز أن تقع هذه العبارة في كلام الكفرة ، فقالوا : « أما يستحي رب محمد أن يضرب مثلاً بالذباب والعنكبوت ، فجاءت على سبيل المقابلة ، وإطلاق الجواب على السؤال ، وهو فن من كلامهم بديع ، وطرز عجيب ... هو مراعاة المشاكلة »^(٣) . وفي آية « فَأَعْرِضُوا ، فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ، وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ » [سبأ ١٦] ، يقول : « تسمية البذل جنتين ، لأجل المشاكلة ، وفيه ضرب من

(١) نفسه — ٥٣٣ .

(٢) ورقة ١٣ من « تهذيب التفسير » مخطوط رقم ٣٩٩٠٠ ، عن كتاب « بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار — ص ٦٣٥ للدكتور عبد الفتاح لاشين — ط دار الفكر العربي .

(٣) الكشف — ٢٦٤/١ .

التهكم»^(١) ويتوقف عند مشكلة «فَالْقَى السَّحَرَةَ سَاجِدِينَ» [الشعراء — ٤٦] لـ «فَالْقَى مُوسَى» في قوله تعالى «فَالْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ» [الشعراء — ٤٥] يقول «... وإنما عُبرَ عن الخرور بالإلقاء لأنه ذكر مع الإلقاءات»^(٢) فسُئلَ به طريق المشكلة^(٣) ، ونلاحظ عدم اهتمام الزمخشري بالمصطلح بقدر اهتمامه بمضمونه ونجاح تطبيقه^(٤) .

ويُسمَّى أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤ هـ) «المشكلة» بـ «الترديد» و «التصدير» يقول «اعلم أن الترديد هو : رد أعجاز البيوت على صدورها» ثم يذكر بعضها مما ذكر العسكري من شواهد^(٥) .

ويعرف السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) المشكلة بأنها «أن تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته»^(٦) .

أما ابن أبي الإصبع (ت ٦٥٤ هـ) ، فيردد كلام ابن المعتز في باب «رد الأعجاز على الصدور» قائلاً «ويسمى — التصدير — ويذكر أن بين التصدير والتسليم فرقا ، وهو أن التصدير ضرب معنوي ، والتسليم ضرب لفظي»^(٧) .

ويوضح القزويني (ت ٧٣٩ هـ) تعريف السكاكي ، بأن يضيف إليه كلمتي «تحقيقا أو تقديرا» ثم يعلق على الأمثلة التي ذكرها السكاكي ، ولم يشرحها ،

(١) نفسه — ٤٤٧/٢ ، والعزم : المطر الشديد ، أكل : الثمر ، الخمط : شجر ذو شوك ، الأثل : شجر عظيم لا ثمر له ، والأثل والسدر معطوفان على الأكل .

(٢) يقصد قوله تعالى «قَالَ لَهُم مُوسَى الْفُقَا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ» ، فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ رَبِّهِمْ إِنَّا لَنَنحُنُّ الْغَالِبِينَ ، فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ، فَأَلْقَى السَّحَرَةَ سَاجِدِينَ» [الشعراء ٤٣—٤٦] .

(٣) الكشف — ١١٣/٣ .

(٤) وانظر قوله في آية «صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً» ونَحْنُ لَهُ غَابِدُونَ» [البقرة ١٣٨] والكشاف ٣١٦/١ ، ر ٤ آية «إِلَّا أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ أَوْ يَمُوتَ» الذي يَدُو عَقْدَةُ الثَّكَاخِ ، وَأَنْ تَغْفُوا قَرُوبَ لِلنَّقْوَى ...» [البقرة ٢٣٧] والكشاف — ٣٧٥/١ .

(٥) البديع — ٥١ تحقيق د. بدوي ود. عبد المجيد ط الحلي ١٩٦٠ م .

(٦) المفتاح — ١٧٩ ط التقدم العلمية بمصر ١٣٤٨ هـ .

(٧) بديع القرآن — ٤٦ تحقيق د. حنفي شرف ، ط دار النهضة مصر — الثانية ، وانظر «التسليم» ص ١٠٠ .

يقول القزويني : فأما الأول « التحقيقى » فكقوله^(١) :

قَالُوا اقْتَرَحْ شَيْئاً نُجِدَ لَكَ طَبْعَهُ . قُلْتُ أَطْبَحُوا لِي جُبَّةً وَقَمِيصاً ... وأما الثانى « التقديرى » ، فكقوله تعالى « صِبْغَةَ اللَّهِ » [البقرة — ١٣٨] وهو مصدر مؤكد منتصب عن قوله « آمنا بالله » [البقرة — ١٣٦]^(٢) ، والمعنى : تطهير الله ، لأن الإيمان يطهر النفوس ، والأصل فيه ، أن النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر ، يسمونه « المعمودية » ، ويقولون : هو تطهير لهم ، فأمر المسلمون أن يقولوا لهم : « قولوا آمنا بالله ، وصبغنا الله بالإيمان صبغة لا مثل صبغتكم ، وطهرنا الله تطهيراً لا مثل تطهيركم ، أو يقول المسلمون : صبغنا الله بالإيمان صبغة ، ولم يصبغ صبغتكم ، وجيء بلفظ « الصبغة » للمشاكلة ، وإن لم يكن قد تقدم لفظ « الصبغ » ، لأن قرينة الحال — التى هى سبب النزول ، من غمس النصارى أولادهم فى الماء الأصفر — دلت على ذلك ، كما تقول لمن يغرس الأشجار : اغرس كما يغرس فلان ، تريد رجلاً يصطنع الكرام .

ويجمع ابن الأثير — نجم الدين أحمد بن إسماعيل (ت ٧٣٧ هـ) ، شتيت المصطلحات فى صعيد واحد ، هو « المشاكلة » ويقول « ... » وهذه الأبواب (أى المصطلحات) مادتها واحدة ، لكن فرّق أهل البديع بينها بفروق ، وقالوا : التريد ، ما تردد لفظه فى البيت سواء كان أولاً أو آخر ، والتصدير ، ما كان أحد اللفظين فى صدر البيت والآخر فى عجزه ، وهو أيضاً المسمى « رد الأعجاز إلى الصدور » ، أما التعطف ، فهو أن تكون إحدى الكلمتين فى المصراع الأول ، والأخرى فى المصراع الثانى ، وكذلك المشاكلة ، وحاصل الأمر ، أن هذه الأنواع كلّها مادة واحدة ، وشواهدا متقاربة ، وهى باب واحد^(٣) .

(١) يقصد به : أبى الرقعمق أحمد بن محمد الأنطاكى ت ٤٩٩ هـ .

(٢) الآيات كاملة « قولوا آمنا بالله ، وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأنبياء وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرّق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون/فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد احتسبوا ، وإن تولّوا فإنما هم فى شقاق فسيفكّهم الله وهو السميع العليم/صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون » [البقرة ١٣٦—١٣٨] .

(٣) جوهر الكنز — ٢٦٠ تحقيق د. محمد زغلول سلام ط منشأة المعارف بالإسكندرية .

٢ — التعقيب :

١ — نخلص من كل ما سبق ، أن المشاكلة ، كلمة تتردد في العبارة مرتين ، مع إمكان استبدالها في المرة الثانية بغيرها التي تؤدي معناها نفسه ، لكن بقيت هذه ليكتمل الإيقاع الموسيقي الناتج عن التريديد فضلاً عن أن معناها مازال قادراً على العطاء في إطار العبارة التي وردت فيها .

٢ — وأن المشاكلة نوعان ، « المشاكلة الإيقاعية » التي نحن بصدددها الآن ، و « المشاكلة الفنية » التي أشار إليها ابن المقفع والمبرد وابن طباطبا وابن الأثير .

٣ — لم يلتفت البلاغيون إلى المشاكلة التي تأتي من إطلاق الجواب على السؤال ، وبالتالي تاهت في الأضابير ، وبالرغم من شهادة الزمخشري بأنه فن من كلامهم بديع ، وطرارز عجيب . فحين يسأل البخيل جاره قائلاً : أأكرمت ضيفك ؟ ويجيب المستول مُعَرِّضاً له ببخله : إننى أكرم الناس جميعاً . يكون هنا قد شاكل بين كرم الضيف ، والكرم في المعاملة في كل وقت ولكل إنسان .

٤ — أقول : والقصد من التكرار والإعادة ، استجلاب النغمة نفسها ، واستبقاء أثرها في الأذن ، لأن المتكلم أحس أن طاقات الكلمة وشحناتها لم تنفذ بعد ، فكررهما .

انظر إلى قول هذا الشاعر :

قالوا اتَّخِذْ دُهْنًا لِقَلْبِكَ يَشْفِيهِ . قلت : أَذْهْنُوهُ بِخِذِّهَا الْمُتَوَرِّدِ

بدلاً من قوله « مَتَّعُوهُ » بخذها المتورد ، قال « اذهنوه » للمشاكلة ، أى للابقاء على نغمة وشحنة لفظ « الدهن والدهان » ، واللفظ في مكانه الأول حقيقي ، ذاك الدواء المتعارف عليه — آنذاك — أنه يُشفي القلوب الوجيعة ، أما اللفظ الثانى فمجازى ، والقصد منه استعارة الملاصقة ، واستجلاب الدفء من الخلد المتورد ، استعارة تصريحية .

وانظر إلى قوله تعالى : « أنزله بعلمه ، والملائكة يشهدون ، وكفى بالله شهيذاً [النساء — ١٦٦] ، فشهادة الملائكة حضورهم الواقعة ، وشهادة الله تعالى ثوابه وعقابه ، شهادتهم رؤية ، وشهادته تعالى إحقاق للحق ، وقضاء لا مردُّ له ، يقول الزمخشري : « شهادة الله بما أنزل إليه إثباته لصحته بإظهار المعجزات ، كما تثبت الدعاوى بالبينات ، وشهادة الملائكة شهادتهم بأنه حق وصدق »^(١) ، فالشهادة الأولى من العبد ، والشهادة الأخرى من الرب وشتان بين الشهادتين .

٥ — نلاحظ في « المشاكلة الإيقاعية » ، أن المسافة الفاصلة ، قد لا توجد مثل قوله تعالى « وبدلناهم بجنتيهم جنتين ... » ، وقد تكون فاصلة قصيرة ، كلمة واحدة كقول المصطفى صلوات الله وسلامه عليه « إِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا » أى الله تعالى لا يقطع ثوابه حتى تملؤا مسأله وعبادته ، ولن يكون بإذن الله . أو أكثر ، كقول كثير عزة :

أَصَابَ الرَّدَى مَنْ كَانَ يَبْغِي بِهَا الرَّدَى . وَجُنَّ اللَّوَاتِي قُلْنَ عَزَّةَ جُنَّتْ
وقد تكون فاصلة طويلة أربع كلمات فأكثر . كقول الشاعر :

أَصْدُ بِأَيْدِي الْعَيْسِ عَنْ قَصْدِ دَارِهَا وَقَلْبِي إِلَيْهَا بِالْمُودَةِ قَاصِدُ

٦ — هناك فرق بين « المشاكلة » و « الجناس التام » ، المشاكلة : إعادة كلمة تقوم مع جاراتها بإيجاد معنى طريف متجاوب مع المعنى الأول الذى فجّرتَه الكلمة نفسها فى العبارة السابقة ، ولنأخذ مثلاً قول البحتري :

عَلَى أَنَّهَا مَا عِنْدَهَا لِمُوَصِّلٍ . وَصَّالٌ وَلَا عَنْهَا لِمُصْطَبِرٍ صَبْرٌ
إِذَا مَآئِهِ النَّاهِي فَلَجَّ بِي الْهَوَى . أَصَاخَتْ إِلَى الْوَاشِي فَلَجَّ بِي الْهَجْرُ

والمشاكلة هنا وقعت بكلمة « لَجَّ » التى تكررت مرتين ، وهى بمعنى واحد ، أى اشتد واضطرم وعُنف ، ولكنها فى تركيبها الأول ، كانت مع « الهوى » واشتداد الهوى : شوق ورغبة وأمل وبريق ، ثم ، جاءت مصاحبة « الهجر » ، واشتداد الهجر : كمد وألم وخفوت وحريق ، وهنا جاءت المشاكلة ، لتستفرغ طاقة لفظ « اللَّجَّ » ، يقول الزمخشري :

(١) الزمخشري — الكشف ٥٨٣/١ .

التَّجُّ البحر : عَظُمَتْ لُجَّتُهُ وَتَمَوَّجَ ، ومنه البحر اللَّجُّ^(١) .

وانظر إلى هذا الشاعر ، الذى يشاكل بلفظ « قَصْدُ » يقول :

أَصْدُ بِأَيْدِي الْعَيْسَ عَنْ قَصْدِ دَارِهَا . . . وَقَلْبِي إِلَيْهَا بِالْمَوَدَّةِ قَاصِدُ

هنا شاعر أحب وإبل شاركته فى الحب ، شاركته فى الإحساس بعذاباته ، وأشواقه ، شاركته فيما يموج به وجدانه ، وكأن ما به من ألم وأمل قد انتقل إليها . فهى تعرف ما به ، وماذا يريد ؟ وتحين الرحلة ليسافر الجميع هو والعيس ، أو هو بالعيس ، ولكنه يتمنى أن يترث فقد يتزود بما يقتات به قليلاً ، ولو نظرة ، فينطلق هو إلى الأمام وتتجه هى إلى الخلف ، فيصدها عن دار صاحبته ولم كان يتمنى لو تركها تعود . فهو للعيس صاعد ، وعن منع قلبه عاجز ، وهكذا يتلاعب الشاعر بكلمة واحدة ، يضعها فى إطار حقيقى ثم يعود فيضعها فى آخر مجازى . وقد يكون الاثنان مجازيين ، ولكن لكل منهما وجهة مخالفة . وهما فى اختلافهما يهدفان إلى الالتقاء على توضيح المعنى وإبراز الجمال بالصورة النابضة التى يعيشها الفنان .

والأمر يختلف بالنسبة للجناس ، فالجناس تعامل مع الكلمة مرة بمعنى من معانيها ومرة بمعنى آخر ، بينما المشاكلة استعمال الكلمة بمعناها نفسه مرة ثانية وكان من الممكن استبدالها بكلمة أخرى تؤدي نفس المعنى . وهذا هو الأمر الفارق بينهما ، ففى قول الشاعر :

سَرِيعٌ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ تَشْتِمُ عِرْضَهُ . . . وَلَيْسَ إِلَى دَاعِيِ التَّدْيِ سَرِيعٌ

ليس بين « سريع » الأولى و « سريع » الأخرى جناس تام ، لأن المعنى لم يتغير ، ولأنه من الممكن أن يضع الشاعر كلمة « بمجيب » بدلاً من « بسريع » ، ولا يتغير الغرض .

(٧) والأمر الفارق الآخر — أن المشاكلة تعتمد أساساً على التركيب الذى يتيح للكلمة نفسها فى سياقها الثانى أن تدفع بكل طاقاتها ، أما فى الجناس

(١) أساس البلاغة — ٥٥٩ ط بيروت

أولا : الطباق

١ — مصطلح الطباق

٢ — مصطلح المقابلة

٣ — التعقيب

١ - مصطلح الطباقي :

ذكر ابن المعتز عن الخليل (ت ١٧٥ هـ) أنه قال : « يقال طابقت بين الشيئين إذا جمعتهما على حذو واحد » واستطرد ابن المعتز « وكذلك قال أبو سعيد — يقصد الأصمعي (ت ٢١٦ هـ) — فالقائل لصاحبه أتيناك لتسلك بنا سبيل التوسع فأدخلتنا في ضيق الضمان^(١) ، قد طابق بين السعة والضيق في الخطاب^(٢) » ويمدنا ابن رشيقي بمزيد من رأى الأصمعي في « الطباقي » قائلاً : وذكر الأصمعي المطابقة في الشعر ، فقال : أصلها وضع الرجل في موضع اليد في مشى ذوات الأربع ، وأنشد لنا بغي بنى جعدة :

وَحَيْلٌ يُطَابِقُنَ بِالْدَّرَاعَيْنِ طَبَاقُ الْكِلَابِ يَطَانُ الْهَرَّاسَا^(٣)

ثم قال : أحسن بيت قيل لزهير في ذلك :

لَيْثٌ يَعْثُرُ يَصْطَادُ الرَّجَالَ إِذَا . . . مَا اللَّيْثُ كَذَبَ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقَا

حكى ذلك ابن دريد ، عن أبي حاتم ، عنه^(٤) .

ويجمع ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) تحت باب « المقلوب » ، ما يندرج تحت موضوع « الأضداد » في علم اللغة ، بعد أن يعرفه بأنه « يوصف الشيء بضد صفة للتطير والتفاؤل ، كقولهم للديغ : سليم ، تطيراً من السقم وتفاؤلاً بالسلامة ... ، وللمبالغة في الوصف كقولهم للشمس : جَوْنَةٌ لشدة ضوئها ... ، وللاستهزاء : كقولهم للحبشي : أبو البيضاء ... »^(٥) .

أما ثعلب (ت ٢٩١ هـ) فيسمى الطباقي « مجاورة الأضداد » ويعرفه بأنه « ذكر الشيء مع ما يعدم وجوده ، كقوله تبارك وتعالى « لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا » [طه ٧٤ + الأعلى ١٣]^(٦) .

(١) أي أتيناك لتخفف علينا الأمر ، وتبحث له عن مخرج ، فأدخلتنا في الالتزام والتخرج .

(٢) البديع — ٣٦ .

(٣) الدارع : الفارس المرتدى قميصاً من حديد ، والهراس : شوك كأنه حسك ، ويقول : إنها لا تريد الحرب ، فهي تتشبث في مشيها كما تمشى الكلاب في الهراس ، متقية له .

(٤) العمدة — ٦/٢ — والليث : خير مبتدأ محذوف تقديره هو ، وعَثُرَ : موضع توجد فيه الأسد .

(٥) تأويل مشكل القرآن — ١٨٥ ، تحقيق السيد أحمد صقر ط ٣ سنة ١٩٧٣ م .

(٦) قواعد الشعر — لثعلب ص ٥٣ .

وفيفض ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) في الشواهد على ما أسماه بـ « المطابقة » ،
بعد أن يأتي على تعريف الخليل الذي وافقه فيه الأصمعي ، وقد عرض ابن المعتز
لعديد من ألوان الطباق ، وكان بها مصدراً لمن كتَبَ بعده في البلاغة عامة وفي
« الطباق » بخاصة ، بالرغم من أنه لم يضع مصطلحات ولا قسم تقسيمات .

فهناك الطباق بين مفرد ومفرد ، كقوله تعالى « ولكم في القصاص حياة يا أولي
الْأَلْبَاب ، لعلكم تتقون » [البقرة — ١٧٩] — وقد تعددت المفردات
المتضادة ، كقول عمر بن الخطاب « الغنى في الغربة وطن ، والفقر في الوطن
غربة » ، ويعرض لنا ابن المعتز طباقاً بين الفعل ورد الفعل ، كأنه شرط وجزاء ،
ويذكر قول أدَدَ بن مالك بن كهلان في وصيته لولده « لا تكونوا كالجرّاء ، أكل
ما وجد ، وأكله من وجده »^(١) .

وقد يكون الطباق بين تشبيهين ، كقول عبد الله بن الزبير الأسدي :
رمى الحَدَثَانُ نسوة آل حرب •• بمقدارِ سَمْدَنَ له سُموْدًا^(٢)
فَرَدَّ شُعُورَهُنَّ السُّودَ بيضا •• وَرَدَّ وُجُوهَهُنَّ البيضَ سودا
وقد يكون الطباق بين تشبيه وتورية :

كقول أبي تمام :
الْمُرْضِيَاتُكُ مَا أَرْغَمْتَ آتْفَهَا •• وَالْهَادِيَاتُكُ وَهِيَ الشُّرْدُ الضُّلِّلُ
إِذَا تَضَلَّلْتُ مِنْ أَرْضٍ فَصِلْتُ بِهَا •• كَانَتْ هِيَ الْعَزَّ إِلَّا أَنَّهَا ذُلِّلُ
وقد يكون الطباق بالكناية :

كقول زهير :
لَيْثٌ بَعَثَ يَصْطَادُ الرِّجَالَ إِذَا •• مَا اللَّيْثُ كَذَبَ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقًا
أو يكون طباق بين الإيجاب والسلب :

(١) الجراء : ج جريرة : وهي قانصة الطير .
(٢) سمد : بهت وتحيّر .

كقول عمر « إذا أنا لم أعلم ما لم أر ، فلا علمت ما رأيت » .

إلى غيرها من الصور .

ولا أريد هنا أن أنظر إلى ابن المعتز من خلال مدرسة السكاكي ، ولا أن أطبق على ابن المعتز منهج « مصطلح الشاهد » ، أي المصطلح الذي لا دليل عليه إلا شاهد واحد ، أو « شاهد المصطلح » الشاهد الذي يؤلف لينطبق على المصطلح ، إنما قصدت أن أقول ، إن الحال التي وصلت إليها مدرسة السكاكي لم تهبط عليهم من السماء . بل كانت ذات جذور أعرق في الوجود من السكاكي وأقرانه ، وإذا كانت الروح العربية ، والذوق السليم غطى ما بها من عوار ، فعندما وصلت إلى السكاكي لم تجد روحا عربية ، ولا ذوقا سليما ، فتحولت إلى عوار .

ويخرج علينا قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) بفكرة التكافؤ ، وهي « أن يصف الشاعر شيئا أو يذمه ، أو يتكلم فيه بمعنى ما ، أي معنى كان ، فيأتى بمعنيين متكافئين » ، ولشرح ذلك : أريد ، بقول « متكافئين » في هذا الموضع : متقاربان ، إما من جهة المضادة ، أو السلب والإيجاب ، أو غيرهما من أقسام التقابل ، مثل قول أبي الشَّعْب العبسي :

حُلُوُّ الشَّمَائِلِ ، وهو مُرٌّ بِأَسِيلٍ . . . يَحْمِي الدَّمَارَ صَيِّحَةُ الْإِرْهَاقِ^(١)

ويقول ابن رشيق « لم يُسمَّ الطباق تكافؤاً أحداً غيره ، وغير النحاس ، من جميع مَنْ علمته »^(٢) .

ويستهل الجرجاني — على بن عبد العزيز (ت ٣٦٦ هـ) حديثه عن الطباق ، بمقدمة يقول فيها « وأما المطابقة فلها شعب خفية ، وفيها مكان تغمض ، أو ربما التبسست بها أشياء لا تتميز إلا للنظر الثاقب ، والذهن اللطيف ... الخ ، وقسمها إلى قسمين ، الأول ما جرى مجرى قول دُعَيْل :

(١) الشَّمَائِلُ والشَّمَانُ : الطبع ، والدمار : كل ما يلزمك حفظه وحمايته .

(٢) نقد الشعر ١٦٣ .

(٣) العمدة — ٥/٢

ولا جديد عند أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤ هـ) ^(١) ولا عند السكاكي ^(٢) ولا عند ابن الأثير ^(٣) .

و « المطابقة » عند حازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ) ، تقع بين المتضادين ، وكذا المتخالفين ، ويلتفت إلى العامل النفسي في موضع « المطابقة » لأن اللفظة تفاجئ القارئ بالضد من المعنى ، بعد أن استراح إلى المعنى الأول ، ويقول « المطابقة هي أن يوضع أحد المعنيين المتضادين ، أو المتخالفين ، من الآخر وضعاً متلائماً ... » ، وهي تنقسم إلى محضة وغير محضة ، فالمحضة : مفاجأة اللفظ بما يضاده من جهة المعنى ، كقول جرير :

وَبَاسِطٌ خَيْرٌ فِيكُمْ يَمِينُهُ . . . وَقَابِضٌ شَرٌّ عَنْكُمْ بِشَمَالِيَاً ^(٤)

فقوله : « باسط وقابض ، وخير وشر من المطابقات المحضة » ، وثم مطابقة أخرى غير محضة وهي « تنقسم إلى مقابلة الشيء بما يتنزل منه منزلة الضد ، وإلى مقابلة الشيء بما يخالفه ... » ، فتتوزع « التبسُّم » منزلة « الضحك » ، مطابقة « للبكاء » — أما المخالفة فهي « مقارنة الشيء بما يقرب من مضاده ، كقول عمر ابن كلثوم .

بِأَنَّا نورد الرايات ييضا . . . وَنُصْدِرُهُنَّ حَمْرًا قَدْ رَوِينَا ^(٥)

ويقف حازم القرطاجني عند « مفهوم المخالفة » في الطباق ، فليس من الضروري أن يكون التضاد محضاً ، ففي الانحراف عن النسب السائدة بين الألفاظ ، وعن العلاقات العرفية بينها ، يقع الطباق ، يقول « ويجرى مجرى المطابقة ، تخالف وضع الألفاظ لتخالف وضع المعاني ، ولنسب بعضها من بعض ، يقع ذلك بين جزئين من أجزاء الكلام — نسبتان متخالفتان — فيجربى

(١) البديع في نقد الشعر — ٣٦ .

(٢) المفتاح — ١٧٩ .

(٣) المثل السائر — ٢٧٩/٢ في « النوع الرابع والعشرين » ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

(٤) البيت من قصيدة واردة في النقائض ، نظمها جرير يخاطب بها الفرزدق — من هامش ص ٤٨ « منهاج البلغاء » .

(٥) البيت من المعلقة . هامش منهاج البلغاء .

ذلك مجرى المطابقة في الألفاظ المفردة ، كقول بعضهم .

أَنْتَ لِلْمَالِ إِذَا أَصْلَحَتْهُ . . . فَإِذَا أَتَّفَقَتْهُ فَاَلْمَالُ لَكَ (١).

وبالرغم من أن القرطاجنى يعتبر امتداداً لقدامة وابن سنان الخفاجى فى تبني معظم آرائهم ، إلا أن له شخصيته المتفردة والتي لم تنل حظها من الفهم والتطبيق (٢).

٢ — مصطلح المقابلة :

قالوا : الطباق أخص من المقابلة ، الطباق هو التضاد بين معنيين ، أما المقابلة فهي « أن يأتي المتكلم بعدة معانٍ ثم يُرد فيها بما يخالفها أو يوافقها ، أو يزوج بين المخالفة والموافقة ، والمخالفة هنا بمعنى التضاد ، وليس التغير .

يقول قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) عن صحة المقابلات « أن يصنع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض ، أو المخالفة ، فيأتي في الموافقة بما يوافق ، وفي المخالفة على الصحة ، أو يشرط شروطاً ، ويعدد أحوالاً في أحد المعنيين ، فيجب أن يأتي فيما يوافقه بمثل الذى شرطه وعدده ، وفيما يخالفه بأضداد ذلك ، قال بعضهم :

فَوَا عَجَبًا ، كَيْفَ اتَّفَقْنَا فَنَاصِحٌ . . . وَفِيٌّ ، وَمَطْوَى عَلَى الْغِلِّ غَادِرٌ

فقد أتى بإزاء كل ما وصفه من نفسه ، بما يضاده على الحقيقة ، ممن عاتبه ، حيث قال بإزاء « ناصح » « مطوى على الغل » وإزاء « وفى » « غادر » ... الخ ، وللطرماح بن حكيم :

(١) روى الصدر بغير الوجه الذى عليه فى هذا النص ، فجاء « إذا أمسكته » بدل « إذا أصلحته » ، وهو أصوب لتحقيق المطابقة فيما يظهر — انظر العمدة ٢ / ٨ الطبعة الرابعة تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .

(٢) منهاج البلاء — ٤٨ وما بعدها — يقول الدكتور إحسان عباس « ... كذلك تجاوز حازم فى نظريته الشعرية مشكلة « النظم » التى أطال الجرجاني الوقوف عندها ، فتحدث حازم عن النظم بمعناه العام ، ولم يُقصره على صورة السياق التأليفى ، إلا حين تخطاه إلى مراحل أخرى ، فهو قد أقر أن النظم يتناول سياق الألفاظ ، ولكنه أوجد إلى جانبه « الأسلوب » ليتناول سياق المعنى ، وفى توفر النظم والأسلوب ، لدى حازم ، يتم تخطيطه لنظرية الجرجاني « تاريخ النقد الأدبى عند العرب — ص ٥٧٠ ط بيروت — الرابعة ١٩٨٣ م .

أَسْرَتَاهُمْ وَأَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ .: وَأَسْقَيْنَا دِمَاءَهُم التُّرَابَا
فَمَا صَبَرُوا لِبَاسٍ عِنْدَ حَرْبٍ .: وَلَا أَدُّوا لِحُسْنٍ يَدِ ثَوَابَا
فجعل بإزاء أن « أسقوا دماءهم الترابَ وقاتلوهم » « أن يصبروا » وبإزاء
« أنعموا عليهم » « أن يثيبوا »^(١) .

وبمثل هذا عرف العسكري (ت ٣٩٥ هـ) المقابلة ، ويقول في فساد المقابلة :
أن تذكر معنى يقتضى الحال ذكر ما يوافقه أو يخالفه ، فيؤتى بما لا يوافق ولا
يخالف ، مثل أن يقال « فلان شديد البأس ، نقي الثغر ، أو جواد الكف ،
أبيض الثوب »^(٢) .

وهم قد قصدوا بالمقابلة بين الجملتين ، إقامة التجانس ، واطراد الترابط ،
وتواصل العلاقات بين جنبات السياق ، بغض النظر عن طبيعة هذه العلاقات ،
ضدية أو مطردة .

فابن رشيق يذكر أن مما عابه الجرجاني على ابن المعتز ، قوله :
بَيَاضٌ فِي جَوَانِبِهِ أَحْمَرٌ .: كَمَا أَحْمَرَتْ مِنَ الْخُجُلِ الْخُدُودُ
لأن الخدود متوسطة ، وليست جوانب ، فهذا من سوء المقابلة ... ، ومن
المأخوذ المعيب عن ابن رشيق ، قول الكميت يخاطب قُضَاعَةَ .
رَأَيْتُكُمْ مِنْ مَالِكٍ وَادِّعَائِهِ .: كَرَائِمَةِ الْأَوْلَادِ مِنْ عَدَمِ النَّسْلِ
فوقع تشبيه على الإدعاء والرثمان خاصة ، لا على صحة المقابلة في الشبهين ،
لأن هؤلاء — فيما زعم — يدعون أبا ، والرائمة تدعى ولداً ، وهما ضدان ... ،
ومن المقابلة ما ليس مخالفاً ولا موافقاً ، كما شرطوا ، إلا في الوزن والازدواج فقط ،
فيسمى حينئذٍ « موازنة » .

نَصِيْبُكَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ حَبِيبٍ .: نَصِيْبُكَ فِي مَنَامِكَ مِنْ خِيَالٍ

(١) نقد الشعر — ١٥٢ .

(٢) الصناعتين — ٣٤٦ .

فوازن قوله « في حياتك » بقوله « في منامك » ، وليس بضده ، ولا مُوافقه ، وكذلك صنع في الموازنة بين « حبيب » و « خيال » ، وإن اختلف حرف الميم فيهما ، فإن تقطيعه في العروض واحد ^(١) .

وبمثل هذا التصور ، ففهم الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) المقابلة ، فقد تكون بين لفظتين ^(٢) وقد تكون المقابلة بمعنى الموافقة في نظم الجمل ^(٣) ، فالمقابلة هي المناسبة ، بالطباق أو بغيره ، فهي أعم منه وهو فرع منها .

٣ — التعقيب :

نلاحظ مما سبق :

١ — أن التفسير اللغوي للطباق قد سيطر على فهم البلاغيين ، فكانوا يتعاملون مع الألفاظ ولا يبعدون عن مداها ، « يولج الليل في النهار ، ويولج النهار في الليل » [الحج — ٦١] ، طباق لأن فيه ليلاً ونهاراً ، ونهاراً وليلاً ، وليس بعد ذلك شيء .

٢ — لم يحفظ الطباق الفكري أو الفني بعناية البلاغيين ، لذا لم ينل طباق أبي تمام ولا المتنبي ولا أبي العلاء المعري حظهما من الدرس ، بل ادعى إلى الألم ، أنهم هاجموا أبا تمام ، فقال ابن الأعرابي « إذا كان ما يقوله شعراً فما قالته العرب باطل » ^(٤) والخصومة حول المتنبي غير بعيدة ، والإعراض عن صور أبي العلاء الفلسفية معروفة .

٣ — لم يلتفت الأقدمون إلى أن التضاد نوع من « التوازن » الضروري لاستمرار الكون والكائنات ، المادى منها والمعنوى ، البطولة هي القدرة على إبقاء التوازن بين مركزي الجاذبية ، انظر إلى امرئ القيس حين جعل حصانه

(١) العمدة — ١٥/٢ .

(٢) انظر شرحه لآية « وإذا ذكّر الله وحده أثنأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة » ، وإذا ذكر الذين من

دونه إذا هم يستبشرون » [الزمر — ٤٥] — الكشف ٤٠١/٣ .

(٣) انظر شرحه لآية « الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه ، والنهار مبصراً » [غافر — ٦١] —

الكشاف ٤٣٤/٣ .

(٤) المرزبانى — الموشح — ٤٦٥ تحقيق محمد على البجاوى ط دار نهضة مصر ١٩٦٥ م .

يَأْتِي بِالْأَضْدَاءِ ، وَيُظَلُّ مُحْتَفَظاً بِطَاقَتِهِ لَمْ تَسْتَهْلِكْ فَهُوَ :
مِكْرٌ مِقْرٌ مُقْبِلٌ مُدِيرٌ مَعاً .: كَجُلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّةُ السَّيْلِ مِنْ عِلٍّ
وهذا العربي الذي :

يَسْرُكُ مَظْلُوماً ، وَيُرْضِيكَ ظَالِماً .: وَكُلُّ الَّذِي حَمَلْتَهُ فَهُوَ حَامِلُهُ
هو الصورة المثلى للفتوة والبطولة في الجاهلية ، وقد يُغْلَبُ الشاعر جانباً
على جانب ، ولكنه غير غافل عن هذا التوازن ، الذي يحققه له
« الطباق » أدق تحقيق .

٤ — لم يلتفت الأقدمون إلى دور الطباق في السياق ، ولا إلى أثر السياق في
الطباق ، لأن شاغلهم الأكبر كان اصطیاد الطباق اللغوي الذي أوضحه
لهم الخليل والأصمعي .

٥ — أعتقد أنه لا داعي لكثرة المصطلحات ، ويكفينا من « الطباق »
المصطلح فقط .

أما « المقابلة » و « طباق التدبيج » و « إيهام التضاد » ، فمن
الممكن أن تدرج كلها تحت مصطلح « الطباق » ، لأنها مرحلة متقدمة
من مراحل التدقيق ، محاولة إدراك حدود العمل الفني الذي نحله بإدراج
مصطلح يشرح أبعاده ، أما طبيعته في ذاته ، فأمر أوسع من إطار
المصطلحات .

ويكون الطباق : هو التضاد القائم بين معنيين ، إما تضاداً حقيقياً أو
مجازياً ، أحسن به الفنان ، بغض النظر عن أنه طباق بين مفرد ومفرد ، أو
بين هيئة وهيئة ... الخ ، على ألا ننزع الطباق من السياق ، وعلى أن
نفرق بين نوعي الطباق اللذين عرّف بهما الدكتور شوقي ضيف^(١)
« طباق الذاكرة » الأسود يستدعي الأبيض ، « والمرأة » يستدعي
الرجل ... الخ وبين ذاك الطباق الذي استقر في مكانه لجودة الاختيار ،
ووفرة العطاء ، ونضارة التركيب ، وحلاوة وقعته في النفوس .

(١) د. شوقي ضيف — الفن ومذاهبه — ١٣٦ الطبعة الأولى ١٩٤٣ م .

٦ — الطبايق من الفنون التي تتعامل مع المعنى ونقيضه ، ولا يحرص على الإيقاع إلا إذا جاء عفواً بلا تعارض مع الوفاء بالمعنى ، وبالرغم من ذلك ، جاءت منه صورة نذكر بعضها ، انظر إلى قوله « وأنه هو أضحك وأبكى ، وأنه أمات وأحيا » [النجم — ٤٣] .

وفاء بالمعنى ، ووفاء بالإيقاع ...

ومثله قول الرسول ﷺ « إنكم لتكثرُونَ عند الفزع ، وتُقِلُّون عند الطمع » وقوله « خير المال عين ساهرة ، لعين نائمة » .

ولا أطيل في ضرب الأمثلة ، ويكفى ما قاله الثمري يصف أيام لوه مع رفاقه معتمداً على الطبايق الموقع :

ومنازل لك بالحمى .: وبها الخليط نزول
أيامهن قصيرة .: وسرورهن طويل
وسعودهن طوالع .: ونحوسهن أقول
والمالكية والشباب وقينة وشُمُول

والعسكري « أبو هلال » يشكو هاجره :

قل لمن أذنيه جَهْدَى .: وَهُوَ يُقْصِيْنِي جَهْدَه
ولمن ثَرْضَاه مَوْلَاكَ .: وَلَا يَرْضَاكَ عَبْدَه
أَمْلِيحْ بِمَلِيحِ الشَّكْلِ .: أَنْ يُخْلِفَ وَعْدَه ؟
أَمْ جَمِيلٌ يَجْمِيلُ الْوَجْهَ أَنْ يَنْقُضَ عَهْدَه ؟
ما الَّذِي صَدَّكَ عَنِّي .: لَيْتَ مَا صَدَّكَ صَدَّه^(١)

(١) الصناعتين — ٣١٦ و ٣١٨ و ٣٢٥ و ٣٢٦ .

ثانيا : المبالغة

- ١ — مفهوم المبالغة عند القدماء .
- ٢ — مفهوم الغلو عند القدماء .
- ٣ — صيغ وزوائد للمبالغة .
- ٤ — وسائل للمبالغة .
- ٥ — من أغراض المبالغة .

١ — مفهوم المبالغة عند القدماء :

لم يصرح ابن عباس (ت ٦٨ هـ) في شرحه لقوله تعالى « والله غنى حلیم » بمصطلح المبالغة ، ولا بمفهومه عن المبالغة ، إنما شرح معناها بما يدخل في معنى المبالغة ، بأدق تعبير ، وهو « بلوغ الغاية والكمال في الأمر » ، يقول ابن عباس في قوله تعالى « قول معروف ومغفرة ، خير من صدقة يتبعها أذى » ، « والله غنى حلیم » [البقرة — ٢٦٣] ، « الغنى » الذي كمل في غناه ، و « الحلیم » الذي كمل في حلمه^(١) .

والمبالغة في أداء الفعل عند « سيبويه » (ت ١٨٠ هـ) مرادفة لأدائه بكثرة ، يقول في باب « ما تكثر فيه المصدر من (فَعَلْتُ) » ، فتلحق الزوائد وتبنيه بناءً آخر ، كما أنك قلت في فَعَلْتُ فَعَلْتُ ، حين كثرت الفعل ، وذلك قولك في الهذر : التهذار^(٢) ، وفي اللعب : التلعب ، وفي الصفق : التصفاق ، وفي الرد : الترداد ، وفي الجولان : التجوال ، والتفعّل والتسيار ، وليس شيء من هذا مصدر فَعَلْتُ ، ولكن لما أردت التكرير ، بنيت المصدر على هذا كما بَنَيْتُ فَعَلْتُ على فَعَلْتُ^(٣) .

والمبالغة عند الأخفش الأوسط — سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥ هـ) تعنى : « الكثرة في الفعل »^(٤) .

واستخدام الشاعر للمبالغة محفوف بخطرین ، أحدهما فشله في بلوغ الغاية التي ينشدها ، والآخر ، تباين الأذواق في قبول مبالغته . فالأصمعي (ت ٢١٦ هـ) يخكى لنا : أتيت شُعْبَةَ بن الحجاج (ت ١٦٠ هـ)^(٥) ، فأنشدني لقيس بن

(١) تفسير الطبري — ٥٢١/٥ ط دار المعارف تحقيق محمود شاكر وأحمد شاكر .

(٢) هذر ، أنطل ، يقال : هذر الشيء : أبطله .

(٣) الكتاب — ٨٣/٤ ، وانظر ص ٦٤ من الجزء نفسه — تحقيق عبد السلام هارون . الثانية —

١٩٨٢ م نشر الخائفي ودار الرفاعي بالرياض .

(٤) معاني القرآن — ١٤٦/١ تحقيق د. فايز فارس ط الكويت ، ١٩٧٩ م الطبعة الأولى .

(٥) نزيل البصرة وبعدها ، من شيوخ أشياخ البخاري ، رأس أنس بن مالك وعمرو بن مسلمة ، وجمع أربعمائة من التابعين .

الخطيم (ت نحو ٢ ق هـ) (١).

طَعَنْتُ ابْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ طَعْنَةً ثَائِرَةً . لَهَا نَفَذٌ ، لَوْلَا الشُّعَاعُ أَضَاءَهَا

وضحك شعبه ، ثم قال : والله ما طَعْنَةٌ لكنه نقب في جنبه ذَرْباً (١) فشعبة هنا يقرن التعبير الفني بالواقع ، يريد أن يرى الواقع متمثلاً في الصورة الفنية ، وكأنها بلاغٌ حرى ، بلا تعديل ولا تزيف ، ذلك لأن شعبة الفقيه ، لا يفرق بين الصدق الفني والصدق الخلقى ، لذا صارت المبالغة الفنية هنا ، كذبا .

ولم يكن شُعبه هو الرافض الوحيد لهذا الكذب الخلقى ، فاسحاق الموصلي (ت ٢٣٥ هـ) ، كان يستشنع قول ابن الخطيم « طعنت ابن عبد القيس » ، حتى أنشده أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩ هـ) لقيس أيضا :

ضَرَبْتُهُ فِي الْمُلتَقَى ضَرْبَةً . فزال عن مَنْكِبِهِ الكاهل
فصار ما بينهما فَجْوَةً . يمشى بها الراح والنَّابِلُ

فقال اسحاق : فكان هذا أعظم وأشنع (٢) .

والخيال يستطيع أن يتصور القولين ، إذا فصلهما عن المقول فيه ، واعتبرهما من الممكن وقوعهما في شكل ما ، في مكان ما ، لشخص ما ، وأنهما ليسا خبراً عن المعركة بقدر ما هما تصوير للمعركة ، فالكاهل في الصورة الثانية ، قد انفصل عن المَنْكِبِ ، أو هكذا تُحِيلُ للشاعر ، وانفصل مبتعداً في قوة تاركاً مساحة تسمح للراح والنابل أن يَمُرَّ بينهما ، أو هكذا تُحِيلُ للشاعر ، تُحِيلُ إليه هذا ليرضى نفسه ، هذه النفس المجروحة من قَاتَلَى أبيه وجَدَّه . فلو تصورنا أن قيس بن الخطيم يقول تمنيت أن أفعل وان يكون. فعلى بصورة كذا وكذا ، نجد أن المبالغة هنا كانت صادقة جداً في ترجمة الحقد الدفين والكمد المكتوم والنار التي تستعر في قلب قيس ، ومن ثَمَّ فلا كذب ولا شناعة .

(١) شاعر الأوس ، وأحد صناديدها ، أشهر بتتبع قَاتِلَى أبيه وجده حتى قتلها ، وقال في ذلك شعراً ، أدرك الإسلام وترث في قبوله ، فقتل قبل أن يدخل فيه — الأعلام — ٢٠٥/٥ .

(٢) المرزبانى — الموشح — ١١٧ ، تحقيق علي محمد البجاوى ط دار نهضة مصر — ١٩٦٥ م .

(٣) المصدر نفسه — ١١٦ .

وفي رسالة للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) عن « صناعة الكلام » يتحدث فيها عن آفات صناعة الكلام ، يقول فيها « واعلم أن لصناعة الكلام آفات كثيرة ، وضروبا من المكروه عجيبة ، وفيها ما هو ظاهر للعيون والعقول ، ومنها ما يدرك بالعقول ولا يظهر للعيون ، وبعضها وإن لم يظهر للعيون وكان مما يظهر للعقول ، فإنه لا يظهر إلا لكل عقل سليم جيد التركيب ... » ، ثم لا يدركه أيضا إلا بعد إدمان الفكر ، وإلا بعد مناظرة الشكل الباهر ، والمعلم الصابر ، فإن أراد المبالغة وبلوغ أقصى النهاية ، فلا بد من شهوة قوية ... »^(١)

فالمبالغة عنده تعنى البلوغ إلى أقصى النهاية ، وهذا ما أورده أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) من بعده ، في تعريف المبالغة ، قال هي : « أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته ، وأبعد نهاياته ، ولا تقتصر في العبارة عنه على أدنى منازل ، وأقرب مراتبه »^(٢) وسيأتى تفصيل ذلك عنده .

وفي البيان للجاحظ يقول « وقال موسى صلى الله عليه وسلم وأخى هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءاً يصدقني » [القصص — ٣٤] وقال « ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى » [الشعراء — ١٣] ، رغبة منه في غاية الإفصاح بالحجة ، والمبالغة في وضوح الدلالة ، لتكون الأعناق إليه أميل ، والعقول عنه أفهم ، والنفوس إليه أسرع »^(٣) .

والمبالغة عند ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) تعنى « يكاد يفعل » ، ولكنه لم يفعل ، لأنه لا يستطيع أو لا يجزؤ ، أو لأن قدرته البشرية تعوقه ، وطالما أن المخاطب يعلم أن المتكلم « يبالغ » فلا ضئير . وقد جعلها ابن قتيبة جزءاً من درسه للاستعارة التي بدأ الحديث فيها بعد عرضه لفن « المجاز » ، وقدم لها بحديث عن استعمال « يكاد » في القرآن الكريم ، وكأنه يربط بين هذه العناصر وبين « المبالغة » ، أو يجعلها من مكوناتها ، يقول « كان بعض أهل اللغة يأخذ على

(١) رسائل الجاحظ — ٢٤٦/٤ تحقيق هارون ، الطبعة الأولى — الخانجي القاهرة ١٩٧٩ م .

(٢) الصنائع — ٣٧٨ وما بعدها .

(٣) الجاحظ — البيان — ٧/١ ، وانظر ص ٩٢ منه ، الطبعة الرابعة تحقيق هارون ط الخانجي — وأورد له حارم القرطاجنى أن ليس شيء إلا وله وجهان وطريقان ، فإذا مدحوا ذكروا أحسن الوجهين ، وإذا ذموا ذكروا أقبحهما ، منهاج البلغاء — ٧٤ تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة — تونس — ١٩٦٦ م .

الشعراء أشياء من هذا الفن ، وينسبها إلى الإفراط ، وتجاوز المقدار ، وما أرى ذلك إلا جائزاً حسناً على ما بيناه من مذاهمهم ، كقول النابغة في وصف سيوف .
تَقْدُّ السُّلُوقِيَّ الْمُضَاعَفَ كَسَجُهُ . . . وَتَوْقُدُ بِالصَّفَّاحِ نَارَ الْخَبَابِ^(١)
ذكر أنها تقطع الدروع التي هذه حالها ، والفارس حتى تبلغ الأرض فتورى النار إذا أصابت الحجارة . . . ويقولون « فلان يثير الكلاب عن مرابضها » يريدون أنه لشهره ولؤمه ، يثيرها عن مواضعها ، يطلب تحتها شيئاً فاضلاً من طعامها ليأكله ، وهذا مالا يفعله بشر .

وقال الشاعر :

تركوا جارهم يأكله . . . ضَعُفَ الْعَادِي وَيَرْمِي الشَّجَر

والشجر لا يرمى أحداً ، وهذا كله على « المبالغة » في الوصف ، ويرى . . .
« يكاد يفعل » ، وكلهم يعلم المراد .^(٢) .

ويعالج المبرد (ت ٢٨٥ هـ) « المبالغة » من خلال ديبه للشبه . يقول « العرب تشبه على أربعة أضرب . . . منها التشبيه المفرط ، والتشبيه المصيب ، والتشبيه المقارب ، والتشبيه البعيد ، الذي يحتاج إلى التفسير . ولا يقو سفسه . وهو أخشن الكلام ، فمن التشبيه المفرط المتجاهز . قوطم للسحى : هو كالبحر ، وللشجاع : هو كالأسد وللشريف : سما حتى بلغ الضخم . ثم : . . . فوق ذلك . وقد قيل : إن امرأة عمران بن حطان ، قالت له : أما رعمت أنت أن تكذب في شعر قط ؟ قال : أو فعلت ؟ قالت : أنت القائل .

فَهَنَّاكَ مَجْرَأةَ بِنِ ثَوْرٍ . . . كَانَ أَشْجَعُ مِنْ أَسَامَةِ

أفيكون رجل أشجع من الأسد ؟ قال : أنا رأيت مجرأة بن ثور فتح مدينة ، والأسد لا يفتح مدينة »^(٣) .

(١) السلوق : الدرع المنسوب إلى سلوق ، قرية باليمن ، الصنداق : الحجر المعبود ، وقاد : أنه حصة : نار حباب ونار أي حباب : الشر الذي يسقط من الزناد . هاهنا من ١٧٣ من شعر ميسنيل القرآن .

(٢) ابن قتيبة — تأويل مشكل القرآن — ١٧٠ و ١٧٣ و ١٧٨ ، تحقيق السيد أحمد مصطفى ١٩٦٣ .

(٣) المبرد — الكامل — ١٢٨/٣ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم — ١٩٦٣ .

ولم يفصل المبرد بين هذه المصطلحات فصلاً واضحاً ، وأغلب الظن أنه تأثر تقسيمات ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) في كتابه « الشعر والشعراء » من حيث جودة ورداءة اللفظ ثم جودة ورداءة المعنى ^(١) ، ونراه بعد أن يجعل « المبالغة » في قول عمران « كان أشجع من أسامة » ، يقرن إليه أبياتاً تدخل في عداد « الغلو » ، الذى ينطبق عليه قوله « ثم زادوا فوق ذلك » وستعرض له فيما بعد .

وفيهما الأشتانندانى (ت ٢٨٨ هـ) « المبالغة » بأنها بلوغ الشيء غاية ، فالبراض بين قيس الكنانى ، يقول :

إِذَا مَا عَلَا السَّيْلُ الرَّبَى فَأَتِ دَارِهِمْ . . . فَعَنَهَا يَمِيلُ السَّيْلُ كُلُّ مُمِيلٍ
وإن ولج الخوف البيوت فإئتهم . . . لَنَا مَعْقِلٌ لَا يُسْتَطَاعُ طَوِيلُ

ويشرح الأشتانندانى أن « علا السيل الربى » مثل ، يقول : إذا بلغ الشر غايته ، وواحدة الربى رُبِيَّةٌ ، وهى حفرة تخفر للأسد ، وينصب فيها جدى أو كلب . ولا تخفر إلا فى علو من الأرض ، فإذا بلغ السيل ذلك الموضع ، فقد بلغ الغاية ^(٢) .

ويقول فى قول رجل من بنى كبير من الأزد :

شَدَا وَرَدَاؤُهُ لِهَيْتِ حُجَيْرٍ . . . وَرَحْتُ أَجْرُ ثَوْبِي أَرْجَوَانِي
كَلَانَا اخْتَارَ فَاظْطَرَّ كَيْفَ تَبْقَى . . . أَحَادِيثُ الرِّجَالِ عَلَى الزَّمَانِ
« حُجَيْر » أخوه ، وكان أبوهما قُتِلَ ، فَطَلَبَ هذا الشاعر بدم أبيه ، ولم يطلب حُجَيْرَ به ، يقول : فتوب حجير أبيض ، من قوطم « دم فلان فى ثوب فلان » وليس هناك د . . . و « الأرجوان » فارسي معرب ، وهو شدة الحمرة ، يقال :

(١) ابن قتيبة — الشعر والشعراء — ٧٠ وما بعدها تحقيق أحمد محمد شاكر ط ٣ سنة ١٩٧٧ م .

(٢) وقوله « فعنها يميل السيل كل مميل » ، هذا أيضاً مثل ، يقول : هم فى عزة ومنعة والخوف لا يصل إلى دراهم ، فجعل الخوف كالسيل ، ولا سيل هناك ، و « المعقل » الملقب ولا يكون إلا فى جبل ، ومن ذلك قبل لمعد إذا امتنع فى الجبل « عاقل » — الأشتانندانى ص ١٥ و ١٦ من معانى الشعر .

هو القرمز ، يقال : ثوب أرجوان ، إذا بولغ في نعت حمرة »^(١) .

ولم يوضح ثعلب (ت ٢٩١ هـ) ، ماذا يقصد بـ « الإفراط والغلو في المعنى واكتفى بأن قال : الإفراط في الإغراق ، كقول امرئ القيس :

وَقَدْ اغْتَدَى وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا . . بِمُنَجَّرٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَل
ثم أردفها بعدة شواهد يخرج بعضها عن حد القصد في التشبيه أو الاستعارة أو الكناية^(٢) .

وينقل مصطلح « الإفراط في الصفة » الذي تردد عند ابن قتيبة والميد وثعلب ، إلى ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) ، ويدين به الإسراف أو الغرابة أم الخمر .
عن المألوف ، ونلمس هذا من واقع الشواهد التي أتى بها ، يقول :
قال أبو نواس :

مَلِكٌ أَعَزُّ إِذَا احْتَبَى بِنَجَادِهِ . . غَمَرُ الْجَمَاجِمِ وَالسَّمَاطُ قَبَاهُ
ويقول : ثم أسرف الخثعمي حتى خرج من حد الإنسان ، فقال :
يُذَلِّي يَدَيْهِ إِلَى الْقَلْبِ فَيَسْتَقِي فِي سُرْجِهِ بَذَلِ الرِّشَاءِ الْمَكْرَبِ^(٣)
وأكثر « الإفراط في الصفة » عنده في شعر الخجاء^(٤)

(١) وقوله « كلانا اختار » ، يريد أن حجراً اختار الموهبي ، وما في طلب الثار . واحتوت أنا الجذ والتشهير ، ثم قال : فانظر كيف تبقى أحاديثنا من بعدنا . إذا ذُكِرَ بالفتوة والحزم ، وذكرنا بالضعف — الأثنان — معاني الشعر — ٣٠ — تحقيق عز الدين السويحي — موضوعات مديونة إحياء التراث القديم — دمشق ١٩٦٩ م .

(٢) ثعلب — قواعد الشعر — ٣٩ وما بعدها ، تحقيق محمد عبد المنعم حناحي في مصطلحي الخنسي ١٩٤٨ م .

(٣) لأبي نواس يمدح محمداً الأمين ، وفي الكامل للمبرد « سعد ليمان — ١٣٨/٣ ط (أبي الفضل) — وغمر الجماجم : أي فرع القوم وعلاهم بطول قامته — السَمَاطُ : العصف ، يقال : منى من سمطين من الخنود وغيرهم ، ويقصد بالجماجم : الرؤوس . الخجاء : سمائل السيف .

(٤) المكرب : من الخيل ، ما كان يحكم القتل ، شديد الأسر .

(٥) البديع — ٦٥ وما بعدها ، تحقيق كراتشكوفسكي .

وعند الزجاج (ت ٣١١ هـ) تعنى المبالغة : تمام القدرة واستحكامها ، ففى قوله تعالى « ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض » [المائدة — ٤٠] يقول : ومعنى المُلْك فى اللغة : تمام القدرة واستحكامها ، فما كان مما يقال فيه مِلْكٌ سَمِيَ المُلْك ، وما نالته القدرة ، مما يقال فيه مالك فهو مِلْك ... وأصل هذا من قولهم « مَلَكْتُ العَجِينَ أَمْلَكُهُ » إذا بالغت فى عجنه ، ومن هذا قيل فى التزويج ، شهدنا « إِملاك » فلان ، أى شهدنا عقد أمر نكاحه وتشديده^(١) .

و « المبالغة » عند ابن طباطبَا (ت ٣٢٢ هـ) غير « الغلو » ، فالأولى مقبولة طالما أبدع قائلوها فى الوصف ، ولم يتجاوزوا المقدار ، والأخرى ، حين يسرفون ولا يوفقون فى الوصف ، أو فى اختيار اللفظ ، ومن أمثلة المبالغة عنده ، قول الفرزدق :

لَقَدْ حِفْتُ حَتَّى لَوْ أَرَى الْمَوْتَ مُقْبِلًا * لَيَأْخُذَنِي وَالْمَوْتُ يُكْرَهُ زَائِرُهُ
لَكَانَ مِنَ الْحِجَااجِ أَهْوَنَ رَوْعَةً * إِذَا هُوَ أَغْفَى وَهُوَ سَامٍ نَوَاطِرُهُ

يقول ابن طباطبا : فانظر إلى لطفه فى قوله « إذا هو أغفى » ليكون أشد مبالغة فى الوصف ، اذ وصفه عند إغفائه بالموت ، فما ظنك به ناظرًا متأملًا متيقظًا ؟ ثم نرّاه عن الإغفاء ، فقال « وهو سام نواظره » .

ومن أمثلة « الغلو » ، قول النابغة :

تُخْدِي بِهِمْ أَدَمَ كَأَنَّ رِحَالَهَا * عَلَّقَ أَرِيْقَ عَلَى مُتُونِ صَوَارٍ^(٢)

أو قول النابغة الجعدي :

كَأَنَّ حِجَااجَ مُقْلَتِهَا قَلِيْبٌ * مِنَ السَّمَقِيْنَ أَخْلَقَ مُسْتَقَاهَا^(٣)

(١) - الزجاج - معاني القرآن وإعرابه - ١٦٨/١ تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبى ط بيروت .

(٢) تخدى : من الخدى ، وهو سرعة السير من البعير وغيره مع زج قوائمه - والأدم : الإبل التى فى لونها أدمة ، والعلق : الدلو ، والتمن : الظهر ، والصوار : القطيع من البقر .

(٣) فى الصناعتين - « قليب من السَّمَقِيْنَ يَخْلُقُ مستقاهها » - ٢٦٤ ، والقلب : البئر ، وأخلق : بلى ، والسَّمَق : عمود الخباء ، وهو أقرب إلى المعنى من « السَّمَقِيْنَ » ، والبسق : أى العلو والارتفاع .

ويقول : « والحجاج لا يغور ، لأنه العظم الذى ينبت عليه شعر الحاجب »^(١) .

ويفرق قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) بين ثلاثة مصطلحات تفريقا واضحا ، وهى « المبالغة » و « الغلو » و « الامتناع » ، مما يجعلنا نستطيع أن نضع « المبالغة والغلو » فى إطار واحد ، ونجعل « الامتناع » نقيضهما .

والمبالغة عند قدامة هى « أن يذكر الشاعر حالاً من الأحوال فى شعر ، لو وقف عليها لأجزأه ذلك فى الغرض الذى قصده ، فلا يقف حتى يزيد فى معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون أبلغ ، فيما قصد إليه ، وذلك مثل قول عمير بن الأبهيم التغلبى .

وَتُكْرِمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا . . . وَتَتَّبِعُهُ الْكَرَامَةُ حَيْثُ مَا لَا
فإكرامهم للجار مادام فيهم ، من الأخلاق الجميلة الموصوفة^(٢) واتباعهم إياه
الكرامة حيث كان من المبالغة فى الجميل^(٣) .

أى أن المبالغة عدم الاختصار على الحد الأوسط فى المعنى ، وإنما هى إضافة لمزيد من البيان ، والتوكيد ، وتمكين الصورة فى ذهن المستمع ، مثلما قال رؤاس بين تميم ، أحد الغطاريف الأزدى :

وَأَنَا لِنُصِيفِ النُّصْفِ مِنَّا وَأَنَا . . . لَنَأْخُذُهُ مِنْ كُلِّ أَبْلَحِ ظَالِمٍ
« فالتوكيد فى قوله : وَأَنَا لَنَأْخُذُهُ مِنْ كُلِّ أَبْلَحِ ظَالِمٍ ، فهذه مبالغة مضاعفة مكررة . . . »^(٤)

(١) ابن طباطبا — ٨٨ و ١٢٦ وما بعدها ، عيار الشعر تحقيق د. محمد زغلول سلام ط ٣ ، منشأة المعارف ، بالإسكندرية ١٩٨٥ م .

(٢) الموصوفة : المستحبة .

(٣) قدامة بن جعفر — نقد الشعر — ١٦٠ تحقيق كمال مصطفى — الخانجي سنة ١٩٦٣ م ، وبمثل هذا عرف المبالغة فى كتابه « جواهر الألفاظ » « فهى أن يذكر المعنى بما لو اقتصر عليه لكان كافيا فيما قصده ، فلا يقتصر على ذلك حتى تؤكد معانيه ، وتعتمد المبالغة فيه ، مثل قول أعرابي ذعاً ربّه ، فقال « اللهم إن كان رزقى نائيا فقرّبه ، وإن كان قريبا فيسرّه ، أو مُيسراً فتعجله ، أو قليلا فكثره ، أو كثيراً فثمره » ص ٦ — تحقيق محمد محيى الدين عبد الحنيد ، ط الخانجي ١٩٣٢ م .

(٤) نقد الشعر — ١٦٢ . والنص : الحق الكامل ، الأبلح : المتكبر الأحمق .

وفي تعريفه « للغلو » يقدم لنا المفهوم الأمثل للمبالغة ، و « الغلو » هذا مقبول عنده ، وأجود من الاقتصار على الأوسط ، وهو — كما يقول — ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديما ، وقد بلغه عن بعضهم أنه قال : أحسن الشعر أكذبه ، وكذا ترى فلاسفة اليونان في الشعر على مذهبهم «^(١)» .

وتعريف « الغلو » عنده : تجاوز في نعت ما للشئ أن يكون عليه ، وليس خارجا عن طباعه ، إلى مالا يجوز أن يقع له ، فمثل قول النمر بن تولب :
تظل تحفر عنه إن ضربت به . . . بعد الذراعين والساقين والهادي^(٢)
فليس خارجا عن طباع السيف أن يقطع الذراعين والساقين والهادي ، وأن يؤثر بعد ذلك ، ويغوص في الأرض ، ولكنه مما لا يكاد أن يكون .
وكذلك قول مهلهل :

فلولا الريح أسمع أهل حجر . . . صليل البيض تُقرع بالذكور^(٣)
فإنه أيضا ليس يخرج عن طباع أهل حجر ، أن يسمعو الأصوات من الأماكن البعيدة ، ولا خارج عن طباع البيض أن تصل ويشتد طنينها بقرع السيوف إياها ، ولكن يتعد بُعد المسافة موضع الوقعة ، وحجر ، بُعدا لا يكاد يقع^(٤) .

فقدامة قد ربط بين الصورة الفنية المتخيلة ، والواقع الملموس المعيش ، فسقط في التناقض ، فلا ضير من أن سيف النمر بن تولب مما لا يكاد أن يكون ، وأن المسافة بعيدة بين الوقعة ومكان حجر بعدا لا يكاد يقع ، طالما أن هذا الأمر « ليس خارجا عن طباع الموصوف » كما ذكر هو .

(١) المصدر نفسه — ٦٥ .

(٢) الهادي : العنق ، والجمع : هَوَادٍ ، وذلك لتقدمه على البدن ، ولأنه يهدى الجسم .

(٣) حجر : قصة انجامة ، وإقامتهم كانت بالجزيرة ، والصليل : الصوت ، والذكور : السيوف التي عملت من حديد يابس شديد .

(٤) نقد الشعر — ٢٤٣ وانظر ص ٦٢ منه .

وقد سيطر هذا الفهم على كثير من البلاغيين من بعد قدامة وأبرزهم أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) .

أما الجرجاني — على بن عبد العزيز (ت ٣٣٧ هـ) ، فيحكم الذوق في قضية المبالغة ، ما قبله الذوق السليم فهو جيد ، وما مَجَّه فهو ردىء ، ثم هو يحذر من اتخاذ الذوق مذهباً ، كيلا يؤدي الأمر إلى فساد اللغة ، وكان ذلك في أثناء حديثه عن الاستعارة عند المتنبي^(١) .

وفي باب « غلو القدامى » يقول « فأما الإفراط فمذهب عام في المحدثين ، وموجود كثير في الأوائل » والناس فيه مختلفون ، فمستحسن قابل ، ومستقبح راد ، وله رسوم ، متى وقف الشاعر عندها ، ولم يتجاوز الوصف حَدَّها ، جمع بين القصد والاستيفاء ، وسلم من النقص والاعتداء ، فإذا تجاوزها اتسعت له الغاية ، وأدته الحال إلى الإحالة ، وإنما الإحالة نتيجة الإفراط ، وشعبة من الإغراق ، والباب واحد ، ولكن له دَرَجَاتٌ ومراتب »^(٢) .

فالجرجاني — كما ترى — فَوَّض الأمر إلى الذوق في الحكم على سلامة المبالغة ، ولكنه طالب المحدثين من الشعراء بالاعتدال في الاقتداء بالسالفين ، وألا يتشوقون إلى سبق الفضل عليهم ، فيقعوا في الإحالة ، التي هي نتيجة الإفراط ، وشعبة من الإغراق ، وبالرغم من ذلك ، لم يوضح الجرجاني ماذا يقصد بالإفراط ؟ أو الإغراق ؟ وما حدودهما ؟

ونكتفى بلمحته الذكية ، بأن الإفراط الذى وقع فيه المحدثون من الشعراء ، إنما كان من أثر تكييلهم بعمود الشعر العتيق ، الذى فَرَضَ عليهم فَرَضاً^(٣) .

وبينما يرى أبو على القالى (ت ٣٥٦ هـ) أن المبالغة تفيد الكثرة^(٤) رأى الآمدى (ت ٣٧٠ هـ) أنها « التناهى في الصفة » ، كما قال في آية « واسأل القرية التى كنا فيها » [يوسف — ٨٢] ، يريد أهل القرية ، وإن شئت جعلت

(١) الجرجاني — الوساطة — ٤٢٩ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والبجاوى ، الطبعة الثالثة — الحلبي .

(٢) الوساطة — ٢٤٠

(٣) نفسه — ٤٢٣

(٤) الأمالى — ١٩٣/١ ط بولاق — الأولى ١٣٢٤ هـ

هنداً هي الحسن ، ودعداً هي الجمال كما قالت الخنساء :
تَرْتَعُ مَا رَتَعْتُ حَتَّى إِذَا اذْكُرْتُ . : فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ
على المبالغة ، لما كانتا غائتين فيهما ، وجعلت زيداً هو الهرم ، وعبد الله هو
التيه ، لما كانا متناهيين في هذين الوصفين^(١) .

وتكون المبالغة لائقة مستحسنة « إذا دلت على الوصف الذي يخص
الموصوف ، لا بالشئ الذي يخص غيره »^(٢) .
وهو يردد رأى ابن قتيبة في أن المبالغة في الوصف على نية « يكاد
يفعل »^(٣) .

أما « الإحالة » فهي الخروج عن طبيعة الأشياء ، فلو كان أبو تمام حين
قال :

مِنَ الْهَيْفِ لَوْ أَنَّ الْخَلَاحِلَ صُيِّرَتْ . : لَهَا وَشُحاً جَالَتْ عَلَيْهَا الْخَلَاحِلُ^(٤)

قال : « لو أن الخلاجل صُيِّرَتْ لها نطقاً » لكان قد أتى بالصواب ، لأن
النطاق هو كل ما يُدار على الخضر مثل المنطقة من سَيْرٍ كان أو ثوب أو
غيرهما ، أو لو قال « حُقباً » لأن الحِقَاب والنُّطَاق بمنزلة واحدة^(٥) .

والمقياس عند الآمدي في هذا — الصحة اللغوية وموافقة العرف — « لأن من
عادة العرب أنها لا تكاد تذكر « الهيف » و « طى الكشح » و « دقة الخضر »
إلا إذا ذكرت معه من الأعضاء ما يستحب فيه الامتلاء والغَلْظ »^(٦) .

(١) الآمدي — الموابنة — ١٦٦ تحقيق السيد أحمد صقر ط دار المعارف .

(٢) نفسه — ١٥٠

(٣) لأويل مشكل القرآن — ١٧٢

(٤) اهيف : الرقيقات ، والخلاجل : حلّى يلبس في الساق ، والوشح : شبه قلائد عريضة تشد بين
الكشف والخاصرة .

(٥) الموابنة — ١٥٠

(٦) نفسه — ١٤٤

وفي الأغلب — قد تأثر الآمدي بقدامة — وبخاصة في قوله « إن الشاعر حين يغلو في الوصف بحيث يخرج بما يصفه عن الموجود ، ويدخل في باب المعدم ، فإنما يريد به المثل ، وبلوغ النهاية في النعت »^(١) — وهذا ما رآه الآمدي في بيت النابغة :

إِذَا ارْتَعَثْتَ خَافَ الْجَبَانَ ارْتِعَاتُهَا . وَمَنْ يَتَعَلَّقُ حَبْتُ غُلُقٍ يَفْرُقُ
فجعل القِرْط يخاف أن يسقط من هناك فيهلك ، وإنما أخرج هذا كالمثل ، أى لو كان مما يقع منه الخوف ، لخاف^(٢) .

أما الرماني (ت ٣٨٤ هـ) فالمبالغة عنده^(٣) « الدلالة على كبر المعنى » على جهة التغير من أصل اللغة لتلك الإبانة ، والتغير عن أصل اللغة للإبانة أما أن يكون بالصيغ القياسية الصرفية ، كـ « فَعَالٌ وَمُنْعَالٌ وَفَعُولٌ وَمُنْعَدٌ » ، وإما بتغيير الصياغة ، وله عدة طرق :

— بأن توضع الصيغة العامة موضع الخاصة ، كقوله تعالى : « خالق كل شيء » [الأنعام — ١٠٢] .
— أو إخراج الكلام مخرج الإنجاز عن الأعظم الأكبر . كقوله تعالى : « وجاء ربك والملك صفاً صفاً » [الفجر — ٢٢] : فحذف مجيء دلالات آيات مجيئاً له على المبالغة في الكلام^(٤)

(١) ارتعت المرأة : تحلت بالزواج ، وهو القِرْط ، ويفرق : يخاف .

(٢) الموازنة — ١٤٢ وما بعدها .

(٣) الرماني — النكت في إعجاز القرآن — ص ٩٦ تحفيظ د. محمد رشيد سليمه من دار الفعاليات .

(٤) اعتبر المعتزلة جميع الآيات القرآنية التي تتضمن معنى المجازية ، محذرة ، وتأويلها ، بقول الخاضع عبد الجبار « فلو جاز المجيء عليه لجاز عليه المشي والانتقال . . . » سورة الفجر عن المطالع ص ٥٦٢ د. بيروت ، ويقول الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) ، « وأدب الله كلامه فظهرت فيه أدلة على أدلة العقول ، وجب صرفه عن ظاهره ، إن كان له ظاهر ، وحمله على ما يوافق الأدلة العقلية وبطابقها » أمالي المرتضى (غرر القوائد ودرر القلائد) ١/٥٦٠ . تحفيظ محمد أنس العفيل إبراهيم .

— أو إخراج الممكن إلى الممتنع للمبالغة ، نحو قوله تعالى « ولا يدخلون الجنة حتى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ » [الأعراف — ٤٠] (١) .

— أو إخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة في العدل ، والمظاهرة في الحجاج ، فمن ذلك « وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين » [سبأ — ٢٤] (٢) ، ومنه « قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين » [الزخرف — ٨١] .

— أو حذف الأجوبة للمبالغة ، كقوله تعالى « ص والقرآن ذى الذِّكْرِ » [ص — ١] (٣) ، كأنه قيل : لجاء الحق ، أو لعظم الأمر ، أو لجاء بالصدق ، وكل ذلك يذهب إليه الوهم ، لما فيه من التفخيم ، والحذف أبلغ من الذِّكْر ، لأنَّ الذِّكْرَ يقتصر على وجه ، والحذف يذهب فيه الوهم إلى كل وجه من التعظيم ، لما تضمنه من والتفخيم .

وفى مقارنة بين قول كثير فى عبد الملك ، وقول الأعشى لقيس بن معدي كرب ، يذهب المرزبانى (ت ٣٨٤ هـ) مذهب قدامة فى المبالغة ، يقول : « رأيت أهل العلم بالشعر يفضلون قول الأعشى فى هذا المعنى :

وَإِذَا تَجَيَّءُ كَتِيبَةٌ مَلْمُومَةٌ . . . خَرَسَاءُ يَحْشَى الدَّائِدُونَ نَهَالَهَا
كُنْتُ الْمَقْدَمَ خَيْرَ لَابِسِ جُنَّةٍ . . . بِالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعَلِّمًا أَبْطَالَهَا (٤)

على قول كثير :

عَلَى ابْنِ أَبِي الْعَاصِي دَلَّاصٌ حَصِينَةٌ . . . أَجَادَ الْمُسَدَّى سَرَدَهَا وَأَذَالَهَا

(١) الآية « إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها ، لا تفتح لهم أبواب السماء ، ولا يدخلون الجنة حتى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ، وكذلك تجزى المجرمين » .

(٢) الآية « قل من يرزقكم من السموات والأرض ، قل الله ، وإنا أو إياكم لعلى هدى ، أو فى ضلال مبين » .

(٣) وبسببها : نال الذين كثروا فى عزة وشقاق « — ص — ٢

(٤) مَلْمُومَةٌ : مجتمعة ، يذود : يدافع ، نهالها : يريد رماحها وسيوفها ، والنهال : العطاش ، كأنها ظامعة إلى شرب الندى .

يُورِدُ ضَعِيفَ الْقَوْمِ حَمْلٌ قَتِيرُهَا .: وَيَسْتَضْلِعُ الْقَوْمُ الْأَشْمُ احْتِمَالُهَا^(١)

لأن المبالغة أحسن عندهم من الاقتصار على الأمر الأوسط ، والأعشى بالغ في وصف الشجاعة حتى جعل الشجاع شديد الإقدام بغير جُنَّة ، على أنه وإن كان لبس الجُنَّة أولى بالحزم وأحق بالصواب ، ففي وصف الأعشى دليل قوى على شدة شجاعة صاحبه ، لأن الصواب له ، ولا يغيره إلا لبس الجُنَّة^(٢) .

وهذا الوصف المنقول عن قدامة^(٣) ، يبين أن المبالغة هي الخطوة التالية للمرحلة الوسطى في التعبير ، هي المرحلة التي يضيف فيها الفنان من العناصر على صورته الفنية ، ما يجعلها متفردة متميزة .

والمبالغة عند ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، زيادة في المعنى تقتضى زيادة في بناء اللفظ ، « فإذا أرادوا المبالغة في جمال ووضاء رجل ، قالوا : وُضَاءٌ ، وَجُمَّالٌ ، فزادوا في اللفظ هذه الزيادة لزيادة معناه »^(٤) .

أما العسكري (ت ٣٩٥ هـ) ، فقد أفرد فصلاً للدرس « الغلو » ، وآخر لدرس المبالغة ، وأبو هلال يمتح من رصيد ضخيم قد صنعتها جهود اللغويين والنقاد والبلاغيين والأدباء والمفسرين والمتكلمين ، بالإضافة إلى أبي أحمد العسكري خاله وأستاذه ، الذي أكثر الأخذ عنه مشافهة^(٥) .

وبالرغم من ذلك ، فللعسكري شخصيته المتميزة^(٦) فقد توسع في موضوع درسه ، وحاول أن يجمع له من الشواهد ما لا نجده عند غيره ، مضيفاً إليه من شعره هو ، حتى صار « الصناعتين » ، معلماً جامعاً لجهود من قبله ، ومؤثراً بارزاً فيمن بعده ، وقد عرف المبالغة بأنها « أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته ، وأبعد

(١) الدلائل من الدروع : اللينة الملساء ، سردها : نسجها ، وتداخل الخلق بعضها في بعض ، وأذاها : أطال ذيلها ، والقتر : رعب المسامير في الدروع ، ويراد بها الدروع أيضاً ، ويستضلع : يستثقل .

(٢) المرزبانى — الموشح — ٢٣١ تحقيق البجاوى ، دار نهضة مصر — ١٩٦٥ م .

(٣) قدامة — نقد الشعر — ٧٤

(٤) ابن جنى — الخصائص — ٢٦٦/٣ تحقيق محمد على النجار ، الطبعة الثانية المصورة .

(٥) د. شوق ضيف — البلاغة تطور وتاريخ — ١٤١ ط الأولى — ١٩٦٥ م .

(٦) انظر د. بدوى طبانة — أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية — ص ٧٣ « منابع بلاغته ونقده » وص ١٢١ ، « منهج أبى هلال » — ط الأنجلو الثانية — ١٩٦٠ م .

نهاياته ، ولا تقتصر في العبارة عنه على أدنى منازل ، وأقرب مراتبه « ومثاله في القرآن الكريم ، قوله تعالى «يوم» ترونها تذهل كل مُرضِعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سُكَّاراً وما هم بسُكَّارٌ » [الحج — ٢] ولو قال : تذهل كل امرأة عن ولدها ، لكان بياناً حسناً ، وبلاغة كاملة ، وإنما تحسن المرضعة للمبالغة ، لأن المرضعة أشفق على ولدها ، لمعرفة حاجته إليها ، وأشغف به لقربه منها ، ولزومه لها ، لا يفارقها ليلاً ولا نهاراً ، وعلى حسب القرب تكون المحبة والإلف ^(١) .

ثم أتى بتعريف قدامة للمبالغة ، دون أن يسنده إليه ، وهو « أن يذكر المتكلم حالاً لو وقف عليها أجزؤه في غرضه منها ، فيجاوز ذلك حتى يزيد في المعنى زيادة تؤكد ، وتلحق به لاحقة تؤيده ، كقول عمير بن الأيهم :

وَنُكْرِمُ بَجَارِنَا مَا دَامَ فِينَا . . وَتُتْبِعُهُ الْكَرَامَةُ حَيْثُ مَا لَا ^(٢)

والعسكري هنا ، يدور في دائرة تعريف قدامة للمبالغة ، وبالرغم من أن تعريفه له قد مزج فيه بين فهم قدامة للمبالغة ، والغلو معا ، ثم هو في درس « الغلو » يضطرب به الأمر ، وسنوضح ذلك في حينه إن شاء الله .

وللشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ) جهد كبير في درس المبالغة في تلخيصه « البيان في مجازات القرآن » مثلما بذل أخوه المرتضى (ت ٥٣٦ هـ) في أماليه ، وهما تلميذا القاضي عبد الجبار ، لذا تشابهت الآراء .

فالمبالغة عنده تعنى : الإبعاد في الغاية ، ففي قوله تعالى « والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون » [الشعراء — ٢٢٤ و ٢٢٥] يقول « ... ووصف الشعراء بالهيمن فيه فرط مبالغة في صفتهم بالذهاب في أقطارها ، والإبعاد في غاياتها ، لأن قوله سبحانه « يهيمون » ، أبلغ في هذا المعنى من قوله : « يسعون ، ويسبرون » ^(٣) والمبالغة تعنى أيضاً الكثير في الفعل ^(٤) .

(١) الصناعتين — ٣٧٨

(٢) نفسه — ٣٧٩

(٣) تلخيص البيان في مجازات القرآن — ٢٥٩ تحقيق محمد عبد الغنى حسن ، ط الحلبي ١٩٥٥ م .

(٤) انظر قوله في آية « وما أبرئ نفسي ، إن النفس لأثمة بالسوء ، ألا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم » يوسف — ٥٣ ص ١٧٢ .

يُؤَوِّدُ ضَعِيفَ الْقَوْمِ حَمْلَ قَتِيرِهَا .: وَيَسْتَضْلِعُ الْقَوْمُ الْأَشْمُ احْتِمَالَهَا^(١)

لأن المبالغة أحسن عندهم من الاقتصار على الأمر الأوسط ، والأعشى بالغ في وصف الشجاعة حتى جعل الشجاع شديداً الإقدام بغير جُنَّة ، على أنه وإن كان لبس الجُنَّة أولى بالحزم وأحق بالصواب ، ففي وصف الأعشى دليل قوى على شدة شجاعة صاحبه ، لأن الصواب له ، ولا يغيره إلا لبس الجُنَّة^(٢) .

وهذا الوصف المنقول عن قدامة^(٣) ، يبين أن المبالغة هي الخطوة التالية للمرحلة الوسطى في التعبير ، هي المرحلة التي يضيف فيها الفنان من العناصر على صورته الفنية ، ما يجعلها متفردة متميزة .

والمبالغة عند ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، زيادة في المعنى تقتضي زيادة في بناء اللفظ ، « فإذا أرادوا المبالغة في جمال ووضاء رجل ، قالوا : وَضَاءٌ ، وَجَمَّالٌ ، فزادوا في اللفظ هذه الزيادة لزيادة معناه »^(٤) .

أما العسكري (ت ٣٩٥ هـ) ، فقد أفرد فصلاً للدرس « الغلو » ، وآخر لدرس المبالغة ، وأبو هلال يمتح من رصيد ضخم قد صنعتها جهود اللغويين والنقاد والبلاغيين والأدباء والمفسرين والمتكلمين ، بالإضافة إلى أبي أحمد العسكري خاله وأستاذه ، الذي أكثر الأخذ عنه مشافهة^(٥) .

وبالرغم من ذلك ، فللعسكري شخصيته المتميزة^(٦) فقد توسع في موضوع درسه ، وحاول أن يجمع له من الشواهد ما لا نجده عند غيره ، مضيفاً إليه من شعره هو ، حتى صار « الصناعتين » ، معلماً جامعاً لجهود من قبله ، ومؤثراً بارزاً فيمن بعده ، وقد عرف المبالغة بأنها « أن تبلغ بالمعنى أقصى غاياته ، وأبعد

(١) الدلائل من الدروع : اللينة الملساء ، سردها : نسجها ، وتداخل الخلق بعضها في بعض ، وأذاها : أطال ذيلها ، والقتير : رهوس المسامير في الدروع ، ويأد بها الدروع أيضاً ، ويستضلع : يستثقل .

(٢) المرزبانى — الموشح — ٢٣١ تحقيق البجاوى ، ط دار نهضة مصر — ١٩٦٥ م .

(٣) قدامة — نقد الشعر — ٧٤

(٤) ابن جني — الخصائص — ٢٦٦/٣ تحقيق محمد على النجار ، الطبعة الثانية المصورة .

(٥) د. شوقي ضيف — البلاغة تطور وتاريخ — ١٤١ ط الأولى — ١٩٦٥ م .

(٦) انظر د. بدوى طبانة — أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية — ص ٧٣ « منابع بلاغته ونقده » ص ١٢١ ، « منهج أبى هلال » — ط الأنجلو الثانية — ١٩٦٠ م .

نهاياته ، ولا تقتصر في العبارة عنه على أدنى منازل ، وأقرب مراتبه « ومثاله في القرآن الكريم ، قوله تعالى «يوم» ترونها تذهل كل مُرضعة عما أرضعت ، وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى » [الحج — ٢] ولو قال : تذهل كل امرأة عن ولدها ، لكان بيانا حسنا ، وبلاغة كاملة ، وإنما خصّ المرضعة للمبالغة ، لأن المرضعة أشفق على ولدها ، لمعرفة حاجته إليها ، وأشغف به لقربه منها ، ولزومه لها ، لا يفارقها ليلا ولا نهاراً ، وعلى حسب القرب تكون المحبة والإلف ^(١) .

ثم أتى بتعريف قدامة للمبالغة ، دون أن يسنده إليه ، وهو « أن يذكر المتكلم حالاً لو وقف عليها أجزأه في غرضه منها ، فيجاوز ذلك حتى يزيد في المعنى زيادة تؤكد ، وتلحق به لاحقة تؤيده ، كقول عمير بن الأيهم :

وَنُكْرِمُ جَارَنَا مَا دَامَ فِينَا . . . وَتُبْعُهُ الْكَرَامَةَ حَيْثُ مَا لَا (٢)

والعسكري هنا ، يدور في دائرة تعريف قدامة للمبالغة ، وبالرغم من أن تعريفه له قد مزج فيه بين فهم قدامة للمبالغة ، والغلو معا ، ثم هو في درس « الغلو » يضطرب به الأمر ، وسنوضح ذلك في حينه إن شاء الله .

وللشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ) جهد كبير في درس المبالغة في تلخيصه « البيان في مجازات القرآن » مثلما بذل أخوه المرتضى (ت ٥٣٦ هـ) في أماليه ، وهما تلميذا القاضي عبد الجبار ، لذا تشابهت الآراء .

فالمبالغة عنده تعنى : الإبعاد في الغاية ، ففي قوله تعالى « والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون » [الشعراء — ٢٢٤ و ٢٢٥] يقول « ... ووصف الشعراء بالهيمان فيه فرط مبالغة في صفتهم بالذهاب في أقطابها ، والإبعاد في غاياتها ، لأن قوله سبحانه « يهيمون » ، أبلغ في هذا المعنى من قوله : « يسعون ، ويسيرون » ^(٣) والمبالغة تعنى أيضا الكثير في الفعل ^(٤) .

(١) الصناعتين — ٣٧٨

(٢) نفسه — ٣٧٩

(٣) تلخيص البيان في مجازات القرآن — ٢٥٩ تحقيق محمد عبد الغنى حسن ، ط الحلبي ١٩٥٥ م .

(٤) انظر قوله في آية « وما أبرئ نفسي ، إن النفس لأمارة بالسوء ، إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم » [يوسف — ٥٣] ص ١٧٢ .

ولم يعرف القاضي عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ) مصطلح « المبالغة » ، وإنما هي عنده بمعنى التكثير والتوسع بالخروج عن دائرة الاقتصاد في أداء المعنى ، ومن ثم جعلها أداة للدفاع عن الدين من خلال الأصول الاعتزالية .

فمثلاً يقول « قالوا : ثم ذكر تعالى ما يدل على أن المختار يجوز عليه ، فقال « وهو القاهر فوق عباده » [الأنعام — ١٨] ، « وقوى » إنما يستعمل في اللغة بمعنى المكان إذا علا على مكان غيره ، والجواب عن ذلك : أنه تعالى قد نبه في الكلام على ما أراد بقوله « وهو القاهر » ، ثم ذكر ما يقتضيه بيان حاله في ذلك فقال « فوق عباده » ، وهذا كقوله « يد الله فوق أيديهم » [الفتح — ١٠] ، ومتى قيل هذا القول في بعض الأوصاف ، فالمراد به المبالغة في تلك الصفة ، لأننا إذا قلنا : زيد عالم فوق غيره ، فإنه يفهم منه المبالغة فيما قدمناه من الصفة ، يبين ذلك أننا إذا حملنا الآية على ظاهرها ، وجب كونه في السموات فقط ، وينتضي ما تقدم من استدلالهم على أنه في السموات ، والأرضيين .^(١)

ويثبت عبد الجبار أن الله تعالى لم يخلق أفعال العباد حين به سر قوله تعالى « بديع السموات والأرض أننى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ، وخلق كل شيء » [الأنعام — ١٠١] ، قال : ثم ذكر تعالى ما يدل على أنه خلق أعمال العباد ، فقال « بديع السموات ... » ، وهذا مما تقدم مما لا ريب في عموميه فيجب دخول اكتساب العبد تحته ، والجواب عن ذلك : أن ظاهر « وخلق » يقتضى أنه قدر ودبر ، ولا يوجب في اللغة أنه فعل ذلك وأحدثه ، لذلك قال الشاعر :

وَلَأَنْتَ تُفَرِّى مَا خَلَقْتَ وَبَعْضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ لَكَ لَا يُفَرِّى^(٢)

ومتى حمل الكلام على هذا الوجه ، كان حقيقته : أنه تعالى وإن لم يحدث أفعال العباد ، فقد قدرها ، ودبرها ، وبين أصولها ، فهذا وجهه ، وقد قال بعض

(١) عبد الجبار — المتشابه — ٢٣٧/١ تحقيق د. عدنان زرور مد. دار التراث القاهرة .

(٢) البيت لزهير بن أبى سلى ، ومعناه : أنت إذا قدرت أمراً قطعتنه وأمتصته ، ولم تقدره ، ولا تعطته لأنه ليس بماضى العزم ، وأنت مضى على ما عزمت عليه .

العلماء : إن هذه اللفظة في الاثبات ، ليس المقصد بها التعميم ، كما يقصد ذلك في النفي ، لأن القائل يقول : أكلت كل شيء ، وتحدثنا بكل شيء ، وفعلت كل شيء ، وقال تعالى « تبياناً لكل شيء » [النحل — ٨٩] ^(١) وقال تعالى « تُدْمَرُ كل شيء بأمر ربها » [الأحقاف — ٢٥] وقال « يُجْبَى إليه ثمرات كل شيء » [القصص — ٥٧] ^(٢) .

ولنما المقصد بذلك « المبالغة » في الكثير من ذلك النوع المذكور ، قال : ولا يعرف هذا الكلام في باب الإخبار عما يفعل الإنسان عما يحدث من الأمور مستعملاً إلا على هذا الوجه ، فلا يصح أن يدعى فيه العموم ، فهذا وجه ثان ^(٣) .

وفي كتابه « التنزيه » يفسر المبالغة ، بتفسير العسكري ، أي أن يصل المتكلم بالمعنى إلى أقصى غاياته ، طالما أن من طبيعته ذلك . يقول « وربما قيل في قوله تعالى « قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك » [النمل — ٤٠] ، كيف يصح نقل عرشها من ذلك الموضع البعيد في هذا القدر من الأوقات ، وإن ذلك معلومة استحالاته ؟ وجوابنا : إن سرعة الحركة والتحريك لا يعلم منتهى حده ، فلا سريع إلا ويجوز أسرع منه فلا تمنع صحة ذلك ، إذا كان الله تعالى مَقْوِيّاً له عليه ، ومعنى : « قَبْلُ أن يرتد إليك طرفك » — المبالغة في الإسراع ، لأن ذلك قد يقال في الأمر السريع الشديد السرعة ^(٤) .

وبالنسبة للحاكم الجُشَمِي (ت ٤٩٤ هـ) صاحب « تهذيب التفسير » ^(٥) ، وأستاذ الزمخشري ، فقد أثبت الدكتور عبد الفتاح لاشين أنه تأثر عبد الجبار في درسه للمبالغة ، بأن أورد تعليقاته على الآيات التي أشار إلى المبالغة فيها ^(٦) .

(١) قال تعالى « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء » [النحل — ٨٩] .

(٢) قال تعالى « أولم تكن لهم خزناً ضامناً يُجْبَى إليه ثمرات كل شيء » القصص — ٥٧ .

(٣) عبد الجبار — متشابه القرآن — ٢٥٢/١

(٤) عبد الجبار — التنزيه — ٣٠١ ، نشر دار النهضة الحديثة — بيروت

(٥) د. عبد الفتاح لاشين — بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار — ٦٣٨ ط دار الفكر العربي .

(٦) عن الدكتور عبد الفتاح لاشين — بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار — ٦٣٨ وما بعدها ط دار الفكر العربي .

والمبالغة عند الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) تعنى الكثرة والشدة ، يقول فى قوله تعالى « خُلِقَ الإنسان من عَجَلٍ ، سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فلا تَسْتَعْجِلُون » [الأنبياء — ٣٧] أن معنى القول — فيما يعنى — المبالغة فى وصف الإنسان بكثرة العجلة ، وأنه شديد الاستعجال لما يؤثره من الأمور ، كِهَجِّ باستدناء ما يجلب إليه نفعا ، أو يدفع عنه ضرراً ، ولهم عادة فى استعمال مثل هذه اللفظة عند المبالغة ، كقولهم لمن يصفونه بكثرة النوم : ما تُحِلِّقَتِ إِلَّا من نوم ، وما تُحَلِّقِ فلان إِلَّا من شر ، إذا أرادوا كثرة وقوع الشر منه ، وربما قالوا : ما أنت إِلَّا أَكَلٌ وَشُرْبٌ... »^(١) كما تعنى المبالغة عنده ، العِظَمُ والشدة^(٢) والقدرة^(٣) والكثرة فى الفعل^(٤) :

ويعتبر ابن رشيق القيروانى (ت ٤٥٦ هـ) فى كتابه « العمدة » صَدَيْ لكتاب « الصناعتين » ، إِلَّا أن العسكرى يمتاز عنه بالنزعة إلى الابتكار والجودة فى التصنيف ، والقرب من مواطن الإبداع ، وعصور النضارة ، حيث عاش فى بغداد والبصرة حتى نهاية القرن الرابع الهجرى ، والأمر يختلف بالنسبة للقيروانى ، ولمن عاش فيها حتى النصف الثانى من القرن الخامس ، والذي كان ينقل رأى القدماء فى المشرق ، ويتحرج أن ينقدهم أو يعارضهم ، أخذاً بقاعدة « كلام العقلاء مصون عن الخطأ » — وفى ابن رشيق للمبالغة يستعمل مصطلحات أخرى ، مثل « الغلو » و « الإيغال » و « الإغراق » ، وهو ينقل عن عبد الكريم النهشلى القيروانى ، أستاذة الذى عاش فى النصف الأول من القرن الخامس^(٥) والذي كان يرى أن المبالغة فى صناعة الشعر « كالاستراحة من الشاعرة إذا أعياه إيراد

(١) أُمالى المرتضى « غرر الفوائد ودرر القلائد » ٤٦٥/١

(٢) انظر قوله فى آية « ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا » [الإسراء — ٧٢] الأُمالى — ٨٧/١ و ٨٨

(٣) انظر قوله فى حديث الرسول ﷺ « اللهم مُصَرِّفِ القلوب ، صَرِّفْ قلوبنا إلى طاعتك » الأُمالى ٣١٨/١ و ٣٢٠

(٤) انظر شرحه السابق لآية « خلق الإنسان من عجل » ٤٦٥/١

(٥) انظر « المتع فى صنعة الشعر » لعبد الكريم النهشلى — تحقيق د. محمد زغلول سلام ط منشأة المعارف بالإسكندرية

معنى حسن بالغ ، فشغل الأسماع بما هو محال ، ويُهَوَّل مع ذلك على السامعين — وإنما يقصدها من ليس بمتمكن من محاسن الكلام أن تُمكنه ، ولا يتعذر عليه ، وتنجذب كلما أرادها إليه ^(١) ويعلق ابن رشيق « بأن هذا الكلام فيه كفاية وبلاغة ، إلا أنه فيما يظهر من فحواه — لم يرد إلا ما كان فيه بُعد ، وليس كل مبالغة كذلك » ^(٢) .

ولا جديد عن ابن رشيق ، سوى أن الخاتمي « محمد بن الحسن بن المظفر — أبو علي (ت ٣٨٨ هـ) صاحب « حلية المجاهرة » — نقل حديثه عن « الغلو » من قدامة بعد أن تصرف فيه .

ويمزج ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ) بين رأى ابن قتيبة ورأى قدامة ورأى العسكري ، ويعتمد على جُلِّ شواهدهم ^(٣) .

أما عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) فللمبالغة عنده حديث آخر ، هو قد تأثر فيه على وجه الخصوص بالجرجاني (على بن عبد العزيز ، ت ٣٣٧ هـ) والروائي (ت ٣٨٤ هـ) والعسكري (ت ٣٩٥ هـ) ، ولكنه طَعَّمَهُ بروحه ، وزَوَّدَهُ برحيقه ، وهو لم يفرد للمبالغة حديثاً خاصاً . إنما تعرض لها في أثناء تحليله للنصوص ، فربط بينها وبين الغرض من التشبيه ^(٤) والاستعارة ^(٥) والحذف ^(٦) والتعليل ^(٧) والطباق ^(٨) وفرق بينها وبين الإغراق ^(٩) وأقامها على الإيهام والتجوز ^(١٠)

(١) العمدة — ٥٤/٢ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد — ط دار الجيل — بيروت

(٢) نفسه — ٥٩/٢ ، ونقد الشعر — ٦٥

(٣) ابن سنان الخفاجي — سر الفصاحة — ٢٥٦ تحقيق محمد عبد المتعال الصعيدي ، ط صبيح

١٩٦٩ م

(٤) الأسرار — ٢٣ و ١٤٤ و ١٨٠ ، والتشبيه المعكوس ١٨١ و ٣٢٣ ، تحقيق محمد رشيد رضا —

ط ٦ سنة ١٩٥٩ م ، والدلائل ٦٨ و ٢٦٢ و ٤٢٥ ، تحقيق الشيخ محمود شاكر ط الخانجي

١٩٨٤ م

(٥) الأسرار — ١٨٢ و ١٩٣ و ٢٠٠ ، والدلائل ٤٣٢ و ٤٣٧ و ٤٣٩ و ٤٤٩

(٦) الأسرار — ٢٠٠

(٧) الأسرار — ٢٣٩ (٩) الأسرار — ١٧٧ و ٢٠٤

(٨) الأسرار — ٢١٩ (١٠) الأسرار — ١٨٠ و ١٨٢

وجعل للبراعة فيها فضل السبق ، وميزة التفرد ، وعزة النبوغ ، وهى عنده تعنى « أن يبلغ الواصف فيما يصف غاية الكمال^(١) وأن يكون على فرط الاستقصاء^(٢) حتى لا يحصل عليه مزيد^(٣) والمبالغة عنده ، « درجة تأتى بعد درجة الاقتصاد فى الصفة^(٤) » ، والقول إذا بلغ هذه الدرجة « إذا شاء سحر ، وقلب الصُّور »^(٥) .

والمبالغة عند الرخشى (ت ٥٣٨ هـ) « بلوغ الغاية فى المعنى » ففى قوله تعالى « وقال الذين لا يرجون لقاءنا ، لولا أنزل علينا الملائكة ، أو نرى ربنا ، لقد استكبروا فى أنفسهم ، وعَتَوْا عُنُوتًا كبيراً » [الفرقان — ٢١] ، ويقول « وعَتَوْا : تجاوزوا الحد فى الظلم ... ، وقد وُصِفَ العُتُوُّ بالكبير ، فبالغ فى إفراطه ، يعنى أنهم لم يجسروا على هذا القول العظيم ، إلا لأنهم بلغوا غاية الاستكبار ، وأقصى العُتُوُّ ... »^(٦)

والمبالغة عنده تنبىء عن قوة وقوع الحدث ، يقول فى قوله تعالى « إن الله يُدَافِعُ عن الذين آمنوا » [الحج — ٣٨] ، من قرأ « يدافع » فمعناه : يبالغ فى الدفع عنهم ، كما يبالغ من يُغَالِب فيه ، لأن فعل المغالب يُجِىء أقوى وأبلغ^(٧) ، وفى قوله تعالى « قال أرجئه وأخاه ، وابعث فى المدائن حاشرين ، ويأتون بكل سَحَّار عليم » [الشعراء — ٣٦ و ٣٧] يقول « عَارَضُوا قوله تعالى « إنَّ هذا

(١) الأسرار — ٢٧٧

(٢) الأسرار — ١٤٤

(٣) الأسرار — ٥٤

(٤) الأسرار — ٢٠٢

(٥) الأسرار — ٢٧٧

(٦) الكشف — ٨٨/٣ ط دار المعرفة — بيروت ، وبهامشه كتاب « الانتصاف فيما تضمنه من الاعتزال » لابن المنير السكندرى ، وبآخر الكتاب « تنزيل الآيات على الشواهد على الأبيات » لمحب الدين أفندى ، وانظر قوله فى آية « فَتَبَسَّم ضاحكاً من قولها » [النمل — ١٩] ، الكشف ١٤٢/٣

(٧) الكشف — ١٥/٣ ، وذكر القرطبى فى تفسيره لهذه الآية ... وقرأ نافع « يُدَافِع » و « لولا دِفاع » ، وقرأ أبو عمرو وابن كثير « يَدْفَع » و « لولا دَفْع » ، وقرأ عاصم وحمة والكسائى « يدافع » و « لولا دفع الله » ص ٤٤٥٩ ط الشعب

لساحر عليم» [الشعراء — ٣٤] . بقولهم « بكل سَحَار » فجاءوا بكلمة الإحاطة ، وصفة المبالغة ، ليطامنوا من نفس فرعون ، ويُسَكِّتُوا بعض قلقه ^(١)

وبعد هذا العطاء الخصيب ، والجهد المبدع ، والذهن الوقاد ، والقلم الفنان ، ندع زنجشر ، إحدى قرى خوارزم ، وننتقل إلى الشام ، لنرى ما قاله ابن منقذ (ت ٥٨٤ هـ) في بديعه في المبالغة ^(٢) يقول ابن منقذ « اعلم أن المعنى إذا زاد عن التمام سُمِّيَ « مبالغة » ، وقد اختلفت ألفاظه في كتبهم ، فَسَمَّاهُ قوم : الإفراط ، والغلو ، والإيغال ، والمبالغة ، وبعضه أرفع من بعض ، كما قال زهير :

كَأَنَّ فُتَاتَ الْعَيْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ . . . نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الْفَنَاءِ لَمْ يُحْطَمْ ^(٣)

كأنه تم الكلام عند قوله : حَبُّ الْفَنَاءِ ، ثم قال : لَمْ يُحْطَمْ ، لأنه أشد لحمرة » ثم يستمر ابن منقذ في رصد الشواهد الأدبية بدون أن يتوقف ، ليقول لنا : أين المبالغة من الإفراط من الغلو من الإيغال ؟ وكيف يكونون شيئاً واحداً ؟ وقد سبق له أن أفرد باباً سَمَّاهُ « الإغراق » ، يقول فيه « وهو أن يبالغ في الشيء بلفظه ومعناه ، كما قال المتنبي :

عَهْدِي بِمَعْرَكَةِ الْأَمِيرِ وَخَيْلِهِ . . . فِي النَّجْعِ مُحْجِمَةً عَنِ الْإِحْجَامِ ^(٤)

ولم يتحدث السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) عن المبالغة في « المفتاح » بينما استرسل ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) في حديث عن « الاقتصاد والتفريط والإفراط » ، ويعرف التفريط : بأن يكون المعنى المضمر في العبارة دون ما تقتضيه منزلته المعبرة عنه ، والإفراط : أن يكون المعنى فوق منزلته ، ويقول : وقد ذمه قوم من أهل هذه

(١) الكشف — ١١٢/٣ ، وانظر قوله في آية « وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة » [القصص — ٧٦] والكشاف ١٩٠/٣ ، وآية « فَأَلْقَى مَوْسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَلْجٌ مَاءٌ فَأَكُونُ » [الشعراء — ٤٥] والكشاف — ١١٣/٣

(٢) البديع في نقد الشعر — ١٠٤ وما بعدها . تحقيق د. أحمد أحمد بدوي ود. حامد عبد المجيد ط الحلبى

(٣) من قصيدته : أَمِنْ أَمْ أَوْئَى دِمْنَةً لَمْ تُكَلِّمْ ، والعين : الصوف ، أو المصبرغ ألوانا ، وحب الفناء : حب التعلب

(٤) البديع ل نقد الشعر — ٨٣ وما بعدها .

الصناعة ، وحمده آخرون ، والمذهب عندى استعماله ، فإن أحسن الشعر أكذبه ، بل أصدقه أكذبه ، لكنه تتفاوت درجاته ، فمنه المستحسن الذى عليه مدار الاستعمال ، ولا يطلق على الله سبحانه وتعالى ، لأنه مهما ذكر من معاملات فى صفاته فإنه دون ما يستحقه ، وبما ورد من ذلك فى الشعر ، قول عنترة :

وَأَنَا الْمَنِئَةُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا . . . وَالطَّعْنُ مِنِّي سَابِقُ الْآجَالِ
ومنه ما يستهجن ، كقول النابغة الذبياني :

إِذَا ارْتَعَثْتُ خَافَ الْجَبَانُ رِعَائَهَا . . . وَمَنْ يَتَعَلَّقُ حَيْثُ عُلِقَ يَفْرُقُ^(١)
وهذا يصف طول قامتها ، لكنه من الأوصاف المنكرة ، التى خرجت بها المغالاة عن حيز الاستحسان ، وكذلك قول أبى نواس :
وَأَتَخَفْتُ أَهْلَ الشُّرْكِ حَتَّى إِنَّهُ . . . لَتَخَافُكَ التُّطْفُفُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقِ
وهذا أشد إفراطاً من قول النابغة ... ، ثم يعقد مقارنة بين قولى أبى الطيب المتنبي :

عَقَدْتُ سَنَابِكُهَا عَلَيْهَا عَثِيرًا . . . لَوْ تَبَتَّغِي عَنَقًا عَلَيْهِ لَأُمَكَّنَا^(٢)
وقول قيس بن الخطيم :

مَلَكَتْ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتَقَهَا . . . يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا

يقول : إن قول المتنبي أكثر غلواً فى هذا المعنى ، لكن قول ابن الخطيم أحسن لأنه قريب من الممكن ، فإن الطعنة تنفذ ، حتى يتبين فيها الضوء ، وإما أن

(١) ارتعت : لبست الرعاع وهو القرط.

(٢) السنايك : جمع سنبك وهو طرف مقدم الحافر ، والمعير : الغبار ، والعنق : ضرب من السير شديد ، والمعنى : عقدت سنايك الخيل فوقها غباراً كثيفاً ، لو طُلب عليه السير لأمكن من كشافته . ديوان المتنبي — ٢٠٤/٤ تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ شلبى — نشر دار المعرفة — بيروت .

يجعل المطعون مسلوكاً تُسَلِّكُ ، فإن ذلك مستحيل ، ولا يقال فيه بعيد^(١) وكما يتضح هنا ، لم يُضَيَّفِ ابن الأثير جديداً على تراث البحث البلاغي في « المبالغة » ، وكان من الممكن أن يستلهم حسَّه الفني ، وأن يستمر في المقارنات ؟ لنعرف أين حد « المبالغة » من حد الإغراق من واقع الشواهد التطبيقية ، وأُحْسِبُ أنه لو فعل ذلك لاصطدم بمفهوم المصطلحات التي حبس نفسه فيها من أول الحديث ، وهو الأديب الفنان .

ويتأثر ابن أبي الإصبع (ت ٦٥٤ هـ) ما قاله الرُّمَّانِي (ت ٣٨٤ هـ) صاحب رسالة « النكت » في درس المبالغة ، التي يسميها — ابن أبي الإصبع : « الإفراط في الصفة » ، ويشير إلى أنها تسمية ابن المعتز ، بينما سَمَّاها قدامة « المبالغة » وسَمَّاها من جاء بعدها « التبليغ » ، ويقول ابن أبي الإصبع : إن الناس على تسمية قدامة ، ثم يضيف ابن أبي الإصبع على ما ذكره الرُّمَّانِي من ضروب المبالغة ، ضرباً سادساً وهو : ما بولغ في صفته بطريق التشبيه^(٢) ، ويضيف كذلك أن « جميع مبالغات الكتاب على ضربين : ضرب غير ممكن لا يأتي إلّا مقترباً ، كما في قوله تعالى « يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار » [النور : ٣٤] ، والممكن ، كقوله تعالى « سواء منكم من أسرَّ القول ومن جهر به » [الرعد : ١٠] ، ولما كانت ممكنة جاءت المبالغة فيها غير مقتربة ، لأنها في هذه الآية عرفية ، معنى الكلام فيها « أنَّ عِلْمَ ذلك بالنسبة إلينا ، هو متعذر علينا ، وسَهْلٌ بالنسبة إلى علم الله سبحانه ، فالمبالغة فيها إذاً بالنسبة إلينا ، لا إلى الله عز وجل »^(٣) .

وهذه المعالجة ، سنراها عند الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) وابن الأثير — نجم الدين والقزويني (ت ٧٣٩ هـ) ويحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٩ هـ) ،

(١) المثل السائر — ٣١٥/٢ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .

(٢) وذلك في قوله تعالى « إنها ترمي بثثر » كالفصر ، كأنه جمالاتٌ صُفِّرَ [المرسلات — ٣٢ و

[٣٣

(٣) بديع القرآن — ٥٤ ، تحقيق د. حفيى شرف ، الطبعة الثانية ، دار نهضة مصر .

(٤) البرهان — ٥١/٣ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم — الطبعة الثانية — دار المعرفة ، بيروت

(٥) جوهر الكنز — ١٣٥ و ١٣٩ ، تحقيق د. محمد زغلول سلام ، ط منشأة المعارف بالاسكندرية .

(٦) الإيضاح — ٥١٤ ، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجى ، ط بيروت ، ١٩٨٠ م .

الذى أحسن الاستفادة من عبد الكريم النهشلى ، وابن الأثير ، والزمخشري ، بين إسهاب وتلخيص ، واجتهادات متواضعة^(١) .

ولكن ، ثَمَّة معالجة أخرى ، تعتبر امتداداً لخط قدامة بن جعفر في التأثير بالتراث اليوناني ، وتتمثل في « حازم القرطاجني » صاحب « المنهاج » و « السجلماسي » صاحب « المنزع البديع » ، والفرق بين الثلاثة ، أن قدامة تأثر بالاتجاه اليوناني العام في المنهج ، بينما حاول حازم (ت ٦٨٤ هـ) — ولأول مرة — أن يطبق نظرية أرسطو على النقد والبلاغة في العربية ، أما السجلماسي — معاصر حازم — فحاول أن يضع نظرية شاملة للنقد والبلاغة في العربية من خلال نظرية المحاكاة الأرسطية ، مع التوسع في الشواهد الشعرية ، وضرب الأمثلة .

يثير حازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ) في درسه للمبالغة عدة آراء^(٢) منها :

١ — « أن أفضل الشعر ما حَسُنَّت محاكاته وهيئته ، وأردأ الشعر ما كان قبيح المحاكاة والهيئة ، واضح الكذب ، خليا من الغرابة ، وما أجدر ما كان بهذه الصفة ألا يُسمَّى شعراً »^(٣) .

٢ — « المحاكاة التامة عنده في الوصف هي « استقصاء الأجزاء التي بموالاتها يكمل تخيل الشيء الموصوف ،... ، ولو أدخل بذكر بعض أجزاء هذه

(١) الطراز — ١١٦/٣ ط دار الكتب العلمية — بيروت

(٢) يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي « ... وإذا كان قد ثبت ، أن قدامة لم يتأثر في « نقد الشعر » بكتابي « الخطابة » و « فن الشعر » لأرسطو ، كما برهن على ذلك بُونِيَّكَار Bone bakkar ، ولم نر من ناحية أخرى كتاباً من كتب علماء البلاغة في القرون التالية حتى القرن السابع الهجري ، قد عرض لنظريات أرسطو في البلاغة وفي الشعر ، فإننا نستطيع أن نقول : إن حازماً هو أول من أدخل نظريات أرسطو ، وتعرض لتطبيقها في كتب البلاغة العربية الخالصة ، فلا عبد القاهر الجرجاني في « دلائل الإعجاز » و « أسرار البلاغة » ولا الشهاب الخفاجي في « سر الفصاحة » ولا « السكاكي » في « المفتاح » ولا « ابن رشيق » في « العمدة » ، قد تعرض لهذه النظريات ، وإن كانت لا تغلو من أثر أرسطو ، وفي هذا فضل عظيم لحازم القرطاجني ، يدل على سعة أفقه العلمي ، ومدى فهمه الدقيق لأسرار البلاغة » — انظر « إلى طه حسين في عيد ميلاده » — ص ٨٧ — دراسات مهداة من أصدقائه وتلاميذه — إشراف د. عبد الرحمن بدوي — ط دار المعارف بمصر ١٩٦٢ م

(٣) منهاج البلغاء — ٧١

الحكاية ، لكانت ناقصة ، ولو لم يورد ذكرها إلا إجمالاً ، لم تكن محاكاة ، ولكن إحالة محضة «^(١)» .

٣ — « تتحقق المبالغة في الشعر ، حين يتجاز الشاعر حدود الأوصاف الحقيقية لما يحاكيه ، ويقرنه بما هو أعظم منه حالاً ، أو أحقر ، ليزيد النفوس استمالة إليه ، أو تنفيراً منه »^(٢) .

٤ — « مدار الأوصاف — بالنظر إلى ما يُستَساغ ويؤثر — إنما هو على ما كان واجباً واقعاً ، أو ممكناً معتاد الوقوع أو مقدَّره ، والممكن لا يخلو من أن يتوفر فيه دواعي الإمكان ، أو أن تقل ، وكلما توفرت دواعي الإمكان كان الوصف أوقع في النفس ، وأدخل في حيز الصحة ، ولهذا يقال : ممكن قريب وممكن بعيد ، أما المستحيل فهو الذي لا يمكن وقوعه ولا تصوره ، مثل أن يكون شيء طالعا نازلاً في حال ، والممتنع هو الذي يُتَصَوَّر وإن لم يقع ، كتركيب عضو من حيوان على جسد من حيوان آخر »^(٣) .

٥ — « وقد يستساغ الوصف بما يؤدي إلى الإحاطة ، حيث يقصد التهكم بالشيء ، أو الزرابة عليه ، والإضحاك به ، كقول الطرمّاح :

لَوْ أَنَّ بَرْغُوثًا عَلَى ظَهْرِ قَمَلَةٍ . . . يَكُرُّ عَلَى صَفَى تَمِيمٍ لَوَلَّتْ »^(٤)

٦ — « إنما جرى الغلط على كثير من الناس في هذا — حيث لم يفرقوا بين الوصف الذي لا يخرج عن حد الإمكان ، وإن لم يثبت وقوعه ، وبين الخارج إلى حيز الاستحالة ، وغَلَطَهُ في ذلك أبيات وقعت فيها مبالغات ، خفيت عليهم فيها جهات الإمكان ، فظنوا أنها من الممتنعة أو المستحيلة ، ومثل ذلك ، المبالغات التي يمكن أن تُتَصَوَّر لها حقيقة ،

(١) منهاج البلاغ — ١٠٥

(٢) نفسه — ٧٣

(٣) نفسه — ١٣٣ وما بعدها

(٤) نفسه — ١٣٥

وأن تصرف إلى جهة الإمكان ، وإن كان مما يستندر وقوع مثله ، مثل قول المتنبي :

وَأَنَّى اهْتَدَى هَذَا الرَّسُولُ بِأَرْضِيهِ . . . وَمَا سَكَنْتُ مُذْ سِرْتُ فِيهَا الْقَسَاطِلُ
وَمِنْ أَىِّ مَاءٍ كَانَ يَسْقَى حَيَادَهُ وَلَمْ تُصَفْ مِنْ مَزْجِ الدِّمَاءِ الْمَنَاهِلُ « (١) »

لهذا مستساغ من حيث يمكن أن يُتصوّر له حقيقة ، وإن لم تكن واقعة إذ كانت كثرة الجيوش لا تحد لها ، ومتى قُدّرت الزيادة في مقدار منها ، وإن كَثُرَ — أمكنت ، فعجائز أن يغزو أرض قوم من الجيوش ما يصير حَزَنُهَا سَهْلًا ، ونخيارها وَغْثًا ، حتى يصير صخرها رَهْجًا ، وتراجها رهبا (٢) فيثور نقعها بأقل حركة ، أو نفس ، فلا تسكن القساطل فيها مدة ، فأراد المبالغة في جيش ممدوحه ، فجعله بالغًا إلى هذا المقدار ، وكذلك سفك الدماء ، ليس له حَدٌّ يَنْتَهِي إليه ... « (٣) » .

٧ — « ولا يلزم أبا الطيب أن يكون صادقًا في ذلك ، لأن صناعة الشعر لها أن تستعمل الكذب ، إلّا أنها لا تتعدى الممكن من ذلك ، أو الممتنع إلى المستحيل ، وإن كان المستنع فيها أيضًا دون الممكن في حسن الموقع من النفوس ،

فأما وصف قول أبي الطيب في وصف الأسد :

سبق التقاءكه بوثة هاجم . . . لو لم تصادمه لجازك ميلا

(١) من قصيدة يمدح بها سيف الدولة عند دخول رسول الروم ، والقساطل : جمع قسطل وهو الغبار الذي تثيره الخيل بمخافرها ، والمناهل جمع منهل ، وهي المياه التي يكون فيها النهل وهو أول الشرب ، والمنازل التي تكون في المفاز — وفيها الماء ، تسمى : مناهل ، يقول : كيف اهتدى إليك هذا الرسول ، وكيف سلك إليك الطريق وخبيلك قد ملأناها بالغبار ، وماذا شربت حياده ، وكل الآبار نأذى بدماء أعدائك الذين هزمتهم ؟ — الديوان — ١٨٩/٣ بشرح أنى البقاء العكبري — تعقيق السفا والإبديري وعبد الحفيظ شلبي — ط بيروت .

(٢) الحزن : الخشونة والغلظة ، الخيار : الأمر المختار المنتقى ، الوغث : الخشونة ، الرهج : الغبار ، رهبا : صُعْبًا في السير فيه .

(٣) المنهاج — ١٣٥ و ١٣٦

فقييح ، اذ لا يمكن في جرم الأسد وقوته من الزيادة ، ما أمكن في الجيوش
والدماء ، وهذا الاعتبار ، يتبين لك ما يحسن من المبالغة ، وما لا
يحسن ، وما يُسَوِّغ . منها وما لا يُسَوِّغ ^(١)

و « المبالغة » عند « السَّجْلِمَاسِي » — من وفیات القرن الثامن الهجري
بالمغرب — هي : الزيادة في الوصف ، وهي توكيد معاني القول ^(٢) ، وبعد أن
يستعرض أبنية المبالغة التي صرح أن أحد متأخري النحاة وصل بها إلى إحدى
وعشرين صيغة ^(٣) ينتقل إلى المبالغة في اللفظ المركب ، أي في الأقاويل ، ثم
يقسمها إلى خمسة أجناس . الإغراق والتداخل والاستظهار والإطناب والسلب
والإيجاب ، وتحت كل جنس أنواعه ، فتحت الإغراق يضع الغلو والتجاهل
والتجريد والاستثناء ... ، ويظل يحوّل الأنواع إلى أجناس ، والأجناس تحتها أنواع ،
في محاولة صارمة لضبط المعايير ، وضم الأشتات وتجميد الأطراف ، حتى استوت
البلاغة على يديه إلى تمثال ضخّم من الحديد ، هَمُّ كل فرع فيه أن يكون له
أصل ، وكل أصل فيه أن يكون له دور ، في «شجرة التركيب البنيوي» للبلاغة في
نظر السلجلماسي ، مما تضاعف معه صنيع الرازي ، والسكاكي والقزويني وشرح
تلخيصه .

وقد حاول السلجلماسي أن يطعم حديثه المنطقي بأمثلة من الشعر ، ويحدث
عن الأصل اللغوي للمصطلح . ولم ينجح كل هذا في إخفاء صرامة منطقته ،
وصلادة تقسيمه ، وغياب اللمسة الجمالية من الكتاب كله .

ثانيا : مفهوم الغلو عند القدماء

في باب « الاستقامة من الكلام ، والإحالة » يحدثنا سيبويه (ت ١٨٠ هـ) عن المحال الكذب ، فالكلام : منه المستقيم الحسن ، والمستقيم الكذب ، والمستقيم القبيح ، وما هو محال كذب ... ، يقول : وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره ، فتقول : أتيك غداً ، وسأتيك أمس ... ، وأما المحال الكذب : فأن تقول : سوف أشرب ماء البحر أمس ^(١) .

فالإحالة هنا تعنى أن المسألة خرجت عن حدود الغاية وأقصى النهاية ، إلى مالا يخضع لأى مقاييس ، لا منطقية ولا فنية .

وبعد حديث المبرد (ت ٢٨٥ هـ) عن مجزأة بن ثور ، الذى هو أشجع من أسامة وسَمَّى هذا : تشبيها مفرطاً متجاوزاً ، قرن إليه شاهداً آخر ، وهو قول أبى دلف القاسم بن عيسى فى المدح :

لَهُ هِمَمٌ لَا مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا . وَهَمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلَ مِنَ الدَّهْرِ
لَهُ رَاحَةٌ لَوْ أَنَّ مِعْشَارَ جُودِهَا . عَلَى الْبَرِّ صَارَ الْبَرُّ أُنْدَى مِنَ الْبَحْرِ
وَلَوْ أَنَّ خَلْقَ اللَّهِ فِي مِسْكِ فَارِسٍ . وَبَارَزَهُ كَانَ الْخَلِيُّ مِنَ الْعُمَرِ ^(٢)

وفيما يبدو من الصور التى قدمها الشاعر ، أنه تعدى مرحلة المبالغة فى وصف الشجاعة ، إلى تقديم نموذج خرافى لشجاعة ممدوحه ، ولا عيب فى الخرافة ، إنما العيب ألا يكون المستمع قد تربى ذوقه على إدخالها عنصراً من عناصر التصوير الفنى ، لذا ، فهو « غلو » من الشاعر ، ذلك لأنه أحالنا إلى المعميات لنقيس عليها المحسوسات ، فـ « همته الصغرى أجل من الدهر » كيف نتصور ذلك ؟ ، « ولو أن خلق الله فى مسك فارس وبارزه كان هذا الفارس محكوما عليه بالإعدام » ، كيف نتصور ذلك ؟

(١) الكتاب — ٨/١

(٢) المبرد — الكامل — ١٢٨/٣ ، والمسنك : المجلد ، والخلّى من العمر : المقتول أو الميت .

وفي فصل تركه ابن طباطبا (ت ٣٢٢ هـ) عن الأبيات التي أغرق قائلوها في معانيها ، لم يشرح لنا مفهوم « الإغراق » عنده ، ولكنه ضمنَّ الفصل أبياتا نص على احتوائها المبالغة في الوصف ، ثم أردفها بقوله « وقد سلك جماعة من الشعراء المحدثين سبيل الأوائل في المعاني التي أغرقوا فيها ، وقال أبو نواس :

وَأَخَفْتُ أَهْلَ الشُّرْكِ حَتَّى إِنَّهُ . . . لَتَخَافُكَ التُّطْفُفُ الَّتِي لَمْ تُخْلَقِ

وقال بكر بن النطاح :^(١)

قَالُوا وَيَنْظُمُ فَارِسَيْنِ بِطَعْنَةٍ . . . يَوْمَ الْهَيْتَاجِ وَلَا يَرَاهُ جَلِيلًا
لَا تَعْجُبُوا قَلُّوْا أَنْ طَوَّلَ قَنَاتِهِ . . . مِيلٌ إِذَا تَظَمَ الْفَوَارِسَ مِيلًا^(٢)

وأمام هذه المعارض التي يقدمها ابن طباطبا لفن من الفنون ، لا نستطيع أن نلم بمقصوده ، إلا إذا نصَّ هو عليه ، فالباحث عن مدلول مصطلح ، ومفهوم معين ، غير الباحث عن جماليات اختيار الشاهد ، وذوق المؤلف فيه .

أما قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ هـ) ، فهو الباحث عن الدقة والموضوعية بغض النظر عن النتائج ، فبعد أن حدَّ « المبالغة » و « الغلو » ومال إلى « الغلو » بالرغم من تحرزه من أنه لا يكون في الواقع ، وكأن هذا نقطة ضعف ، تحدث عن « الامتناع » ، والممتنع عنده : الذي يصعب تحقيقه لتنافيه مع التواميس العامة ، فقول أبي نواس :

يَا أَمِينَ اللَّهِ عِشْ أَبَدًا . . . دُمْ عَلَى الْآيَامِ وَالزَّمَنِ

يقول فيه « وليس من طباع الإنسان أن يعيش أبداً ، وإذا « الغلو » إنما يقبل « يكاد » ، ويحسن فيه ذلك ، فليس في « عِشْ أَبَدًا » ، موضع يحسن فيه ، لأنه لا يحسن في موضوع الدعاء أن يقال : يا أمين الله تكاد تعيش أبداً^(٣) .

(١) بكر بن النطاح : من شعراء الدولة العباسية ، كان معاصراً للرشد ، ومدح أبا دُلف العجلي

(٢) عيار الشعر — ٨٧ و ٨٨

(٣) نقد الشعر — ٢٤٢ و ٢٤٣ .

وفي درس العسكري (ت ٣٩٥ هـ) « للغلو » يضطرب الأمر في يده ، فيأخذ تعريف ابن قتيبة في أن المبالغة هي « يكاد يفعل » ولكنه لا يستطيع أو لا يقدر ... الخ ، ويضعه عنوانا على « الغلو » ، يقول : تجاوز الحد في المعنى والارتفاع فيه إلى غاية لا يكاد يبلغها ، كقوله تعالى « وبلغت القلوب الحناجر » [الأحزاب — ١٠] ^(١) وقوله « وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال » [إبراهيم — ٤٦] ، بمعنى : لتكاد تزول منه ، ويقال : إنها في مصحف ابن مسعود مثبتة ، وقد جاءت في القرآن مثبتة وغير مثبتة ... و « تكاد » إنما هي للمقاربة ، وهي أيضا مع إثباتها توسع ، لأن الجبال لا تقارب الزوال ، والقلوب لا تقارب البلوغ إلى الحناجر ، وأصحابها أحياء ^(٢) .

وهذه الشواهد قد أوردها ابن قتيبة من قبل .

ثم هو يصف قول الخثعمي « يدلى يديه إلى القلب فيستقي » بأنه « إفراط وغلو » ثم بين أن « من الناس من يكره الإفراط الشديد ويعيبه ، وإذا تحرز المبالغ واستظهر فأورد شرطا ، أو جاء بـ « يكاد » ، وما جرى مجراها ، يسلم من العيب ، وذلك كقول البحترى :

(١) الآية كاملة « إذ جاءوك من فوقكم ، ومن أسفل منكم ، وإذا زاغت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر ، وتظنون بالله الظنونا » .

(٢) وانظر حديثه في كتابه « الفروق اللغوية » عن « الفرق بين غلام وعلامة ، أن الصفة بـ « غلام » صفة مبالغة ، وكذلك كل ما كان على فعال وعلامة ، وإن كان للمبالغة ، فإن معناه ومعنى دخول الهاء فيه ، أن يقوم مقام جماعة علماء ، فدخلت الهاء فيه لتأنيث الجماعة التي هي في معناه » ص ٦٨ — وكذا الفرق بين القوة والشدة ص ٨٦ ، وبين القدرة والمثنة ص ٨٧ ، ويقول في الفرق بين الشبه والتشبيه — أن الشبه أعم من التشبيه ، ألا تراهم يستعملون التشبه في كل شيء ، وقلما يستعمل التشبيه إلا في المنتحانسين . تقول : زيد يشبه الأسد ، أو شبه الأسد ، ولا يكادون بقولهم : تشبيه الأسد ، وشبيه الكلب . ويقولون : زيد شبيه عمرو . لأن باب فعل حكمه أن يكون اسم الفاعل الذي يأتي فعله على فعل ، ولا يأتي ذلك في الصفات ، فإذا قلت : زيد شبيه عمرو فقد بالعت في تشبيهه به ، وأجرته تجري ما ثبت لنفسه ، وأضفته إليه إضافة صحيحة . وإذا قلت : زيد شبيه عمر . وعمر شبه الأسد ، فهو عن الانفصال ، أي شبيه لعمرو ، وشبيه للأسد . لأنه نكرة « الفروق اللغوية » تحقيق حسام الدين نفدي . ض در الكتب العلمية — بيروت .

وَلَوْ أَنَّ مُشْتَقًّا تَكَلَّفَ غَيْرَ مَا ۞۞ فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمُنْبَرُّ

ثم ينتقل إلى عيب « الغلو » ، وهو « أن تخرج فيه إلى المحال ، وتُسَوِّيه بسوء الاستعارة وقبيح العبارة ، كقول أبي نواس :

تَوَهَّمْتُهَا فِي كَأْسِهَا فَكَأَمَّا ۞۞ تَوَهَّمْتُ شَيْئًا لَيْسَ يُدْرِكُ بِالْعَقْلِ
وَصَفَرَاءَ ، أَبْقَى الدَّهْرُ مَكْنُونًا رُوحَهَا ۞۞ وَقَدَمَاتٍ مِنْ مَحْبُورِهَا جَوْهَرُ الْكُلِّ

فجعلها لا تدرك بالعقل ، وجعلها لا أول لها ، وقوله « جوهر الكل » في غاية التكليف ونهاية الضعف ^(١) .

ونظر ابن رشيد القيرواني (ت ٤٥٦ هـ) إلى « الغلو » ، نظرة صحيحة ، بعيداً عن الخلط والنقول ، يقول : « وأصح الكلام عندي ، ما قام عليه الدليل ، وثبت فيه الشاهد ، من كتاب الله تعالى ، ونحن نجد قد قرن « الغلو » فيه بالخروج عن الحق ، فقال جل شأنه « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ » [المائدة — ٧٧] ^(١) ، ولو استشهد بقوله تعالى « يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ، وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ » [النساء — ١٧١] لكان أظهر للمعنى ، فالغلو : الخروج عن الحق ، الغلو : هو ما بعد المبالغة ، فإذا كانت المبالغة « أن تبلغ بالمعنى أقصى غايته ، وأبعد نهاياته » فالغلو : أن تتجاوز هذه الغاية ، وتتعدى هذه النهاية ، وتكون قد غلوت ولم تَقُلْ الصدق .

وليت العسكري قد تنبه إلى ما تنبه إليه ابن رشيقي في معنى الغلو ، الثابت في القرآن الكريم ، فما قاله أهل الكتاب في أمر المسيح عليه السلام ، ومريم البتول ، غلو ، يقول الله تعالى في الآية نفسها « إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْنَاهُ ، أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٍ مِنْهُ . فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ، وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً ، انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ ، إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ ، أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ، لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا » [النساء — ١٧١] .

(١) أنساعتير — ٣٦٩ ۞۞ بعدها .

(٢) العسده — ٦١ ٢ حفيتر محمد محسن الدين عبد الحميد . ط دار الخليل ، بيروت .

وفصل الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) بين « المبالغة » التي هي عنده : البلوغ بالمعنى إلى منتهى غاياته ، وأقصى درجاته ، وبين « الإغراق » الذي جعله في دائرة اللامعقول ، وقرن بينه وبين التخييل ، فالمبالغة لها أصل ، وتعتمد على التجوز في الواقع المعروف ، أما التخييل ، فهو : « أن يثبت الشاعر أمراً هو غير ثابت أصلاً ، ويدعى دعوى لا طريق إلى تحصيلها ، ويقول قولاً يخدع فيه نفسه ، ويرى ما لا تراه ... » ويقول « وستمرُّ بك ضروب من التخييل هي أظهر أمراً في البعد عن الحقيقة ، تكشف في أنه خداع للعقل ، وضرب من التزويق »^(١) « ... إن لك مع لزوم الصدق والثبوت على محض الحق ، الميدان الفسيح ، والمجال الواسع ، وأن ليس الأمر على ما ظنه ناصر الإغراق والتخييل الخارج على أن يكون الخبر على خلاف الخبر ... ، إذا بسيط من عنان الدعوى ، فادّعى ما لا يصح دعواه ، وأثبت ما ينفيه العقل ويأباه »^(٢) .

فالمبالغة لها أصل ، والإغراق لا أصل له .

يقول « ... ونوع آخر ، وهو أن يدعى في الصفة الثابتة للشيء ، أنه إنما كان لعلّة يضعها الشاعر ويختلقها ، إما لأمر يرجع إلى تعظيم الممدوح ، أو تعظيم أمر من الأمور ، فمن الغريب في ذلك ، معنى بيت فارسي ترجمته :

لَوْ لَمْ تَكُنْ نِيَّةُ الْجَوَازِ حِدْمَتَهُ . لَمَا رَأَيْتَ عَلَيْهَا عِقْدَ مُنْتَطِقٍ
فهذا ، ليس من جنس ما مضى ، أعنى ما أصله التشبيه ، ثم أريد التناهي في المبالغة والإغراق والإغراء ، ويدخل في هذا الفن ، قول المتنبي :

لَمْ يَخْلُ نَائِلُكَ السَّحَابَ وَإِنَّمَا . . . حُمَّتْ بِهِ فَصَيَّبُهَا الرِّحْضَاءُ

لأنه ، وإن كان أصله التشبيه ، من حيث يشبه الجواد بالغيث ، فإنه وضع المعنى وضماً ، وصوّره في صورة ، خرج معها إلى ما لا أصل له في التشبيه ، فهو كالواقع بين الضربين »^(٣) .

(١) الأسرار — ٢٢١ .

(٢) نفسه والصفحة .

(٣) الأسرار — ٢٢٣ .

ومعنى ذلك ، أن المبالغة — عند الجرجاني — مشروطة بأن يقبلها العقل ، أى أن تكون لها قاعدة تنطلق منها ، وأصل تعود إليه ، وأن الإغراق هو بداية خرق هذه القاعدة ، والخروج عن المنطق ، لأنها لا أصل لها — فى الواقع — تعود إليه .

أما « الغلو » عند الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) فهو « مجاوزة الحد ، تجاوزاً غير مطلوب ، فمن قرأ آية « أَلَا تَعْلَمُوا عَلَىٰ وَثُوءَىٰ مُسْلِمِينَ » [النمل — ٣١] « أَلَا تَعْلَمُوا عَلَىٰ » من « الغلو » وهو مجاوزة الحد ، والغلو : الإسراف أيضا ، « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواماً » [الفرقان — ٦٧] ، فالتقير : التضيق الذى هو نقيض الإسراف ، والإسراف : مجاوزة الحد فى النفقة ، ووصفهم بالقصد ، الذى هو بين الغلو والتقصير «^(١) .

إذن ، المبالغة عند الزمخشري : بلوغ الغاية فى المعنى ، مع إحداث الحدث بقوة ، والإحاطة بأركانه ، أما الغلو : فهو تجاوز حد المبالغة ، فهو إسراف .

التعقيب :

وبعد هذه الجولة التى طفت فيها — قدر ما استطعت — بما فى ترائنا البلاغى من درس للمبالغة والغلو ،

أقول :

أولاً : إن البلاغيين العرب قد فهموا البلاغة على أنها « الكثرة فى إحداث الفعل » فسيبويه ، يحدد للمبالغة صيغها من « فَعَال » وغيرها التى تدل على الكثرة ، وهى عند ابن قتيبة تعنى : الشدة فى إحداث الحدث ، فمن « المقلوب » من الألفاظ عنده « جونة » ، يقولون للشمس جونة لشدة ضوئها ، وللغراب أعور لحدة بصره ، وذلك للمبالغة فى الوصف «^(٢) وهذا هو التصور اللغوى .

(١) الكشف ١٠٠/٣

(٢) ابن هب — دويل مشكر القرآن — ١٨٥ تحقيق أنسيد أحمد سقر .

ثانيا : ثَمَّ تصور فنى آخر للمبالغة ، وهذا قد تعرض لمعالجتين ، أحدهما عربية فى ذوقها ، والأخرى يونانية فى فهمها ، فابن عباس يفسر غنى وحلم العلىّ القدير بأنه « الذى كمل فى غناه ، والذى كمل فى حلمه و « الغنى » و « الحليم » صيغتان من صيغ المبالغة ذكرهما سيبويه ، ويقول أيضا ، كل شىء فى القرآن « كاد » أو « كادوا » أو « لو » فإنه لا يكون ، ذلك لأنه قد جاوز الواقع المشاهد المحسوس ، وصور المعنى فى صورته المثلّى والتى عادة مالا تكون ، فى الأقل ، فى لحظة التعبير عنها ، مع ملاحظة الصانع هنا ، فصنعة الله تعالى غير صنعة البشر ، أى أن النظم القرآنى غير الإبداع الشعرى .

وهذا التصور العربى النابع من واقع النظم القرآنى والإبداع العربى نجده عند ابن قتيبة والمبرد والأشنادانى وثعلب وابن طباطبا وغيرهم من أصحاب المنهج الأدبى ، ولكن يلاحظ أن المصطلح لم يستقر بين أيديهم استقراراً نهائياً ، فهو « الإفراط وتجاوز المقدار » و « المفرط المتجاوز » و « بلوغ الشىء غايته » وهو « الإفراط والغلو » و « الإفراط فى الصفة » ثم يأتى قدامة ويضع مصطلح « المبالغة » ويستقر على ذلك .

وهذا تذبذب لا يعنينى فى شىء إنما الذى يشغلنا موقف القدماء من تصور « مفهوم المصطلح » ، فقد ارتبطوا جميعا بتصوير الواقع ، أو بالبحث عن الواقع فى الصورة الفنية ، البحث عن « الحقيقة » فى « المجاز » ، وبقدر وضوحها وقرها والتحام أجزائها تقبل الصورة المبالغ فيها ، ثم إن أراد الفنان الوصول إلى مَرَحَلَةٍ ما بعد الواقع ، فقد كذب ، ولكن كذباً مقبولاً عندهم .

ثالثا : وعند قدامة يتحدد الأمر اعتماداً على الفكر اليونانى ، فهناك « المبالغة » وهناك « الغلو » وهناك « الممتنع » ، والمقياس هنا أيضا « الواقع »

« الحقيقة » ، فالمبالغة مرحلة تأتي بعد تصور الواقع ، أو الحدث كما
رآه الفنان .

وَتُكْرِمُ جَارَتَنَا مَاذَا مَ فِينَا . . . وَتَتَّبِعُهُ الْكَرَامَةُ حَيْثُ مَا لَا

فإكرامه للجار مادام فيهم من الأخلاق الجميلة الموصوفة ،
واتباعهم لإياه الكرامة حيث كان ، من المبالغة في الجميل ، كما يقول
قدامة — وكأن الفنان قد بلغ الغاية في تصور الكرم المتعارف عليه ،
المحمود بأسلوب ، المنضبط بقوانين ، المحدد له « فرض كفاية » :
نكرم جارنا مادام فينا ، ومن تعداها فقد بالغ في الأمر .

رابعاً : يظل مفهوم « المبالغة » عند قدامة ، ذلك المفهوم الذى سيطر على
البلاغيين من بعده ، يظل محكوماً بحدود ، بمراحل ، فهو مرحلة تالية
لمرحلة الوصف التقليدى للحدث ، ويظل المبدع هنا موثقاً بالواقع
المستقر للحدث نفسه ، أما إذا أراد أن يطير في سماء الخيال ويُنشئ
« واقعا » من خياله ، وحدثاً من صناعه ، بأن يقول عن سيفه :

تَظَلُّ تُحْفِرُ عَنْهُ إِنْ ضَرَبَتْ بِهِ . . . بَعْدَ الذَّرَاعَيْنِ وَالسَّاقَيْنِ وَالْهَادِي

فقد « غلام » ، وكان قدامة ذكياً حين أمسك بمنتصف العصا ،
فقال إن هذه الصورة ليست خارجة عن طباع السيف أن يقطع
الذراعين والساقين والهادي ، وأن يؤثر بعد ذلك ، ويغوص في
الأرض ، ولكن ، هذا مما لا يكاد يكون . وبالرغم من ذلك فقد قبله ،
وجوّده ، لأن فلاسفة اليونان يقولون : أحسن الشعر أكذبه ، وفي
الصورة « المغالى » فيها ، نجد شخصية الشاعر وتفرد ، ونجد الإبداع
النابض ، والفكر الثاقب ، والجمال الأخاذ ، ألم يقل القرآن الكريم
« ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط » [الأعراف —
٤٠] ، إذن ، فلا أمل للذين « كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا »
[الأعراف — ٤٠] ، وليس هناك نظم يستطيع تصوير عدم دخول

الذين كذبوا واستكبروا للجنة ، غير هذه الصورة المبالغ فيها ، والتي تكذب تصورهاهم في « الغلو » بأنه « مما لا يكاد يكون » ، فأين هذا الجمل الذي يدخل في سَمّ الخياط ، أو يُنتظر أن يدخل يوما ما ؟

إن فهم البلاغيين للغلو اليوناني ، أوقعهم في اللبس ، فجعلوا المبالغة مرتبطة بالواقع ، والغلو متجاوز للواقع ، ولو رجعوا للقرآن الكريم لأدجموا الغلو في المبالغة ، وجعلوها « البلوغ إلى الغاية وأقصى النهاية في المعنى المقصود » ، ولأبدلوا الواقع الحقيقي الذي شغلهم كثيراً بالواقع الفني الذي يبدعه الفنان ، فله حقيقته وله مقاييسه .

ويكون « الممتنع » و « الغالي » و « المُعْرِق » هو الحال الذي لا يستسيغه عقل ولا ذوق ولا فن رفيع ، فالصورة الفنية لا بد أن ترضيني وتقنعني قبل أن تتمتعني فتطلقني من عقالي الترائي إلى آفاق المجهول ، ثم تعيدني مزوداً بفكرة أو بمتعة أو بهما معا .

خامساً : وإذا نحننا مرحلة الجمود البلاغي جانباً ، واستعرضنا معالجات القدماء من ابن عباس إلى الزمخشري ، نجد أن المبالغة قد سيطرت عليها دوائر ربطتها إليها ، فهناك « الكذب والمبالغة » و « الواقع والمبالغة » و « حدود الخيال والمبالغة » و « المحمود والمذموم من المبالغة » ، وكان الأولى أن تربط المبالغة بالصدق الفني ، ونربطها بدرجة البراعة والغرابة والدقة في الاختيار ، ونربطها أيضاً بالقدرة على التفكيك للجزئيات المتناثرة ثم تجميعها في صورة واحدة ، ونربطها أيضاً بلبسها بالمبدع نفسه ، وبإلهاف نفسه ، وبدرجة ما فيها من نضج وبكارة وطرافة ، أما البحث عن الحقيقة في المجاز ، كما قال الرماني في رسالته « النكت » ، فأمر قد قوّت علينا وعلى الشعراء الفن الكثير .

وقد صوّر لنا القرآن الكريم « الغلو » وكيف يكون ، حين خاطب أهل الكتاب ، وقال لهم سبحانه : « يا أهل الكتاب لا تغلوا في

دينكم ، ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ... » [النساء — ١٧١] .

فالغلو : مرحلة ما بعد « الغاية وأقصى النهاية في المعنى » ، و « الغلو » محال ، و « الغلو » كذب ، لأنه لا أصل له ينتسب إليه ، فبينما يتجلى أصل المبالغة في ارتكاز الفنان على فكرة لها وجود ، وهدف يريد الوصول إليه ، ومنتعة يريد إيصالها ، وفن يريد أن يوفره ، وتأثير يريد أن ينقله ... ، وهذا ما أقصده بالحقيقة الفنية ، والواقع الفني ، وهي أوسع بكثير وأشمل من الحقيقة المتمثلة أمام أعيننا ، والواقع المتنفس بين ظهرانينا ، لأنه لا فن في الحقيقة والواقع ، إنما الفن في كيفية تناوھما وطريقة معالجتهما .

ثالثا : صيغ وزوائد للمبالغة :

(أ) الصيغ :

ذكر سيويوه (ت ١٨٠ هـ) في باب « ما جرى في الاستفهام من أسماء الفاعلين والمفعولين مجرى الفعل ، كما يجرى في غيره مجرى الفعل » صيغا عديدة للمبالغة بقول ... وقد جعل بعضهم .

١ — فُعَلا : بمنزلة « فواعل » ، فقالوا : قُطَّان مكة ، وسكان البلد الحرام ، لأنه جمع كفواعل ، وأجروا اسم الفاعل اذا أرادوا أن يبالغوا في الأمر ، مجراه إذا كان على بناء فاعل ، لأنه يريد به ما أراد بفاعل من إيقاع الفعل إلا أنه يريد أن يتحدث عن المبالغة ، فما هو الأصل الذي عليه أكثر هذا المعنى :

٢ — فَعُول^(١) .

(١) عرض الرغشري لهذه الصيغة في قوله تعالى « لا يسأم الإنسان من دعاء الخير ، وإن مسه الشر فيعوس قنوط » [فصلت — ٤٩] ، يقول : يؤوس ، قنوط ، بولغ فيه من طريقين : من طريق بناء « فعول » ومن طريق التكرير ، والقنوط أن يظهر فيه أثر اليأس ، فيتضاعل ، وينكسر « الكشاف ٤٥٧/٣ » .

- ٣ — ومفعال^(١) .
- ٤ — وفَعَّال^(٢) .
- ٥ — وفَعِّل^(٣) .
- ٦ — قد جاء « فَعِّل » ، كرحيم وعليم وقدير وسميع وبصير ... «^(٤) .
- ولبعض هذه الصيغ ذِكرٌ في رسالة « النكت » للرماني ، (ت ٣٨٤ هـ)^(٥)
- ٧ — وصيغة « الافتعال » عند الزجاج (ت ٣١١ هـ) ، من صيغ المبالغة ، يقول في قوله تعالى « فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ » — أى في عيسى عليه السلام — « من بعد ما جاءك من العلم » (آل عمران — ٦١) — قيل له هذا ، بعد أن أوحيت إليه البراهين والحجج القاطعة ، في تثبیت أمر عيسى ، أنه عبد ، فأمر بالمباهلة^(٦) ... ، ومعنى الابتهاال في اللغة المبالغة في الدعاء^(٧) .
- ٨ — وكذا عرض لصيغة « فَعِّل » في قوله تعالى « وأمه صِدِّيقَةٌ » [المائدة — ٧٥] : أى مبالغة في الصدق والتصديق ، ... وصِدِّيق ، فعيل ، من
-
- (١) عرض لهما الزجاج (ت ٣١١ هـ) ، في قوله تعالى « وأرسلنا السماء عليهم مدراراً » [الأنعام] ، وقال « أى ذات غيث كثير ، ومفعال من أسماء المبالغة ، يقال : ليمه مدرار ، إذا كان مطرها غزيراً دائماً ، وهذا كقولهم : امرأة مذكار ، إذا كانت كثيرة الولادة للذكور ، وكذا مثنائ في الإناث : معاني القرآن ٢٠/٢٥١ ، وانظر قول الزنجشري في الآية نفسها — ١٦٢/٤ .
- (٢) عرض لها الزنجشري في قوله تعالى « واتقوا الله إن الله تواب رحيم » [الحجرات — ١٢] ، يقول : والمبالغة في « التواب » للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عبادة ، الكشف ٣/٥٦٩ ، وانظر قوله في آية « وما أنا بظلام للعبيد » [ق — ٢٩] والكشاف ٤/٩ .
- (٣) ذكر الزجاج (ت ٣١١ هـ) في قوله تعالى « ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه » [البقرة — ١٣٠] أن يونس بن حبيب النحوى (ت ١٨٢ أو ١٨٥ هـ) ، ذهب الى أن فَعِّل ، للمبالغة ، كما أن « فَعَّل » للمبالغة ، معاني القرآن وإعرابه — ١٨٩/١ و ١٩٠ .
- (٤) الكتاب ١٠٨/١٠ — ١١٥ ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط الهيئة العامة للكتاب — ١٩٧٧ ، ط الثانية .
- (٥) النكت — ٩٦ .
- (٦) المباهلة — الملاعة ، بأن يدعو كل على الآخر أن تصيبه لعنة الله .
- (٧) معاني القرآن — ٢١٦/٢ .

- أبنية المبالغة ، كما تقول : فلان سَكِيت ، أى مبالغ فى السكوت »^(١) .
- ٩ — ووجد الخطاى (ت ٣٨٨ هـ) فى صيغة « فاعلون » معنى للمبالغة ، وذلك فى قوله تعالى « والذين هم للزكاة فاعلون » [المؤمنون — ٤]^(٢) .
- ١٠ — والزخشرى (ت ٥٣٨ هـ) يقف أمام صيغة « فَعْلان » فى قوله تعالى « وما هذه الحياة الدنيا إلاّ نهر ولعب ، وإن الدار الآخرة لهى الحيوان » [العنكبوت — ٦٤] يقول : « والحيوان مصدر حَيَّ ، وقياسه حييان ، فقلبت الياء الثانية وأوّا ... » ، وفى بناء « الحيوان » زيادة معنى ليس فى بناء الحياة ، وهى ما فى بناء فعْلان من معنى الحركة والاضطراب ، كالنزوان ، والنغصان ، واللهبان »^(٣) .
- ١١ — وصيغة « فَعْلان » فى قوله تعالى « الرحمن الرحيم » [الفاتحة — ٣] يقول الزخشرى : « الرحمن : فيها من المبالغة ، ما ليس فى « الرحيم » ، ولذلك قالوا : رحمن الدنيا والآخرة ، ورحيم الدنيا ، ويقولون ، إن الزيادة فى البناء لزيادة المعنى »^(٤) .
- ١٢ — وصيغة « يفاعلون » ، فى قوله تعالى « يخادعون الله والذين آمنوا ، وما يخدعون إلاّ أنفسهم » [البقرة — ٩] ، يقول : أى وما يخدعون ، فجىء به على لفظ « يفاعلون » للمبالغة »^(٥) .
- وغير هذا كثير^(٦) .

(١) نفسه — ٤٢٩/١

(٢) بيان إعجاز القرآن — ٤١

(٣) الكشف — ٢١٢/٣

(٤) الكشف — ٥٣/١

(٥) الكشف — ١٧٤/١

(٦) يعرض منها السجلماسى (القرن الثامن) إحدى وعشرين صيغة ، فى كتابه « المنزع البديع » — ٢٧٢ ، ويعرض ابن يعقوب المغربى (ت ١١١٠ هـ) صيغ المبالغة المتعارف عليها عند السابقين عليه ثم يستأنف قائلا : وزاد عبد الطيف البغدادى (ت ٦٢٩ هـ) صاحب كتاب « قوانين البلاغة » : مفعيل ومفعيل

(ب) روائد للمبالغة :

١ — كاد ويكاد :

حدثنا الطبري (ت ٣١٠ هـ) عن ابن عباس (ت ٦٨ هـ) ، رضى الله عنهما ، أنه قال في آية « فذبجوها وما كادوا يفعلون » [البقرة — ٧١] : كادوا لا يفعلون ، ولم يكن الذى أرادوا ، لأنهم أرادوا أن لا يذبجوها ، وكل شىء فى القرآن « كاد » أو « كادوا » أو « لو » فإنه لا يكون ، وهو مثل قوله « أكاد أخفيها » [طه — ١٥]^(١) .

وردد هذا المعنى أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢٠٩ هـ) فى كتابه « مجاز القرآن »^(٢) ، ويضيف ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) على استعمال « كاد » أن العرب حين تسمع كلاما لا سبيل إلى تحقيقه فى الواقع ، يفترضون أنه بمعنى « كاد يفعل » أو « كاد. يكون » ، ففى قول الشاعر .

تركوا جارهم يأكله ضبُع . . . الوادى ويرميه الشجر

يقول « والشجر لا يرمى أحداً ، وهذا كله على المبالغة فى الوصف ، وينووى فى جميعه « يكاد يفعل » وكلهم يعلم المراد »^(٣) ويتبعه فى ذلك قدامة (ت ٣٣٧ هـ)^(٤) والآمدى (ت ٣٧٠ هـ)^(٥) ويضيف الزجاج (ت ٣١١ هـ) إضافة نفسية

— وفعل وفعل فى النداء ، مثل يا لكع وبالكع ، قال الجاحظ : قالوا للفارس شجاع ، فإن زاد قليلا قالوا بطل ، فإن زاد قالوا لهمة ، فإن زاد قالوا : كمى ، فإن زاد قالوا : صنديد ، فإن بلغ الغاية قالوا : أليس ، وكذلك يجرى الحال فى سائر الطبقات ... وذكر ابن الرغشى الأمثلة المحولة للمبالغة : فعل وفعل ومفعال ، وذكر أيضا « مفعلان » فى النداء ، مثل : يا مكذبان ويا مكلمان ... ، ومعنى كون هذه الألفاظ للمبالغة ، أن العرب وضعتها لذلك المعنى بقيد كونه كثيراً ... ، ومواهب الفتاح لى شرح تلخيص المفتاح ٣٦٧/٤ ، ضمن شروح التلخيص .

(١) تفسير الطبري — ٢١٩/٢ تحقيق عمود شاكر وأحمد شاكر ، ط دار المعارف — الثانية

(٢) أبو عبيدة — مجاز القرآن — ٦٧/٢ تحقيق فؤاد سركين ، ط الأولى ١٩٥٤ م الخانجي

(٣) ابن قتيبة — تأويل مشكلة القرآن — ١٧٨

(٤) قدامة — نقد الشعر — ٢٤٣

(٥) الآمدى — الموازنة — ١٥٠

آية « وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم » [القلم ٥١] ، يقول « وأما مذهب أهل اللغة ، فالتأويل أنهم من شدة إغاض لك وعداوتهم يكادون بنظرهم نظر البغضاء يصرعونك ، وهذا مستعمل في الكلام ، يقول القائل : نظر إلى فلان نظراً يكاد يصر عني به ، ونظراً يكاد يأكلني منه ، وتأويله كله ، أنه نظر إلى نظراً لو أمكنه أكلني ، أو أن يصرعني لفعل »^(١) وقد اعتمد الزمخشري (٥٣٨ هـ) المفسر الأشهر في منهجه في التفسير على الزجاج^(٢) .

وقد نقل المرزباني (ت ٣٨٤ هـ) عن أحمد بن محمد الجوهري أن ذا الرمة « قدم الكوفة ، فوقف راحلته بالكُناسة يُنشِد قصيدته الحائية ، فلما بلغ قوله : إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْمُحِبِّينَ لَمْ يَكَدْ رَسِيسُ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مِئَةِ يَسْرُخُ^(٣) قال ابن شبرمة : يا ذا الرمة ، أراه قد برح ، ففكر (ذو الرمة) ساعة ، ثم قال :

إِذَا غَيَّرَ النَّأْيُ الْحَبِيبِينَ لَمْ أَجِدْ رَسِيسَ الْهَوَى مِنْ حُبِّ مِئَةِ يَرِحْ

فرجع غيلان بن الحكم — وكان أحد المتجهمين — إلى أبي الحكم بن البَحْتَرِيِّ بن المختار ، فأخبره ، فقال : أخطأ ابن شبرمة حيث أنكر عليه ، وأخطأ ذو الرمة حيث رجع إلى قوله ، إنما هذا كقول الله عز وجل «أو كظلمات في بَحْرٍ لُجِّيٍّ ، يَعْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ، ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا » [النور — ٤٠] أي لم يرها ولم يكد^(٤) .

وقال الزمخشري في هذه الآية « لم يكد يراها » مبالغة في « لم يرها » : أي لم

(١) الزجاج — معاني القرآن — ٣١٢/٢ تحقيق د. فايز فارس . ط الكويت — ١٩٧٩ م — الأولى

(٢) د. مصطفى الجوهري — مناهج في التفسير — ١٠٣ ط منشأة المعارف بالاسكندرية .

(٣) رسيس الهوى — أنه (اللسان)

(٤) المرزباني — الموشح — ٢٨٣

يقرب أن يراها ، فضلا عن أن يراها ، ومثله قول ذى الرمة « إذا غَيَّرَ النَّأْيُ
المُحِبِّينَ ... »^(١)

٢ — زيادة السين :

في قوله تعالى « وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ » [الصافات — ١٤] يقول
الزخشرى : يستسخرون : يبالغون في السخرية ، أو يستدعى بعضهم من بعض
أن يسخر منها^(٢) وكذلك في قوله تعالى « يُؤْفُونَ بِاللَّذَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ
مُسْتَطِيرًا » [الانسان — ٧] يقول : فمستطيرا : فاشيا منتشرا بالغيا أقصى
المبالغة ، من استطار الحريق ، واستطار الفجر^(٣) .

٣ — زيادة التاء :

يقول الأخفش الأوسط — أبو الحسن سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥ هـ) في
قوله تعالى « وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا » [البقرة — ١٢٥] ...
وألحقت الهاء في المثابة لما كثر من يثوب إليه ، كما تقول : نَسَابَةٌ ، وَسَيَّارَةٌ لِمَنْ
يكثر ذلك منه^(٤) وإلى مثله التفت الزجاج (ت ٣١١ هـ) في قوله تعالى (وما
أرسلناك إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا) [سبأ — ٢٨] يقول : « كَافَّةً » حال
من الكاف في « أرسلناك » ، ولحقت الهاء « كَافَّةً » للمبالغة في الوصف
بالكف ، أى أرسلناك كافا للناس ...^(٥) . وذهب الزخشرى في أن الصواعق
في قوله تعالى « يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت ، والله محيط
بالكافرين » [البقرة — ١٩] : جمع صاعقة ، والتاء للمبالغة ، كراوية ، أو

(١) الكشف — ٦٩/٣ ، وانظر قول الشريف المرتضى (ت ٤٠٦ هـ) في آية « يكاد زيتها يضىء ولو لم-
تمسه نار » [النور — ٣٥] تلخيص البيان في مجازات القرآن — ٢٤٥ تحقيق محمد عبد الغنى
حسن — ط الحلبي ١٩٥٥ م .

(٢) الكشف — ٣٣٧/٣ .

(٣) الكشف — ١٩٦/٤ .

(٤) معاني القرآن — ١٤٦/١ .

(٥) ابن الشجرى — الأمالي الشجرية — ٤٩/٢ ط دائرة المعارف العثمانية — حيدر أباد الدكن — ١٣٤٩ هـ .

مصدراً كالكاذبة والعاقبة»^(١).

٤ — زيادة الحرف بالتشديد :

وذلك في قوله تعالى (يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ) [الحج — ٢٠] يقول الرمنشري : وعن الحسن ، بتشديد الهاء للمبالغة ، أى إذا صُبَّ الحميم على رءوسهم كان تأثيره في الباطن نحو تأثيره في الظاهر ، فيذهب أحشائهم وأمعاءهم كما يذيب جلودهم وهو أبلغ من قوله (وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً ، فَقَطَّعْ أَمْعَاءَهُمْ) [محمد — ١٥]^(٢).

رابعاً : وسائل للمبالغة :

المبالغة غاية ، أليست هي البلوغ بالمعنى أقصى نهاياته ، وتحقيق هذا الهدف قد يكون بإضافة زوائد ، أو صياغة الحدث في شكل صيغة معينة من صيغ المبالغة ، وهناك مستوى آخر من المبالغة لا يعنى الكثرة ولا الشدة بقدر ما يعنى العمق ، والوصول إلى الجوهر ، وهذا المستوى تنوع به المستويات العادية من الصياغة ، ولابد من الخروج على مقتضى الظاهر ، ومستوى الشكل إلى صياغة

(١) الكشف — ٢١٨/١ ، وانظر قوله في آية (وما من غائبة في السماء والأرض إلّا في كتاب مبين) [النمل — ٧٥] والكشاف — ١٥٨/٣ ، ويذكر ابن الشجري أن القراء وثعلب يرون أن « الهاء » للتأنيث لا للمبالغة ، مثل قولهم « علامة ونسابة وراوية » وكذلك قولهم : رجل مجذابة ومطرابة ومعزابة ، قال : وذلك إذا مدحوه ، كأنهم أرادوا به داهية ، كذلك إذا ذموه ، فقالوا : رجل لحانة ورجل هلباجة جخابة فقاقة ، كأنهم أرادوا به « بهيمة » — والذي ذهب إليه البصريون من أن المراد بتأنيث هذه الأوصاف المبالغة في الوصف هو الوجه — أمالي ابن الشجري ٤٩/٢ ، وسبق أن ذكر هذا الرأي أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠ هـ) في تفسيره لآية (وإذ جعلنا البيت مثابة للناس) [البقرة — ١٢٥] ، ولكنه لم يرجح رأياً على آخر ، انظر تفسير الطبري ٢٥/٣ — تحقيق محمود شاكر وأحمد شاكر ط دار المعارف ١٩٦٩ م .

(٢) الكشف — ٩/٣ وانظر قوله في آية (ولا تحمّلنا مالا طاقة لنا به) [البقرة — ٢٨٦] والكشاف — ٤٠٨/١ ، وفي آية (سورة أنزلناها وفرضناها ، وأنزلنا فيها آيات لعلكم تذكرون) [النور — ١] والكشاف — ٤٦/٣ ، وفي آية (ولقد صدّق عليهم إبليس ظنّه فاتبعوه إلّا فريقاً من المؤمنين) [سبأ — ٢٠] والكشاف — ٢٨٦/٣ ، وآية (وشددنا مُلْكَهُ وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) [ص — ٢٠] والكشاف — ٣٦٥/٣ .

أرق تتخذ الأنماط الفنية وسيلة للوصول إلى الهدف ، فالذى يبالغ ، لا يفعل ذلك لكى تتحقق له الاستعارة ، انما يستعير لكى تتحقق له المبالغة ، ولذلك لا نستطيع أن نقول : إن هناك أساليب محددة للمبالغة ، إنما نقول ، هناك وسائل محددة للمبالغة ، أما الأساليب فلا نهاية لها ، وكذا الأغراض .

فمن هذه الأساليب :

١ - التنكير للمبالغة :

يقول الزرخشى فى قوله تعالى (... أُعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ، يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [المائدة — ٥٤] : واللَّوْمَةُ المرة من اللوم ، وفيها وفى التنكير مبالغتان ، كأنه قيل : لا يخافون شيئاً قط من لوم أحد من اللوام ^(١) .

٢ — الحذف للمبالغة :

يقول الجرجانى ، عبد القاهر فى قول النابغة :

فإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِى هُوَ مُدْرِكِى . . . وَإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُتَتَابِى عَنْكَ وَاسِعٌ

« ... واعلم أنه قد يجوز فيه أن تحذف الكاف ، وتجعل « الليل » خبراً ، فنقول : فإنك الليل الذى هو مدركى ، أو : أنت الليل الذى هو مدركى ، وتقول فى قول النبى ﷺ « مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ الْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ » ^(٢) : المسلم خاماة من الزرع ، وفى قوله عليه الصلاة والسلام « الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة » : الناس إبل مائة — ويكون تقديره على أنك قدرت مضافاً محذوفاً على حد (واسأل القرية) [يوسف — ٨٢] ، تجعل الأصل : فإنك مثل الليل ثم تحذف مثلاً — والنكتة فى الفرق بين هذا الضرب الذى لابد للمجرور بالكاف ونحوها ، من وصفه بجملة من الكلام أو نحوها ، وبين الضرب الأول الذى هو نحو

(١) الكشف — ٦٢٣/١

(٢) الخامة : الفضة الرطبة من النبات ، والحديث « مَثَلُ الْمُؤْمِنِ مَثَلُ الْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ ، تَمِيلُهَا الرِّيحُ مَرَّةً كَذَا ، وَمَرَّةً كَذَا » رشيد رضا — الهامش .

« زيد كالأسد » ، أنك إذا حذفت الكاف هناك ، فقلت : زيد الأسد ، فالقصد أن تبالغ في التشبيه ، فتجعل المذكور كأنه الأسد ، وتشير إلى مثل ما يحصل لك من المعنى إذا حذفت ذكر المشبه أصلاً ، فقلت : رأيت أسداً ، أو الأسد ، فأما في نحو « فإنك كالليل الذى هو مدركى » فلا يجوز أن تقصد جعل المدوح الليل ، ولكنك تنوى أنك أردت أن تقول : فإنك مثل الليل ، ثم حذفت المضاف من اللفظ ، وأبقيت المعنى على حاله ، إذا لم تحذف ، وأما هناك ، فإنه : وإن كان يقال أيضاً : إن الأصل زيد مثل الأسد ، ثم تحذف ، فليس الحذف فيه على هذا الحد ، بل على أنه جعل كأن لم يكن لقصد المبالغة ، ألا تراهم يقولون : جعله الأسد ، وبعيد أن تقول : جعله الليل ، لأن القصد لم يقع إلى وصف الليل كالظلمة ونحوها ، وإنما قصد الحكم الذى له من تعميمه الآفاق ، وامتناع أن يصير الانسان إلى مكان لا يدركه الليل فيه ^(١) .

٣ — النفى للمبالغة :

ويشير الشريف المرتضى في أماليه إلى قوله تعالى (إن الذين يكفرون بآيات الله ، ويقتلون النبيين بغير الحق) [آل عمران — ٢١] ، وفي موضع آخر (وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بغير حق) [آل عمران — ١٨١] ، يقول : وظاهر هذا القول يقتضى أن قتلهم قد يكون بحق ... ، والجواب : أن للعرب فيما جرى هذا الجرى من الكلام عادة معروفة ، ومذهبا مشهوراً ، عند من تصفح كلامهم ، وفهم عنهم ، ومرادهم بذلك المبالغة في النفى وتأكيده . فمن ذلك : فلان لا يُرجى خيره ، ليس يريدون أن فيه خيراً لا يُرجى وإنما غرضهم أنه لا خير عنده على وجه من الوجوه ... ^(٢) .

(١) الأسرار — ١٩٩ و ٢٠٠ ، وانظر قول الشريف الرضى (ت ٤٠٦ هـ) في آية (وَأَشْرِكُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ) [البقرة — ٩٣] ، تلخيص البيان في مجازات القرآن — ١١٧ تحقيق محمد سعيد الغنى حسن ، ط الحلبي — ١٩٥٥ م .
(٢) أمالى المرتضى — ٢٢٨/١

٣ — وضع المصدر موضع الصفة للمبالغة :

في قوله تعالى (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هَوْنًا ، وإذا خاطبهم الجاهلون ، قالوا : سلاما) [الفرقان — ٦٣] ، يقول الزمخشري « هَوْنًا : حال ، أو صفة للمشي ، بمعنى هَيَّين ، أو مشيا هَيَّيْنًا ، إلا أن في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة »^(١) .

٤ — الالتفات للمبالغة :

وذلك في قوله تعالى (لولا إذ سمعتموه ، ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا ، وقالوا هذا إفك مبين) [النور — ١٢] ، يقول الزمخشري : « فإن قلت : هَلَّا قيل : لولا سمعتموه ، ظننتم بأنفسكم خيرا وقلتم ؟ ولمَّ عُذِلَ عن الخطاب إلى الغيبة ، وعن الضمير إلى الظاهر ؟ قلت : ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات »^(٢) .

٥ — التشبيه الصريح للمبالغة :

يقول الجرجاني عبد القاهر « اعلم أنه ليس شيء أبين وأوضح وأحرى أن يكشف عن مُتَأَمِّله في صحة ما قلناه ، من التشبيه ، فإنك تقول « زيد كالأسد » أو « مثل الأسد » أو « شبيهة بالأسد » فتجد ذلك كَلَّه تشبيهاً غُفْلًا ساذجاً — ثم تقول « كأن زيدا الأسد » فيكون تشبيهاً أيضا ، إلا أنك ترى بينه

(١) الكشف — ٩٩/٣ ، وانظر قوله في آية (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون) [فُصِّلَتْ — ١٧] ، وآية (هو الملك القدوس السلام) [الحشر — ٢٣] والكشاف — ٧٣/٤ ، وآية (فلما استأسوا منه. خلصوا نجيا) [يوسف — ٨٠] والكشاف ٣٣٦/٢ ، وآية (واستمع نقر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرانا عجباً) [الجن — ١] والكشاف — ٦٧/٤ ، وآية (ذلكم تحكّم الله يَحْكُم بينكم والله عليه حكيم) [الممتحنة — ١٠] والكشاف — ٩٤/٤ ، وانظر قول الشريف الرضي في آية (وجاءوا على قميصه بدم كذب) [يوسف — ١٨] تلخيص البيان — ١٧٠ ، وفي آية (نحن أعلم بما يستمعون به ، إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى) [الإسراء — ٤٧] تلخيص البيان — ٢٠١ ، وقول السَّجِّلِمَاسِي في آية (ومن تاب وعمل صالحاً ، فإنه يتوب إلى الله متابا) [الفرقان — ٧١] — المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع — ٢٠٨ .

(٢) الكشف ٥٣/٣ .

وبين الأول بَوْنًا بعيداً ، لأنك ترى له صورة خاصة وتجدك قد فحَّمتَ المعنى . وزدت فيه ، بأن أفدت أنه من الشجاعة وشدة البطش ، وأن قلبه قلب لا يخامره الدعر ، ولا يدخله الرُّوع ، بحيث يتوهم أنه الأسد بعينه ثم تقول « لكن لقيته كَيْلَقَيْنِكَ منه الأسد » فتجده قد أفاد هذه المبالغة ، لكن في صورة أحسن ، وصفة أخص ، ذلك أنك تجعله في « كأن » يتوهم أنه الأسد ، وتجعله ههنا يُرى منه الأسد على القطع ، فيخرج الأمر عن حد التوهم إلى اليقين «^(١)» .

٨ — التشبيه المعكوس للمبالغة « تشبيه الألوان »

يقول الجرجاني في الأسرار « ... ألا ترى إلى ابن الرومي حيث قال :
جَبُرَ أَيْ حَفَصَ لُعَابُ اللَّيْلِ . . . يَسِيلُ لِلْإِخْوَانِ أَيْ سَيْلٌ^(٢) »

فبالغ في وصف الحبر بالسواد حين شبهه بالليل ... فإن قلت : فينبغي على هذا أن لا يجوز تشبيه الصبح بغرة الفرس^(٣) لأجل أن الصُّبْحُ بالوصف الذي لأجله شَبَّهَ الغُرَّةُ به ، أخص ، وهو فيه أظهر وأبلغ ، والتفاوت بينهما كالتفاوت بين خافية الغراب والقار ، وبين ما يُشَبَّهُ بهما ، فالجواب : أن الأمر ، وإن كان كذلك ، فإن تشبيه غرة الفرس بالصبح حيث ذكرت ، لم يقع من جهة المبالغة في وصفها بالضياء والانبساط وفرط التلألؤ ، وإنما قصد أمر آخر وهو وَقُوعُ مُنِيرٍ في مُظْلِمٍ ، وحصول بياض في سوادٍ ، ثم البياض صغير قليل بالإضافة إلى السواد ، وأنت تجد هذا التشبيه على هذا الحد في الأصل ، فإذا عكست فقلت كان الصبح عند ظهور أوله في الليل غُرَّةً في فرس أذهَمَ لم تقع في مناقضة ، كما أنك لو شَبَّهت الصبح في الظلام بعلم بياض على ديباج أسود ، ولم تخرج عن

(١) الدلائل — ٤٢٥ — فقرة — ٥٠٠

(٢) نقل شارح شواهد الإيضاح عن ديوان ابن الرومي في مدح جُرْد بن حَفَص الوراق :
حبر أَيْ حَفَصَ لُعَابُ اللَّيْلِ . . . كَأَنَّهُ أَلْوَانٌ دُفِمْ الْخَيْلُ
يَجْرِي إِلَى الْإِخْوَانِ جَرَى السَّيْلِ . . . بَغِيرَ وَزْنٍ وَبَغِيرَ كَيْلِ

هامش ١٧٩ تحقيق رشيد رضا

(٣) يقصد قول ابن المعتز :
والصبح في طرة ليل مُسْنِر . . . كَأَنَّهُ غُرَّةٌ مُهْرَ أَشَقَرِ
(الأسراء — ١٦٩) .

الصواب ... وجملة القول ، أنه متى لم يقصد ضرب من المبالغة في إثبات الصفة للشيء ، والقصد إلى إيهام في الناقص أنه كالزائد ، واقتصر على الجمع بين الشئيين في مطلق الصورة والشكل واللون ، أو جمع وصفين على وجه يوجد هو أو قريب منه في الأصل — فإن العكس يستقيم في التشبيه ، ومتى أريد شيء من ذلك — « أى إلى ضرب من المبالغة » — لم تستقم^(١) .

٧ — الاستعارة للمبالغة

في الدلائل ، يقول في بيت الحماسة :

إذا هَزَّه في عَظْمٍ قَرْنٌ تَهَلَّلَتْ . نَوَاجِذُ أَفْوَهِ المَنَايَا الضَّوَاجِحِ^(٢)

« فإنه كما جعل « المنايا » تضحك ، جعل لها « الأفواه والنواجذ » التي يكون الضحك فيها ... فأنت الآن لا تستطيع أن تزعم في بيت الحماسة أنه استعار لفظ « النواجذ » ولفظ « الأفواه » ، لأن ذلك يوجب المحال ، وهو أن يكون في المنايا شيء قد شبهه بالنواجذ ، وشيء قد شبهه بالأفواه ، وليس إلا أن تقول : إنه لما ادَّعى — أن المنايا تُسَرُّ وتستبشر ، إذا هو هَزَّ السيف ، وجعلها لسروها بذلك تضحك — أراد أن يبالغ في الأمر ، فجعلها في صورة من يضحك حتى تبدو نواجذه من شدة السرور^(٣) »

ويقول « ... واعلم أنك تراهم لا يمتنعون إذا تكلموا في « الاستعارة » من أن يقولوا : إنه أراد المبالغة فجعله أسداً ، بل هم يلجأون إلى القول به ...^(٤) »

(١) الأسرار ، ١٧٩—١٨١ تحقيق محمد رشيد رضا ، الطبعة السادسة ١٩٥٩ م — وانظر في هذا قول الزجاج (ت ٣١١ هـ) في آية (صفراء فاقع لونها) [البقرة — ٦٩] : فاقع : نعت للأصفرار الشديد الصفرة ، يقال : أصفر فاقع ، وأبيض ناصع ، وأحمر قان ، قال الشاعر : ... الخ ، ويقال أحمر قائم ، وأبيض يقى ، ولحق ولهاق ، وأسود حالك وحلوك وحلوكتي ، ودجوجي ، فهذه كلها صفات مبالغة في الألوان — معاني القرآن وإعرابه — ١٢٤/١ وانظر السجلماسي : المنزع البديع ص ٢٢٨ .

(٢) الشعر لتأبط شراً ، وهو في شرح الحماسة للتبريزي ٤٩/١ ، والضمير في « هزه » للسيف في البيت السابق عليه .

(٣) الدلائل — ٤٣٦

(٤) الدلائل — ٤٣٦

فإذا ثبت أن ليست « الاستعارة » نقل الاسم ، ولكن إدعاء معنى الاسم — وكُنَّا إذا عقلنا — من قول الرجل « رأيت أسداً » أنه أراد المبالغة في وصفه بالشجاعة ، وأن يقول : إنه من قوة القلب ، ومن فرط البساطة ، وشدة البطش ، وفي أن الخوف لا يخامره والذعر لا يعرض له ، بحيث لا ينقص عن الأسد — لم نعقل ذلك من لفظ « أسد » ولكن من ادعائه معنى الأسد الذى رآه ^(١) .

٨ — التفصيل بعد الإجمال للمبالغة

وذلك فى قوله تعالى (واذا بطشتم بطشتم جبارين) [الشعراء — ١٣٠] ، يقول الزمخشري « واذا بطشتم بسوط أو سيف كان ذلك ظُلماً وَعُلُوّاً ، وقيل : الجبار الذى يقتل ويضرب على الغضب ، وعن الحسن : تبادرون تعجيل العذاب ، ولا تثبتون متفكرين فى العواقب ، بالغ فى تنبيههم على نِعَم الله حيث أجملها ثم فصلها ، مستشهداً بعلمهم ، وذلك أن أيقظهم عن سِنَةِ غفلتهم عنها ، حيث قال (أمدكم بما تعلمون) [الشعراء — ١٣٢] ، ثم عَدَّدَهَا عليهم ، وعَرَّفَهُم المُنْعِم بتعدد ما يعلمون من نعمته ، وأنه كما قَدَّرَ أن يتفضل عليكم بهذه النعمة ، فهو قادر على الثواب والعقاب ، فاتقوه » ^(٢) .

٩ — التكرار للمبالغة

كما سبق فى قول الزمخشري فى آية (لا يسأم الإنسان من دعاء الخير ، وإن مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَنْقُوسَ قَنْوَط) [فُصِّلَتْ — ٤٩] ^(٣) .

(١) الدلائل — ٤٣٧ — وانظر قول الشريف فى آية (ما لهم به من علم إلا إتباع الظن وما قتلوه يقينا) [النساء — ١٥٧] تلخيص البيان — ١٢٩ ، وفى آية (فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم) [إبراهيم — ٣٧] تلخيص البيان — ١٨٤ ، وانظر قول السلجماسي « إن حاصل الاستعارة : المبالغة فى التخيل والتشبيه مع الإيجاز غير المُخِلَّ بالمعنى ، والتوسعة على المتكلم فى العبارة » — المنزعة البديع — ٢٣٥

(٢) الكشف — ١٢٢/٣

(٣) الكشف — ٤٥٧/٣ ، وانظر قوله فى آية (جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب) [ص ، ١١ — ١٣] والكشف — ٣٦٢/٣ ، وانظر جواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر — ص ٣ ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .

١٠ — الطباق للمبالغة

في قول ذى الرمة :

وَيَبِيضُ رَفَعْنَا بِالضُّحَى عَنْ مُتُونِهَا . . سِمَاوَةَ جَوْنٍ كَالْخَبَاءِ الْمُقَوَّضِ
هَجُومٌ عَلَيْهَا نَفْسَهُ غَيْرَ أَنَّهُ . . مَتَى يُرَمَ فِي عَيْنَيْهِ بِالشَّبَحِ يَنْهَضُ

يقول الجرجاني « قالوا في تفسيره ، يعنى بالبييض : يبيض النعام ، و « رفعا » أى : أثرتا عن ظهورها ، وسماوة جون أى شخص نعام جون ، وسماوة الشيء شخصه ، والجون الأسود ههنا ، لأنه قَابِلٌ بين البياض والسواد ، ثم شبه النعام فى حال إثارته عن البيض بالخباء المقوض ، وهو الذى تُزَعَّتْ أطنابه للتحويل ، والبيت الثانى من أبيات الكتاب^(١) أنشده شاهداً على إعمال فعول عمل الفعل ، وذلك قوله : هَجُومٌ عَلَيْهَا نَفْسَهُ « و « نفسه » منصوب بـ « هجوم » على أنه من هَجَمَ متعديا ، نحو : هجم عليها نفسه ، أى طرحها عليه ، وكأنه أراد أن يصف الظليم فى خوفه ، بأمرين متضادين : بأن يبالغ فى الانكباب على البيض ، فعل من شأنه اللزوم والثبات ، وأن يثيره عنها الشيء اليسير ، نحو أن يقع بصره على الشخص من بُعد ، فعل من كان مستوفزاً فى مكانه غير مطمئن ، ولا موطنٌ نفسه على السكون ، وقوله « يُرَمَ فى عينيه بالشَّبَحِ » كلام ليس لحسنه نهاية^(٢) ؟

١١ — التعليل للمبالغة

وذلك فى قول المتنبي :

(١) الكتاب — ١١٠/١ ، تحقيق هارون ط الهيئة المصرية العامة ١٩٧٧ م ، ويقول المحقق « يصف ظليما ، وهو ذكر النعام ، يقول : بهجم نفسه على البيض أى يلقيها عليها حاضنا لها ، فإذا فوجيء بشبح أى شخص ، فارق بيضه ونهض هاربا ، والشَّبَحُ يسكون الباء ، لغة فى الشَّبَحِ بفتحها « ومثال المبالغة عن طريق الجمع بين النقيضين ما ذكره ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ، أن من المبالغة قولهم : لا شَوْبَ ولا رَوْبَ ، ولا شَيْبَ ولا عَيْبَ — ابن الأعرابي (ت ٢٣١ هـ) : ما عنده شَوْبٌ ولا رَوْبٌ ، والروب : اللبن ، والشوب : العسل ،... ويقول الميداني : لا شوب ولا روب عند البيع والشراء فى السلعة تبيعها ، أى أنك يرىء من عيوبها — ابن فارس — الاتباع والمزاوجة — ٣١ تحقيق كمال مصطفى ط الخانجي والمثنى — ١٩٤٧ م .

(٢) الأسرار — ١٧٧

مَا بِهِ قَتْلُ أَعَادِيهِ وَلَكِنْ . . . يَتَّقِي إِخْلَافَ مَا تُرْجُو الذَّنَابُ

يقول الجرجاني في الأسرار « ... الذى يتعارفه الناس أن الرجل إذا قتل أَعَادِيهِ . فلإِرادته إهلاكهم ، وأن يدفع مضارهم عن نفسه ، وَلَيْسَ لَمَلِكُهُ وَيَصْنَفُو من منازعاتهم ، وقد ادعى المتنبي — كما ترى — أن العلة في قتل هذا الممدوح لأَعْدَائِهِ غير ذلك ، واعلم أن هذا لا يكون حتى في استئناف هذه العلة المدعاة فائدة شريفة فيما يتصل بالممدوح ، أو يكون لها تأثير في الذم ، كقصد المتنبي ههنا في أن يبالغ في وصفه بالسخاء والجود ، وأن طبيعة الكرم قد غلبت عليه ، ومحبه أن يصدق رجاء الراجين ، وأن يجنبهم الخيبة في آمالهم ، قد بلغت به هذا الحد ، فلما علم أنه إذا غدا للحرب غدت الذناب تتوقع أن يتسع عليها رزقها ، ويخصب لها القوت من قتلى عَدَاة ، كره أن يُخْلِفَهَا ، وأن يخيب رجاءها ولا يسعفها » (١) .

١٢ — التجريد للمبالغة

ذكر القزويني (ت ٧٣٩ هـ) في الإيضاح « التجريد » : أن يُنْتَزَع من أمر ذى صفة ، أمر آخر مثله في تلك الصفة ، مبالغة في كمالها فيه .

وهو أقسام : منها ، نحو قولهم « لى من فلان صديق حميم » أي : بلغ من الصداقة مبلغا صح معه أن يُسْتَخْلَصَ منه صديق آخر .

ومنها ، نحو قولهم « لئن سَأَلْتُ فلانا ، لَسَأَلَنُّ بِهِ البحر »
ومنها ، قول الشاعر :

وَشَوْهَاءُ تَعْدُو بِي إِلَى صَارِخِ الرِّغَى . . . بِمُسْتَلْتِمٍ مِثْلُ الْفَنِيْقِ الْمُرْجَلِ (٢)

أى تعدو بى ، ومعى من نفسى — لكمال استعدادها للحرب ، مستلتم أى لايس لآمة . ومنها ، نحو قوله تعالى (لهم فيها دار الخلد) [فصلت — ٢٨] ،

(١) الأسرار — ٢٣٨ و ٢٣٩

(٢) شوهاء : وصف لفرسه ، يعنى أنها مشوهة قبيحة المنظر ، الرغى : الحرب ، وصارخها : المستغيث فيها أو بسببها ، مستلتم : لايس اللآمة وهى الدروع ، الفنيق : فحل الإبل الكريم يُحْلَى من العمل للفحلة ، المرجل : المطلق المرسل ، يشبه نفسه بهذا الفحل .

فإن جهنم — أعاذنا الله منها — هي دار الخلد ، لكن ائْتِزَع منها مثلها ، وجعل مُعَدّاً فيها للكفار ، تهويلاً لأمرها ... ومنها : مخاطبة الإنسان نفسه ، كقول الأعشى :

وَدَّعْ هُرَيْرَةً إِنَّ الرِّكْبَ مُرْتَجِلٌ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أَيُّهَا الرَّجُلُ
... الخ ^(١) .

ومفهوم مصطلح التجريد أسبق من القزويني بكثير ^(٢) وشواهد هذه قد سبقه إليها ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) في الخصائص ، وهي الشواهد التي تتكرر في كتب

- (١) الإيضاح — ٥١٢ تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي — ط بيروت — ١٩٨٠ م ، الخامسة .
(٢) ذكر سيويه (ت ١٨٠ هـ) في باب « ما يختار فيه الرفع ، ويكون فيه الوجه في جميع اللغات » أنه ... « ولو قال أما أبوك فَلَكَ أَبٌ ، لكان على قوله : فَلَكَ به أَبٌ ، أو فيه أَبٌ ، وإنما يريد بقوله : فيه أَبٌ ، مجرى الأب على سعة الكلام . الكتاب — ٣٩٠/١ تحقيق هارون — الثانية ١٩٧٧ م ، وأفرد ابن جنى (ت ٣٩٢ هـ) باباً في الخصائص باسم « التجريد » يقول فيه « رأيت أبا علي — (يقصد : أبا علي الفارسي ، الحسن بن أحمد (ت ٣٧٧ هـ) ، صاحب الإيضاح والحجة وغيرهما) — رحمه الله — به غريباً معنياً ، ولم يفرد له باباً ، ولكنه وسمه في بعض ألفاظه بهذه السمة ، فاستقرت منها ، وأُنْقِطَ لها ، ومعناه : أن العرب قد تعقد في الشيء من نفسه معنى آخر ، كأنه حقيقته ، وقد يجرى ذلك إلى ألفاظها لما عقدت عليه معانيها ، وذلك نحو قولهم : « لكن لقيت زيدا لتلقين منه الأسد ، ولئن سألته ، لتسألن منه البحر » ، فظاهر هذا أن فيه من نفسه أسداً وبحراً ، وهو عينه هو الأسد والبحر ، لا أن هناك شيئاً منفصلاً عنه ، وممتازاً منه » ثم أتى على الشواهد التي تنوقلت عنه — فيما أظن — إلى من أتى من بعده ، ولكنه لم يعقد بين التجريد والمبالغة ، الخصائص — ٤٧٣/٢ وما بعدها ، ويقول الدكتور عبد القادر حسين : « ويدعو أن الفارسي هو أول من سمى هذا النوع بالتجريد ، كما يشير إلى ذلك ابن أبي الحديد في « الفلك الدائر على المثل السائر — ٢٢٠/٤ » انظر ، أثر النحاة في البحث البلاغي — ٣٣٣ ، ط دار نهضة مصر — وقد ردّد صاحب إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج [وصاحبه : مكى بن أبي طالب حَمْوُش القيرواني] (ت ٤٣٧ هـ) كلاماً أتى على الفارسي في « التجريد » . انظر إعراب القرآن — ٦٦٤/٢ ، وفي اثبات نسبة الكتاب إلى مكى القيرواني ، انظر بحث الأستاذ أحمد راتب النفاخ « كتاب إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج — تحقيق نسبه واسمه وتعريف بمؤلفه واستكمال لتحقيق بعض أبوابه — ص ٥ ، فُصِّلَتْ من مجلة مجمع اللغة العربية — دمشق ١٩٧٣ م ، وقد حَوَّ الزنجشیری (ت ٥٣٨ هـ) حول معنى « التجريد » في تفسيره لآية (لم فيها دار الخلد) [فصلت — ٢٨] ، ولكنه لم يقع ، (الكشاف — ٤٥٢/٣) ، وجادل ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) أبا علي الفارسي في حديثه عن « التجريد » ، ولكنه لم يذكر علاقة « التجريد » بـ « المبالغة » — انظر المثل السائر — ٤٢٣/١ ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد — ١٩٣٩ م ط الخليلي .

البلاغيين في حديثهم عن التجريد ، لكنى لم أجد — حسب علمى — عند غير القزوينى من قرن التجريد إلى المبالغة وجعلها وسيلة من وسائلها ، وتبعه في ذلك شراحه^(١) .

١٥ — المزاوجة بين الشرط والجزاء للمبالغة

ذكرها ابن يعقوب المغربي في شرحه « مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح » في أثناء حديثه عن قول البحرى المشهور :

إِذَا مَآئِهِ النَّاهِي فَلَجَّ بِى الْهَوَى . : أَصَاحَتْ إِلَى الْوَاشِي فَلَجَّ بِى الْهَجْرُ

يقول « المزاوجة ، أن يقرن بين معنيين ، وقع أحدهما في الشرط والآخر في الجزاء ، في معنى واحد ، ... ولا يخفى ما في ترتيب لَجَّاج الْهَوَى عَلَى النَّهَى مِنَ الْمِبَالِغَةِ فِي الْحُبِّ لِقْتَضَائِهَا أَنَّ ذِكْرَهَا وَلَوْ عَلَى وَجْهِ الْعُتْبِ يَزِيدُ حُبَّهَا وَيُثِيرُهُ ، كما قال :

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةً . : حُبًّا لِدُكْرِكَ فَلْيَلْمِئْنِي اللَّوْمَ

وما في ترتيب لزوم الهجران على وشى الواشى من المبالغة ، في إدعاء كون حبها على شفا إذ يزيله مطلق الواشى ، فكيف يكون الأمر لو سمعت أو رأيت عيبا ... والمبالغتان مما يستحسن في باب كل منهما .. »^(٢) .

٥ — من أغراض المبالغة

ما مر بنا من وسائل للمبالغة ، لم تكن مقصودة لذاتها ، إنما كانت تهدف إلى تحقيق غرض أبعد منها ، وقد رصد القدماء من هذه الأغراض ، غرض تقريب الصورة ، وتمكين الحدث وتوكيده ، والتهكم ، والتمثيل ... الخ .

١ — المبالغة لتقريب الصورة

يقول الأصمعى (ت ٢١٦ هـ) في قول امرئ القيس :

(١) انظر ، شروح التلخيص — للسبكي والتفتازانى والمغرى — ٣٤٨/٤ ط الحلبي .

(٢) مواهب الفتاح — ٣١٧/٤ و ٣١٨ ضمن شروح التلخيص .

وَلَا مِثْلَ يَوْمٍ فِي قَدَارَانَ ظَلَّتْهُ . كَأَنِّي وَأَصْحَابِي عَلَى قَرْنٍ أَعْفَرًا^(١)

أنه أراد المبالغة في وصف نفسه وأصحابه بالقلق والاضطراب ، ومفارقة السكون والاستقرار ، وإنما نَحَصَّ الظبي ، لأنه قرنه أكثر تحريكاً واضطراباً ولنشاطه ومرحه وسرعته^(٢) وفي القرآن الكريم يرى الشريف المرتضى (ت ٤٣٦ هـ) أن معنى قوله تعالى (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) [الأنفال — ٢٤] ، والمبالغة في الإخبار عن قربه من عباده ، وعلمه بما يبطنون ويخفون ، وأن الضمائر المكنونة ، له ظاهرة ، والخفايا المستورة لعلمه بادية ، ويجزى ذلك مجرى قوله تعالى (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) [ق — ١٦] : ونحن نعلم أنه لم يُرَدِّ بذلك قرب المسافة بل المعنى الذي ذكرناه^(٣) ويقول الزمخشري في قوله تعالى (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض) [آل عمران — ١٣٣] : أن « عرضها عرض السموات والأرض » كقوله « عرضها كعرض السموات والأرض » (الحديد — ٢١) والمراد : وصفها بالسعة والبسطة ، فشبهت بأوسع ما علمه الناس من خلقه وأبسطه ، ونَحَصَّ العرض لأنه في العادة أدنى من الطول ، للمبالغة ، كقوله « بطائنها من إستبرق » (الرحمن — ٥٤)^(٤) .

٢ — المبالغة تمكين الحدث وتوكيده

يقول الزمخشري في قوله تعالى « وقل للمؤمنات يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ، ويحفظن فروجهن ، ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا » (النور — ٣١) : ... وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة في الأمر بالتصون والتستر ، لأن هذه الزين^(٥) واقعة على مواضع من الجسد ، لا يحل النظر إليها لغير هؤلاء ، وهي الذراع والساق والعضد والعنق والصدر والأذن ، فهي عن إبداء الزين نفسها ، ليُعلم أن النظر إذا لم يحل إليها لملاستها تلك المواقع — بدليل أن النظر إليها غير ملابسة لها — لا مقالة في حِلِّهِ — كان النظر إلى المواقع أنفسها ، متمكناً في الخطر ، ثابت القدم في الحرمة

(١) قداران : قرية بالشام ، وأعفر : أراد قرن ظبي أعفر — ديوانه : ١٠٦ ، هامش الأمل .

(٢) الشريف المرتضى — الأمل — ٣٢٩/١ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط الحلبي ١٩٥٤ م .

(٣) نفسه — ٥٢٧/١

(٤) الكشف — ٤٦٣/١

(٥) الزين : جمع زينة — أساس البلاغة للزمخشري — ٢٨٠ بيروت

شاهداً على أن النساء حقهن أن يحتطن في سترها ، ويتقين في الكشف عنها ^(١) .

٣ — المبالغة للتهكم

يقول الزنجشري في قوله تعالى « فلما جاءهم رُسُلُهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم ، وحاق بهم ما كانوا يستهزئون » (غافر — ٨٣) ، فرحوا بما عندهم : مبالغة في نفى فرحهم بالوحي الموجب لأقصى الفرح والمسرّة مع تهكم بفرط جهلهم وخلوهم من العلماء ^(٢) .

٤ — المبالغة على سبيل التمثيل

يقول الشريف المرتضى في قول الرسول ﷺ « لَعَنَ الله السارق ، يَسْرِقُ البيضة فتقطع يده ، وَيَسْرِقُ الحبل فتقطع يده » ^(٣) : وأما الحبل فذكر على سبيل المثل ، والمراد المبالغة في التحقير والتقليل ، كما يقول القائل : ما أعطاني فلان عقلاً ، وما ذهب من فلان عقل ، ولا يساوى كذا نقيراً ، كل ذلك على سبيل المثل والمبالغة في التقليل ^(٤) وكذا ذهب الزنجشري في قوله تعالى « فما بكث عليهم السماء والأرض ، وما كانوا مُنظَرين » (الدخان — ٢٩) ... وهذا الكلام وارد على سبيل التمثيل والتخييل ، مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه ^(٥) وكذا في قوله تعالى « قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين » (الزخرف — ٨١) ... على سبيل الفرض والتمثيل ^(٦) .

٥ — المبالغة بغرض الدفاع عن الدين

لم يتخلف أحد من المسلمين العلماء عن الذود عن دينه ، سُنَّياً كان أو أشعرياً أو معتزلياً ، وسنكتفى هنا بمثاليين ، أحدهما للخطابي السني (ت ٣٨٨

(١) الكشف — ٦١/٣

(٢) نفسه — ٤٣٩/٣

(٣) البيضة — يعني بها الكثير الجليل ، والحبل : يعني به الحقير القليل ، هامش الأمل .

(٤) الأمل — ٢/ من ٥ إلى ٩

(٥) الكشف — ٥٠٤/٣

(٦) نفسه — ٤٩٧/٣

هـ) والآخر معتزلى شيعى هو الشريف الرضى (ت ٤٠٦ هـ) ، فالخطائى ، أبو سليمان حمّد بن محمد ، قد أفرد رسالته « بيان إعجاز القرآن » للرد على المعترضين والمغرضين ، يذكر رأيهم ثم يتولى تفنيده ، فمثلا يقولون فى قوله تعالى « والذين هم للزكاة فاعلون » (المؤمنون — ٤) : إن المستعمل فى الزكاة المعروض لها من الألفاظ ، الأداء والإيتاء ، ونحوها ، كقولك : أدّى فلان زكاة ماله ، وآتاها ، وأعطّاها ، أو زكّى ماله ، ولا يقال : فعل فلان الزكاة ، ولا يعرف ذلك فى كلام أحد — الجواب : أن هذه العبارات لا تستوى فى مراد هذه الآية ، وإنما تفيد حصول الاسم فقط ، ولا تزيد على أكثر من الإخبار على أدائها فحسب ، ومعنى الكلام ومراده « المبالغة » فى أدائها ، والمواظبة عليه ، حتى يكون ذلك صفة لازمة لهم ، فيصير أداء الزكاة فعلا لهم ، مضافا إليهم ، يُعرفون به ، فهم له فاعلون ، وهذا المعنى لا يُستفاد على الكمال ، إلّا بهذه العبارة ، فهى أولى العبارات ، وأبلغها فى هذا المعنى ... »^(١) .

والشريف الرضى (ت ٤٠٦ هـ) ينفى التشبيه عن الله سبحانه ، ويرى فى آية « يد الله مغلولة » تجاوزاً ويقصد المبالغة ، يقول : وفى قوله تعالى « وقالت اليهود يدُ الله مغلولة ، غُلّت أيديهم ، ولعنوا بما قالوا ، بل يدها مبسوطتان ، ينفق كيف يشاء » (المائدة — ٦٤) ، فهذه استعارة ، ومعناها أن اليهود ، أخرجوا هذا القول مخرج الاستبخال لله سبحانه ، فكذبهم تعالى بقوله « بل يدها مبسوطتان ، ينفق كيف يشاء » ، وليس المراد بذكر اليدين ههنا الاثنتين اللتين هما أكثر من الواحدة ، إنما المراد به المبالغة فى وصف النعمة ، كما يقول القائل ، ليس لى بهذا الأمر يدان ، وليس يريد به الجارحتين ، وإنما يريد المبالغة فى نفى القوة على ذلك الأمر ، وربما قيل : إن المراد نعمة الدنيا ، ونعمة الآخرة »^(٢) .

والعدل الإلهى يتجلى فى عطاء الله للإنسان على حسب ما يعلمه من مصالحة ، لا على حسب ما يسنح به مآربه ، يقول الشريف الرضى فى قوله

(١) الخطائى — بيان إعجاز القرآن — ٤١ ، ضمن « ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن » تحقيق د. محمد زغلول سلام — ط دار المعارف ، الطبعة الثالثة .

(٢) تلخيص البيان — ١٣٣ ، وانظر قوله فى آية « سَتَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ » ، وقوله « ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا » (الم نشر — ١١) ، تلخيص البيان — ٣٢٢ وما بعدها .

سبحانه « خلق الإنسان من عجل » (الأنبياء — ٣٧) ، إن المراد أن الإنسان خلق مستعجلاً يطلب ما يؤثره ، واستطراف ما يحذره ، والله سبحانه إنما يعطيه ما طلب ، ويصرف عنه ما رهب : على حسب ما يعلمه من مصالحه ، لا على حسب ما يسنح من مآريه ، وقيل ذلك على طريق المبالغة في وصف الإنسان بالعجلة ، كما يقال في الرجل الذكي : إنما هو نار تتوقد ، وللإنسان البليد : إنما هو حجر جلمد^(١) .

(١) تلخيص البيان — ٢٣٠

ثالثا : التعليل وطرافة التعليل

التعليل وطرافة التعليل

لكل موجود علة ، ولكل كائن سبب في وجوده ، وكلما كانت العلة مقنعة ، كان المعلول مُقنعاً ، قال تعالى « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » (الذاريات — ٥٦) ، وقال المصطفى ﷺ « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسَّوَّاء عند كل صلاة » .

فالعلة هي المبرر لإحداث الحدث .

والقضية هنا تبدو فلسفية ، فالعلة تحدد قيمة المعلوم ، والمعلوم يحدد قدر العلة وطبيعتها ، فثمة علاقة ... ، وإذا طرقتنا ميدان الشريعة أو القوانين الوضعية ، أو أى مجال من مجالات الدراسات الإسلامية أو الفن أو العلوم ، سنجد العلة والسببية عاملاً هاماً تنجذب إليه عوامل عديدة ، وتدور في فلكه عوامل أخرى .

أما في البلاغة ، فالأمر يختلف ، هي لا تسأل عن جوهر العلة وغايتها ، إنما تسأل عن « التعليل » ، أى عن كيفية صوغ العلة ، عن أسلوب عرض هذه العلة ، وطريقة اكتشافها ، والربط بينها وبين المعلول ، البلاغة تسأل عن كيفية توصيل مفهوم العلة إلى المخاطب ، وعن البراعة في تصوير العلة والمعلول في إطار من التناسب .

إذن « التعليل » هو الطريقة الفنية التي يُعرض بها العلة في إحداث الحدث من خلال ذات الفنان في إطار من التناسب .

و « طرافة التعليل » درجة من الإغراب اللطيف الذى يتوصل إليه الفنان لقطع رقابة وجود العلة مقترنة بالمعلول ، ونوعٌ من لفت الانتباه والإثارة وضرب من « خفة الدم » والفنان هنا معرض للوقوع في السخف أو في الردىء من أنواع التعليل .

وقد أسهم القرآن الكريم بصورة من « التعليل » يعلل فيها بطريقة بليغة ومعجزة ، فيها الفن ، وفيها المنطق ، وفيها التشريع ، وفيها الجديدة ... ، وكذا علل

المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، فالتعليل هنا تشريع ، وتعليل جاد لا هزل فيه .

فالشاعر الذى يقول :

أَرَى بَدَرَ السَّمَاءِ يَلُوحُ حِيناً . . . وَيَبْدُو ثُمَّ يَلْتَحِفُ السَّحَابَا
وَذَاكَ ، لِأَنَّهُ لَمَّا تَبَدَّى وَأَبْصَرَ . . . وَجْهَكَ اسْتَحْيَا وَغَابَا

قد علل تعليلاً طريفاً . أما ذلك الشاعر الذى يقول لصاحبه :

وَلَقَدْ هَمَمْتُ بِقَتْلِهَا مِنْ حُبِّهَا . . . كَيْمَا تَكُونَ خَصِيمَتِي فِي الْحَشْرِ
حَتَّى يَطُولَ عَلَى الصَّرَاطِ وَقُوفُنَا . . . فَيَلْدَّ عَيْنِي مِنْ لَذِيذِ الْمُنْظَرِ

قد فشل فى الاهتداء إلى تعليل طريف ، وأوقع نفسه فى السخف والبرودة . كما فشل الصلاح الإرتلى معللاً عدم نزول المطر بأرض مصر وبطء جريان النيل : بقوله :

مَا قَصَّرَ الْعَيْثُ عَنْ مِصْرَ وَتَرْتِهَا . . . وَلَكِنْ تَعَدَّائِكُمْ مِنَ الْحَجَلِ
وَمَا جَرَى النِّيلُ إِلَّا وَهُوَ مُعْتَرِفٌ . . . بِسَيْقِكُمْ ، فَلِذَا يَجْرِي عَلَى مَهَلٍ

لأن من الطريف : المقبول والمجوج ، ومن الطريف : الخفيف والسخيف ، ومن الطريف : المليح والقيح ، أما تعليل القرآن فهو تعليل جاد ، لا طرافة فيه ولا عبث مستظرف ، وإنما فيه الجودة ، والاتقان فى الصنعة ، والجدة فى الغاية .

ونستطيع أن نفرق بين المصطلحين ، فنقول :

التعليل :

كل صياغة فنية تُبرَّرُ وقوع الحدث من وجهة نظر صاحبها .

وطرافة التعليل :

كل صياغة فنية تُبرَّرُ وقوع الحدث من وجهة نظر صاحبها تبريراً يهدف إلى الاستظراف والملاحة .

وقد شارك الشعراء القرآن الكريم في « التعليل » ، ولم يشارك القرآن الكريم الشعراء في « طرافة التعليل » .

« التعليل » و « طرافة التعليل » في التراث :

ليس من المتوقع أن يطلق سيبويه (ت ١٨٠ هـ) مصطلح « التعليل » على المفعول لأجله ، الذي ذكره في باب « ما ينتصب من المصادر ، لأنه عذر لوقوع الأمر » يقول «...» وذلك قولك « فعلت ذاك جِدار الشر ، وفعلت ذاك مخافة فلان ، وادخار فلان ، كقول الحارث بين هشام :

فَصَفَحْتُ عَنْهُمْ وَالْأَجِبَّةُ فِيهِمْ .: طَمَعاً لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمٍ مُفْسِدٍ^(١)

وكقول حاتم الطائي ... والنابعة ... والعجاج ...، ثم يكمل ما قاله قبل الشواهد « وفَعَلْتُ ذاك أَجَلَ كذا وكذا ، كله ينتصب لأنه مفعول له ، كأنه قيل له : لم فعلت كذا وكذا ، فقال : لكذا وكذا ... »^(٢) .

وهذا يكون لدينا موضوع من الموضوعات النحوية البلاغية وهو « المفعول لأجله » أي « التعليل » ، ولعل هذا ما دفع بالبلاغيين أن يتركوا « فن التعليل » ميراثاً خالصاً للنحاة ، وكأنهم خلطوا بين « فن التعليل » و « العلل النحوية » التي أشبعها ابن جني درساً^(٣) إلى أن جاء ابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦ هـ) ، وذكر « الاستدلال بالتعليل »^(٤) ويقصد بالاستدلال : الاستشهاد^(٥) وفيه ذكر الخفاجي اجتهادات طريفة للشعراء — من مثل قول الشاعر أبي الحسن التهامي :

(١) من أبيات قالها معتدراً من فواره يوم بدر ، وقد قُتل أخوه أبو جهل فيها ولم يأخذ بثأره ، عنهم : عن أعدائه . يقول : لم يترك القتال جنباً ، ولم يَقُفْ عنهم ويصفح إلا طمعا في أن يعد لهم ويعاقبهم بيوم يوقع بهم فيه ، فيفسد أحوالهم ، هامش ص ٣٦٩ من الجزء الأول من الكتاب .

(٢) الكتاب — ٣٦٧/١ وما بعدها ، وانظر بحث الدكتور محمد بدرى عبد الجليل « حسن التعليل والقرآن » بحث بمجلة كلية الآداب بالاسكندرية ، عام ١٩٨٠ م .

(٣) انظر الخصائص ٤٨/١ — ٩٦ ، باب « ذكر علل العربية أكلامية هي أم فقهية ؟ » وباب « في تخصيص العلل » — ١٤٤/١ — ١٦٤ ، وغيرها ، وانظر الدكتور خديجة الخديشي — دراسات في كتاب سيبويه — فصل العلة النحوية ص ١٥٥ وما بعدها ط الكويت .

(٤) سر الفصاحة — ٢٦٩

(٥) أبو هلال العسكري — الصناعتين — فصل الاستشهاد والاحتجاج — ٤٣٤

لَوْ لَمْ تَكُن رِيقَتُهُ حَمْرَةً .: لَمَّا تَشْنَى عِطْفُهُ وَهُوَ صَاحٍ
وقول البحتري :

وَلَوْ لَمْ تَكُنْ سَاخِطاً لَمْ أَكُنْ .: أَذُمُّ الزَّمَانَ وَأَشْكُو الْخُطُوبَا
ولكنه يخلط - ويضيف إلى هذا الهزل ، قوله تعالى « لو كان فيهما آلهة إلا
الله لَفَسَدَتَا » (الأنبياء — ٢٢) ^(١)، ومن المستبعد أن يظل الدرس البلاغى
مفتقداً إلى الإشارة لفن التعليل طوال هذه القرون في انتظار ظهور ابن سنان
الخفاجى ، فحديثه لا يدل على أنه افترع القول فيه ، ولكن ليس بين أيدينا غير
هذا — حسب علمى .

ولا نقول ما قاله الدكتور أحمد موسى فى « الصَّبغُ البديعى » ... « ... ومن
هنا نستطيع أن نحكم بأن ابن سنان الخفاجى أول من عَرَضَ لِحُسْنِ التعليل من
المؤلفين فى البديع بعد أبى هلال ثم تلاهما عبد القاهر ، فسماهم التخييل » ^(٢) هذا
بالإضافة إلى أن أبى هلال لم يذكر شيئاً من « التعليل » إنما ذكر « المذهب
الكلامى » ^(٣) . واليون بينهما شاسع .

أما عبد القاهر الجرجانى (ت ٤٧١ هـ) ، فقد نظر إلى « التعليل » نظرة
فنان ، فالتعليل « محاولة الإقناع » التى يقوم بها الفنان لتحظى صورته بالقبول
لدى المخاطب ، لذا يعتمد التعليل على التخييل والإيهام ، وتتخذ من التشبيه مادة
لتشكيل صورته ، والتعليل عنده نوعان :

١ — نوع يعلل وجود الصفة الثابتة بعللة مُتَخَيَّلَةٍ ، وذلك لتعظيم الممدوح ،
أو تعظيم أمر من الأمور ، ومنه قول المتنبى :

لَمْ يَحِلِّ تَأْيِيلُكَ السَّحَابَ وَإِنَّمَا .: حُمْتُ بِهِ فَصَيَّبُهَا الرُّحَضَاءُ
لأنه وإن كان أصله التشبيه من حيث يُشَبَّه الجواد بالغيث ، فإنه وضع المعنى

(١) سر الفصاحة ٢٧٠

(٢) د. أحمد موسى — الصبغ البديعى — ٢١٧ ط دار الكتاب العربى — ١٩٦٩ م .

(٣) الصناعتين — ٤٢٦

وضعا ، وصَوَّرَ في صورة خرج معها إلى ما لا أصل له في التشبيه ^(١) فالسحابة لم تحك تائله ، لأنها لا تقدر على ذلك لكثرة عطائه ، وما يسقط منها عرق الحمى التي أصابتها لحسدها إياك ؛ « فسقوط الغيث » صفة ثابتة ، أما علة السقوط فهي علة متخيلة .

٢ — ونوع آخر يعلل وجود صفة مُتَخَيِّلَة ، بعلة ثابتة ، كقول ابن المعتز :

قَالُوا اشْتَكَيْتَ عَيْنَهُ فَقُلْتُ لَهُمْ مِنْ كَثَرَةِ الْقَتْلِ نَالَهَا الْوَصْبُ
حُمُرُهَا مِنْ دِمَاءٍ مَنْ قَتَلْتُ وَالْدَّمُ فِي النَّصْلِ شَاهِدٌ عَجَبٌ ^(٢)

يقول الجرجاني « وبين هذا الجنس وبين نحو :

الرَّيْحُ تَحْسِدُنِي عَلَيْكَ وَلَمْ أَخْلُهَا فِي الْعِدَا
لَمَّا هَمَمْتُ بِقُبْلَةٍ رَدَّتْ عَلَى الْوَجْهِ الرَّدَا

وذلك أن لك هناك فعلا هو ثابت واجب في الريح ، وهو رد الرداء على الوجه ، ثم أحببت أن تَطَرَّفَ ، فادعيت لذلك علة من عند نفسك ، وأما ههنا فنظرت إلى صفة موجودة ، فتأولت فيها ، أنها صارت إلى العين من غيرها ، وليست هي من شأنها أن تكون في العين ، فليس هنا معك إلا معنى واحد ، وأما هناك فعندك معنيان ، أحدهما موجود معلوم والآخر مُدَّعَى موهوم ^(٣) .

ونلاحظ أن الجرجاني لم يستشهد بآية قرآنية واحدة ، فإجمال الذي يتخذ فيه تحت فصل بعنوان « في الأخذ والسرقة وما في ذلك من التعليل وضروب الحقيقة والتخييل » وقد قسمه إلى قسمين « قسم عقلي » وآخر « تخييلي » ، والتعليل الطريف هو التخييلي ، فلا مجال للقرآن فيه ^(٤) .

(١) الأسرار — ٢٢٣ تحقيق رشيد رضا ، الطبعة السادسة — ١٩٦٠ م .

(٢) يقول رشيد رضا في الهامش : أحفظ المصراع الثاني من البيت الأول « من كثرة الفتك نالها وصب » وكلمة « الفتك » أطرف وأبلغ من كلمة « القتل » ، ومن البيت الثاني بإبدال كلمة « السيف » بكلمة « النصل » .

(٣) الأسرار — ٢٢٦ .

(٤) نفسه — ٢١١ وما بعدها .

أما الزمخشري ، فيقف أمام آيات التعليل ، ويصرح بها ، ولكنه لا يعطى الصورة حقها كما عَوَّدْنَا ، ويبدو أنه كان متحرجا ، أو حذرا من الوقوع في دائرة التعليل « الطريف » ، وسنرى الوطواط (ت ٥٧٣ هـ) يستشهد له بيت له علة طريفة ، ولكن بعد الوقوف مع الزمخشري في آية « ... خذوه فَعَلُّوه ثم الجحيم صَلُّوه ، ثم في سلسلة ذرعا سبعون ذراعا فاسلكوه ، إنه كان لا يؤمن بالله العظيم » (الحاكة ، ٣٠-٣٣) يقول « إنه » تعليل على طريق الاستئناف ، وهو أبلغ ، كأنه قيل : ماله يعذب هذا العذاب الشديد ، فأجيب بذلك «^(١)» .

ويعرف رشيد الدين الوطواط (ت ٥٧٣ هـ) « حسن التعليل » بأن يذكر الشاعر في بيت من أبياته صفتين من الصفات ، ويجعل الواحدة منهما علة للأخرى ، وغرضه من ذلك مجرد ذكر هاتين الصفتين ، ولكنه يذكرهما بهذه الطريقة حتى يزداد بذلك جمال أسلوبه ، وابداع عباراته ، ومثاله من قول فخر خوارزم ، الزمخشري :

وإن غادرَ الغُدرانَ في صَحْنٍ وَجَنَّتِي . . . فَلَا غَرَوَ مِنْهُ لَمْ يَزَلْ وَابِلًا يَهْمِي
فقد أثبت الغدران صحن وجنته ، بعله أن الممدوح وابل يهمي ، والوايل الهامي علة كذلك في الغدران «^(٢)» .

ثم أتى ابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤ هـ) ليعالج « التعليل » و « طرافة التعليل » ، الأول في كتابه « بديع القرآن » وهما معا في كتابه « تحرير التحبير » ، يقول في تعليل القرآن « التعليل : هو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو مُتَوَقَّع ، فيقدم قبل ذكره ، لكون رتبة العلة التقدم على المعلول ، كقوله تعالى « لولا كتاب من الله سبق لَمَسَّكُمْ فيما أخذتم عذاب عظيم » [الأنفال — ٦٨] ، فسبق

(١) الكشف — ١٥٤/٤ ، وانظر قوله في آية « ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يُبَلِّغُكُمْ فيما آتاكم فاستيقوا الخيرات ، إلى الله مرجعكم جميعاً » (المائدة — ٤٨) والكشاف — ٦١٨/١ ، وقوله في آية « يأيا الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم ، لا يألونكم تحبلاً ، وَذُؤا ما عنكم ، قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفى صدورهم أكبر ، قد بينا لكم الآيات ، إن كنتم تعقلون » (آل عمران — ١١٨) والكشاف — ٤٥٨/١

(٢) حدائق السحر في دقائق الشعر — ١٨٩ ، نقله إلى العربية د. إبراهيم الشوارى ، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٤٥ م .

الكتاب من الله تعالى هو العلة في النجاة من العذاب»^(١) ، وفي « تحرير التحبير » يفرد باباً للتعليل ، يقدمه بالمقدمة السابقة ، وذلك لأن كتابه « بديع القرآن » مستخلص من كتاب « التحبير » ... ، ثم يقول ، ومن الأمثلة الشعرية في ذلك قول البحترى :

وَلَوْ لَمْ تَكُنْ سَاحِطًا لَمْ أَكُنْ . . . أَذُمُّ الرُّمَانَ وَأَشْكُو الْخُطُوبَا

فوجد سخط المدح ، هو العلة في شكوى الشاعر الرمان»^(٢) ، فالصفة ثابتة والعلة متخيلة ، ولكن ابن أبي الإصبع هنا يأتي على شاهد من الشواهد التي جنحت إلى التطرف غير الموفق ، وهو قول أبي القاسم ابن هانيء الأندلسي :

وَلَوْ لَمْ تُصَافِحْ رِجْلَهَا صَفْحَةَ الْقُرَى . . . لَمَا كُنْتُ أَدْرِي عِلَّةً لِلتَّيِّمِ

ويحسّ ابن أبي الإصبع بانزلاقه إلى هذا الشاهد ، وكأنه ينقل الموضوع من مصدر سبقه إليه ، فيعتذر عنه قائلاً « ... وهذا من غلو ابن هانيء المعروف ، فَلَحَى اللَّهُ غُلُوهُ ... ، ويسترسل في نقض البيت ... ، وهو في تقسيمه لموضوع التعليل يقسمه قسمين ، أحدهما : ما تقدمت فيه عِلَّةُ الحكم على الحكم نفسه ، والقسم الآخر ، وهو ما تقدم الحكم على العلة نفسها ، يقول فيها : وأما ما جاء منه متقدم المعلول على العلة ، إغراباً وطرافة ، فكقول مسلم بن الوليد :

يَا وَاشِيًا حَسُنْتَ فِينَا إِسَاءَتُهُ . . . نَجَّى حِذَارُكَ إِنْسَانِي مِنَ الْغَرَقِ

فإن هذا البيت لم يُسمع في هذا الباب مثله ، لأن مُسْلِماً أغرب في معناه بتلطفه في تحسين إساءة الواشي ، لإنجائه إنسان عينه من الغرق بالدمع ، لامتناعه عن البكاء لحذره منه ، فغاير في ذلك الناس ، أعنى استحسان الإساءة ، وكأنه سئل عن استحسانه إساءة الواشي ، ففسر ذلك بنجاة إنسانه من الغرق ، وأدجج في هذا معنى الاعتذار عن عدم البكاء ، وتبيين العلة في ذلك من جهة حذره من الواشي بحبه ، وفي ذلك فضيحة محبوبة ... ، وجاء في ضمن ذلك الإدماج

(١) بديع القرآن — ١٠٩

(٢) تحرير التحبير — ٣٠٩

بالمبالغة ، إذ مفهوم كلامه وملزومه ، أنه لولا حذره من الواشى لبكى بدمع يُغرق إنسانه ، بحيث لا ينحسر^(١) عنه الماء^(٢) .

وعرّف محمود بن سليمان الحلبي (ت ٧٢٥ هـ) صاحب « حُسن التَّوسُّل في صناعة التَّرسُّل » عرّف « حسن التعليل » بأنه « يُدعى لوصف عِلَّة مناسبة له ، باعتبار لطيف » ، ولم يستشهد فيه بآية قرآنية^(٣) .

أما القزويني (ت ٧٣٩ هـ) ، فيتوقف عند « حُسن التعليل » طويلا ، جامعا شتات الموضوع ، مقسما إياه أربعة أقسام ، ذلك ، لأن الوصف : إما ثابت قُصيد بيان علته ، أو غير ثابت أريد إثباته ، والأول : إما أن لا يظهر له في العادة عِلَّة ، أو يظهر له عِلَّة غير المذكورة ، والثاني : إما ممكن أو غير ممكن ، ثم يأتي على التواحد . وقد اعتمد القزويني فيما عرضه على ما سبقه إليه الجرجاني وابن أبي الإصبع وغيرهما^(٤) ولم يأت شراحه بجديد على ما قال^(٥) .

ومن واقع جهد السابقين في التعليل نرى :

- ١ — أن المفعول لأجله شارك فن التعليل في درس البلاغيين للتعليل .
- ٢ — أنهم مالوا إلى إطلاق مصطلح « حُسن التعليل » بمعنى البراعة فيه ، لأن التَّنَاج الذي كان بين أيديهم لم يكن فيه ميل إلى التطرف والملاحاة بالصورة المسرفة التي ظهرت فيما بعد . ولما اتسعت ابتكارات الشعراء في « حُسن التعليل » صار لزاما على البلاغيين أن يرفضوا منه ما تجاوز المقدار وهبط إلى السخف .
- ٣ — ولم يحاول البلاغيون فصل تعليل القرآن عن تعليل الشعراء ، الذي احتوى على العلة الفنية البارة ، والعلة الرديئة .

(١) لا ينزاح عنه الماء

(٢) تحرير التحرير — ٣١١

(٣) حسن التوسل إلى صناعة الترسل — ٥٥ ط دمشق المطبعة الوهبية ١٢٩٨ هـ

(٤) الإيضاح — ٥١٨ وما بعدها

(٥) شروح التلخيص — ٣٧٣/٤

لذا ، آثرت أن يكون « التعليل » كل صياغة فنية تُبرّر وقوع الحدث من وجهة نظر صاحبها ، أما التعليل الآخر ، فهو التعليل الطريف ، ذلك الذى يُبرّر وقوع الحدث من وجهة نظر صاحبها تبريراً يهدف إلى الملاحظة والاستظراف ، وناصره « خفة ظل صاحبه » على ألا يهبط به الأمر إلى السخف ، وصدّم الأذواق .

رابعاً : التورية

١ — المصطلح

٢ — التورية عند القدماء .

رابعاً : التورية

أولاً : المصطلح

التورية أو التوجيه أو الإيهام أو التخيل أو التخيير أو المغالطة ، هي : أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد ، ويراد البعيد اعتماداً على قرينة ، وإليه قصد المتكلم ، أما القريب الظاهر وله قرينته أيضاً فقد ذكره المتكلم للإيهام ، وفيها ما فيها من المفاجأة والإثارة ، وفيها ما فيها من الحرية في التعبير حيال ضغط الرقيب ، وفيها ما فيها من الطرافة والرشاقة ، وروح الفكاهة ، وبراعة الفن .

انظر إلى ابن سناء الملك المصري (ت ٦٠٨ هـ) يقول متغزلاً :

أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ لَا خَوْفُ سَخَطِكَ لَهَانَ عَلَيَّ مَا أَلْقَى بِرَهْطِكَ
مَلَكْتُ الْخَافِقَيْنِ فَتَهَتَ عُجْبًا وَلَيْسَ هُمَا سِوَى قَلْبِي وَقِرْطِكَ

فكلمة « الخافقين » لها معنيان ، قريب وهما المشرق والمغرب ، وقرينتهما « ملكت » أى حكمت ، وتحكمت فى ، ويؤيده لفظ « التيه » وهذا غير مقصود ، ومعنى آخر بعيد — مقصود ، وهو « القلب والقرط » ، وقرينتهما أن القلب والقرط من طبيعتهما الخفقان ، قلبه يخفق كلما رآها ، وقرطها يخفق كلما تحركت ، وكأن القرط موكل بسرعة خفقان القلب ، ويدعى أنه لا يدري ، بينما هو يدري ، فصاحيته تعلم ما يصنعه القرط فى هذا القلب ...

وقد وردت التورية فى القرآن الكريم ، حكاها القرآن على ألسنة البشر ، ولا تورية فيما وصف به الله تعالى نفسه^(١) يقول تعالى حكاية عن أخوة يوسف

(١) ما ذهب إليه البلاغيون من أن « استوى » فى قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » (طه — ٥) فيها تورية ، وأن قوله تعالى (والسماء بنيناها بأيدي) [الذاريات — ٤٧] فيها تورية فى « أيدي » بمعنى الخارجة ومعنى القدرة ، ليس فيه شيء مقنع ، فهما ليسا من التورية فى شيء ، وقد أحس بذلك سعد الدين الفتازانى بالنسبة لقوله تعالى « بنيناها بأيدي » يقول : وهذا (أى القول بالتورية) مبنى على ما اشتهر بين أهل الظاهر من المفسرين ، وإلا فالتحقيق أن هذا تمثيل وتصوير لعظمته ، وتوقيف على كنهه جلالة ، من غير أن يتمحل للمفردات حقيقة أو مجاز » (شرح السعد — ضمن شروح التلخيص — =

« قالوا : تالله إنك لفي ضلالك القديم » (يوسف — ٩٥) ، فكلمة « الضلال » تحتل معنيين : ضلال ضد الهوى ، وقرينته قول يعقوب عليه السلام « ... إني لأجد ريح يوسف لولا تَفَنُّدُون » (يوسف — ٩٤) ، ومعنى آخر بعيد ، وهو حب يعقوب عليه السلام لابنه يوسف ، وقرينته « ... كَيُوسُفَ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى آبَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ » (يوسف — ٨) .

ومن التورية نوع آخر يطلق عليه « الاستخدام » وهو : أن يُراد بلفظٍ أحد معنيه ، ثم يُراد بالضمير العائد إلى ذلك اللفظ معناه الآخر ، كقوله تعالى « لكل أجل كتاب » ، يحو الله ما يشاء ويثبت ، وعنده أم الكتاب » (الرعد — ٣٨ و ٣٩) ، فلفظة « كتاب » تحتل الأجل المحتوم ، ومعنى الكتاب المكتوب ، وقد توسطت كلمتي أجل ويحو ، فلفظة « أجل » تخدم المعنى الأول ، ولفظة « يحو » تخدم المعنى الثاني . ومنه قول البحتري :

فَسَقَى الْعُضَاءَ وَالسَّاكِينِيهِ وَإِنْ هُمُو . شَبُوهُ بَيْنَ جَوَانِحِ وَضُلُوعِ
يدعو الله أن يسقى العضا وساكنيه ، وإن عذبوه وأوقدوا النار في قلبه ، فقد أطلق « العضا » بمعنى ذلك النوع من الشجر الذي لا ينطفئ جمره بسرعة ، وواحدته غضاة ، ثم أعاد عليه الضمير في « الساكنيه » ولم يقصد إلى « الشجر » هنا ، إنما قصد ذاك الوادى المعروف بنجد في المملكة العربية السعودية ، ثم عاد وأعاد الضمير في « شَبُوه » إلى الشجر ذى النار الموقدة ، وقرينة معنى « الوادى » في « الغضا » ، « الساكنيه » ، وقرينة معنى النار الموقدة في « الغضا » شَبُوه بَيْنَ جَوَانِحِ وَقُلُوبِ .

= ٣٢٥/٤) ويقول السبكي عن « استوى » و « بأيدي » : فكأن البناء بالأيدي جعل هنا مرادفاً لنهاية القوة في البناء ، ونهاية العظيمة في تركيب الشيء ، وكذا « على العرش استوى » يجعل تمثيلاً بالتشبيه أو بالكناية ، للدلالة على ملكه كل شيء ، كأنه جعل مرادفاً للملك من غير أن يتمحل حقيقة أو مجازاً لمفرد من المفردات ، بل التجوز باعتبار التركيب » (عروس الأفراح ضمن شروح التلخيص — ٢٦/٤) ويقول ابن يعقوب المغربي في كلام طويل « ... ولكن لا نستلم أن المراد بقوله تعالى « بأيدي » ذلك ، بل المراد القوة ، وإذا كان الأيدى : القوة ، فما الضرورة إلى تأويل « بأيدي » على الأيدى المتجوز بها عن القوة ، وقد جزم الرخيشري وغيره بأن المراد في الآية الأيدى المفرد وهو القوة » (مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص — ٣٢٥/٤) ، وانظر الكشاف ٢٠/٤ .

أى أنه فى التورية ، يُراد أحد المعنيين فى اللفظ ، وفى الاستخدام يراد المعنيين كليهما .

وعادة ما يكون المعنى البعيد هو المقصود ، وهو المورى ، وفى « التورية » ويكون المعنى القريب للإيهام .

وفى الاستخدام ما فى التورية من جمال ورشاقة ، فالبحترى يدعو للغضا، ويدعو لساكنيه بالسقيا والتماء والسعادة ، لأن صاحبه أحد الساكنين ، ولأن الغضا يضم جناحيه فى حنو عليهم ، ولأنهم اكتسبوا من اسم واديهم القدرة على التعذيب اللذيذ ، والقدرة على امتلاك الجوانح ، فالصلة بين الوادى وبينهم لا تنقطع ، وهو كان أحد الضحايا ، ولكنه لا يشكو ، فقط يدعو ، ولعلمهم يرقون له فيواصلون .

ومسألة المعنى القريب الموهم ، والمعنى البعيد المقصود ، قد وسعت الدائرة وجعلتها تحتل فنونا عديدة ، فالجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) يحدثنا عن « اللغز فى الجواب » ويسجل لنا هذا الحوار ، يقول : « وقال خالد بن الوليد لأهل الخيرة ، أخرجوا إلى رجل من عقلائكم أسأله عن بعض الأمور ، فَأَخْرَجُوا إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَسِيحِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حِيَّانٍ فَقَالَ لَهُ خَالِدٌ : مِنْ أَيْنَ أَقْصَى أَثْرُكَ ؟

قال : من صُلبِ أُمِّ .

قال : فمن أين خرجت ؟

قال : من بطن أُمِّ .

فقال : فَعَلَّامَ أَنْتَ ؟

قال : على الأرض .

قال : ففيم أَنْتَ ؟

قال : فى ثيابى .

قال : ما سُنُّكَ ؟

قال : عَظُم ... الخ .

ومثل ما دار بين الحجاج (ت ٩٥ هـ) لرجل من الخوارج :

رمل وحنظلة ، يريد : جاءكم بنو حنظلة في عدد كثير ككثرة الرمل والشوك^(١) .

ولا تزعجنا كل هذه المصطلحات (اللغز في الجواب — اللحن — الأحاجي — الكناية) ، فالأساس واحد ، والمصطلحات لم تستقر بعد ، الأساس : لفظة لها معنيان ، واستعمل أحدهما والمقصود الآخر ، وقد نستعملهما معاً ، ولابد من القرينة ، تورية كانت أم استخداما ، وما اللغز في الجواب ، أو اللحن في القول أو الأحاجي ، إلا مسميات لشيء واحد ، هو « اسورية » لأغراض بلاغية ، طالما بُعدت عن التكلف والصنعة والمهارة واللفظية .

والآن إلى استعراض جهود القدماء في التورية .

ثانيا : التورية عند القدماء

من النصوص المبكرة في فن التورية ، ما ورد في « معاني القرآن » للفراء (ت ٢٠٧ هـ) في قوله تعالى « يأيتها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا ، وقولوا انظرنا » [البقرة — ١٠٤] لأن « راعنا » تعنى راقبنا وانتظرنا وثأن حتى نفهم القرآن الكريم ونحفظه ، وتعنى كذلك كلمة باليهودية^(٢) .

ولم يصرح الجاحظ بمصطلح التورية ، إنما أورد ما يدخل في باب التورية وهو « اللغز في الجواب » كما مر بنا^(٣) .

وردد ابن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ) شرح الفراء لمعنى « راعنا »^(٤) وقال صاحب إسماعيل بن عباد (ت ٣٨٥ هـ) في بيت المتنبي :

نَهَبْتُ مِنَ الْأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَّيْتُهُ . : كَهْتَبْتُ الدُّنْيَا بِأَنْكَ وَاحِدُ
« هذا مدح مُوجَّه »^(٥) ومرر بنا كيف قرن أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ)

(١) الصناعين — ٣٨٦

(٢) معاني القرآن — ٦٩/١ و ٧٠

(٣) البيان — ١٤٧/٢

(٤) تفسير غريب القرآن — ٦٠ ، تحقيق السيد أحمد صقر ، ط دار الكتب العلمية .

(٥) ديوان المتنبي — ٢٧٧/١ ، ويعلق الثعالبي عبد الملك بن محمد — (ت ٤٢٩ هـ) على نفس البيت

بين الكناية والتورية ، بالرغم من أنه لم يتوقف أمام التورية ، بعد أن أطلق عليها المصطلح الشائع « تورية »^(١) ولا تشترك الكناية مع التورية إلا في إخفاء أحد المعنيين ، ثم تختلف الطرق بهما^(٢) .

ويتخذ القاضي عبد الجبار (ت ٤١٥ هـ) التورية ، وسيلة من وسائل الدفاع عن الوجدانية ، ودفع قول المجسمة في الله تبارك وتعالى . وذلك في قوله سبحانه « هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعاً ، ثم استوى إلى السماء » (البقرة — ٢٩)^(٣) ويبدل القاضي جهداً كبيراً لاثبات أن الاستواء هنا ليس على حقيقته بل على معناه الآخر : الاستيلاء والاقتدار ، وكرر هذا الجهد مع كل الآيات التى ورد فيها لفظ « استوى »^(٤) .

قائلاً وهذا هو المدح الموجه ، أى كالثوب له وجهان ، ما منهما إلا حسن « يتيمة الدهر — ٢٠٠/١ ط ، ويشرح الواحدى — على بن أحمد — (ت ٤٦٨ هـ) البيت والمقصود من مصطلح « التوجيه » يقول : هذا من أحسن ما مِدَحُ به مَلِك ، وهو مديح مُوجَّه ، ذو وجهين ، وذلك لأنه مِدَح فى الصراع الأول بالشجاعة ، وكثرة قتل الأعداء ، فقال : نهبت من أعمار الأعداء بقتلهم ، ١٠ لو عشته لكانت الدنيا مُهْنَةً ببقائك فيها خالداً ، وهذا الوجه الثانى من المديح ، جعله جمالاً للعالم ، فهنأ الدنيا ببقائه فيها ، ولو قال « مَا لَوْ عِشْتَهُ لَبَقِيتَ خالداً » لم يكن المدح موجهاً « ديوان المتنبي — ٢٧٧/١ .

(١) الصناعتين — ٣٨١ .

(٢) والدليل على ذلك ما عُرِفَ « بطباق التدبيج » يقول عنه القزوينى « من الناس من سمى ما ذكرناه تدبيجاً ، وفسره بأن يُذكر فى معنى من المدح أو غيره ألوان بقصد الكناية أو التورية ،... وأما تدبيج التورية ، فكقول الحريرى « فمذ أزوّر المحبوب الأصفر ، وأغبرّ العيش الأخضر ، اسودّ يومى الأبيض ، وابيض قورى الأسود ، حتى رثى لى العدو الأزرق ، فياحبذا الموت الأحمر » — (ازور : انصرف وانحرف ، المحبوب الأصفر : هو المحبوب الذى به صُفْرَةٌ من المرض ، وهو أيضا الدينار الذهبى ، واختصار العيش : كناية عن طيبه ونعمته ، والاعترار : كناية عن ضيقه أو نقصانه ، واسود : كناية عن الحزن ، وابيض القور : كناية عن الضعف ، وزرقة العدو : كناية عن شدة عدائته ، والموت الأحمر : كناية عن شدة نوعه كأن يسيل فيه الدم بالقتل) — الإيضاح — ٤٨٢ و ٤٨٣ ، وسماه ابن سنان الخفاجى « المخالف » — ١٩٦ ، وانظر ابن أبى الإصبع — باب التدبيج من كتابه — بديع القرآن — ٢٤٢ .

(٣) المتشابه — ٧٤

(٤) انظر قوله فى آية ٣ من سورة يونس — المتشابه — ٣٥١ ، وآية ٢ من سورة الرعد — المتشابه ٤٠٣ ، وآية ٥ من سورة طه — التنزيه — ٢٥٣ وانظر « شرح الأصول الخمسة له — ص ٢٦٦ تحقيق د. عبد الكريم عثمان — ط الأولى — ١٩٦٥ م القاهرة .

ولم يشرح الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ما في لفظ « راعنا » من التورية في قوله تعالى « يأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا » (البقرة — ١٠٤) ^(١) ولكنه يقول في آية « ويقولون سمعنا وعصينا ، واسمع غير مُسمع ، وراعنا ، لئلا بالسنتهم » (النساء — ٤٦) : « غير مُسمع » حال من المخاطب ، أى أسمع وأنت غير مُسمع » وهو قول ذو وجهين يحتمل الدم — أى اسمع مدعوا عليك بـ « لا سمعت » ، لأنه لو أجبت دعوتهم عليه لم يسمع ، فكان أصم غير مسمع ،... ويحتمل المدح ، أى اسمع غير مسمع مكروها ، من قولك : أسمع فلان فلاناً اذا سبّه ، كذلك قوله : راعنا ، يحتمل راعنا نكلمك : أى راقبنا وانتظرنا ، ويحتمل شبه كلمة عبرانية أو سريانية ، كانوا يتسابون بها وهى « راعينا » ... ^(٢)

وفي الرسالة التى كتبها ابن مُنجب — على بن منجب بن سليمان ، ابن الصيرفى (ت ٥٤٢ هـ) ^(٣) وأهداها للأفضل ابن بدر الجمالى الوزير المصرى (ت ٥١٥ هـ) ، سماها « لَمَحُ المُلَح » ، وفيها يعرض لما يسمى بتجنيس التورية ، يقول ممهداً لشواهد « وما وَلَدَ المحدثون ، « تجنيس التورية » ، كقول ومهيار الديلمى (ت ٤٢٨ هـ) .

ومُدير سِيَّانُ عَيْنَاهُ والإبريقُ . فتكا وريقه والريحى
و « الإبريق » ههنا : السيف ، وهو من أسمائه ، قال أهل اللغة : إذا كان فى السيف بریق ، فهو إبريق ، ووجه التورية ، أنه لما قال « ومدير » ثم ذكر « الإبريق » ، حَسُنَ أن يُعتقد فيه أنه إله الخمر ، ولما كان المعنى على السيف ، صار مُورِياً عن غرضه بهذه اللفظة المشتركة ، وهذا غرور فى التجنيس ، ومثله قوله أيضا :

فَتَى لا يُرِيدُ المَجْدَ إِلَّا لِنَفْسِهِ . وَلَا المَالَ إِلَّا قِسْمَةً وَمَنَائِحًا
يُنَازِعُ أَرْبَابَ الزَّمانِ بِأُمْلٍ . جَوَائِزُ لِلْأُمُوالِ تُسَمَّى جَوَارِحًا

(١) الكشف — ٣٠٢/١

(٢) نفسه — ٥٣٠/١ ، وانظر قوله فى آية ٧٩ من سورة يوسف — الكشف ج ٣٣٦/٢

(٣) الأعلام — ٢٤/٥

فورى بـ « جوارح » بعد جوائز عن الجوارح ، التى هى الأعضاء ، وقصد بها هنا « الأيدى »^(١) .

والتورية عند رشيد الدين الوطواط (ت ٥٧٣ هـ) : هى « الإيهام » ، يقول « وهى تعنى فى اللغة « التخيل » ، ولذلك يسمون هذه الصنعة بالتخيل أيضا ... »^(٢) .

وتكلم ابن منقذ (ت ٥٨٤ هـ) عن مصطلح « التورية » وعرفه التعريف المشهور ، واختار له من الشواهد الأدبية الطيبة ما عَنُّ له^(٣) كما عرف الاستخدام : بأنه « تكون الكلمة لها معنيان ، فتحتاج إليهما ، فتذكرها وحدها ، فتخدم المعنيين ، كما قال سبحانه وتعالى « يأياها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى » [النساء — ٤٣] ، والصلاة ههنا تحتمل أن تكون فعل الصلاة ، وموضع الصلاة ، فاستخدم الصلاة بلفظ واحد ، لأنه قال « إلا عابرى سبيل » ، فدل على أنه أراد موضع الصلاة ، وقال تعالى « حتى تعلموا ما تقولون » فدل على أنه فعل الصلاة »^(٤) .

وهذا السكاكى (ت ٦٢٦ هـ) يسمى التورية « التوجيه » وعرفها بإيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين ... ، ويقول : وللمتشابهات من القرآن مدخل فى هذا النوع باعتبار^(٥) .

ويعتبر ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) التورية من « المغالطات المعنوية » ، ويقول عنها « وهذا النوع من أحلى ما استعمل من الكلام ، وألطفه ، لما فيه من (١) « لَمَحَ المُلَح » لابن منجب ، ورقة ٢١٩ ميكروفلم ، صورته الجامعة العربية ١٩٤٩ م ، عن مكتبة الاسكورال ، ضمن مجموعة مخطوطة تحمل رقم ٤٤٢ ، بدون تاريخ ، أو ذِكْر لناسخها ، موسومة بمجموعة مختارات شعرية لجماعة من الشعراء المصريين فى القرن السادس مع نقد أدبى ، واستطرادات كثيرة لمؤلف مجهول — كتبه لأمر الجيوش ألى عبد الله محمد الدمري — عن كتاب « ملاح الشخصية المصرية فى الدراسات البيانية فى القرن السابع الهجرى » للدكتور مصطفى الجوينى — ص ٣٣٩ ط الهيئة المصرية العامة — ١٩٧٠ م .

(٢) حدائق السحر — ١٣٥

(٣) البديع — ٦٠ و ٦١

(٤) نفسه — ٨٢

(٥) المفتاح — ١٨٠

التورية ، وحقيقته : أن يذكر معنى من المعاني له مثل في شيء آخر ، ونقيض ، « النقيض أحسن موقعا وألطف مأخذاً ، فالأول الذى يكون له مثل ، يقع في الألفاظ المشتركة ، فمن ذلك قول بعضهم من أبيات يهجو بها شاعراً ، فجاء من جملتها قوله :

وَحَلَطْتُمْ بَعْضَ الْقُرْآنِ بِبَعْضِهِ .۞ فَجَعَلْتُمُ الشُّعْرَاءَ فِي الْأَنْعَامِ
ومعنى ذلك أن « الشعراء » اسم سورة من القرآن الكريم ، « والأنعام » اسم سورة أيضا ، و « الشعراء » جمع شاعر ، و « الأنعام » ما كان من الإبل والبقر ... ، وأما القسم الآخر وهو النقيض : فإنه أقل استعمالا من القسم الأول الذى قبله ، لأنه لا يتهاى استعماله كثيراً ، فمن جملته ما ورد شعراً لبعضهم ، وهو قوله :

وَمَا أَشْيَاءُ تُشْرِبُهَا بِمَالٍ .۞ فَإِنْ نَفَقْتُ ، فَأَكْسَدُ مَا تَكُونُ
يقال : نفقت السلعة اذا راجت ، وكان لها سوق ، ونفقت الدابة اذا ماتت ، وموضع المناقضة ههنا ، في قوله : إنها اذا نفقت كسدت ، فجاء بالشئ ونقيضه ، وجعل هذا سببا لهذا ، وذلك من المغالطة الحسنة ، ... ، ويفرق ابن الأثير بين الجناس والتورية (المغالطة) أن التجنيس فيه يذكر فيه اللفظ الواحد مرتين فهو يستوى في الصورة ، ويختلف في المعنى ، كقول أبى تمام :

بِكُلِّ فَتًى ضَرْبٍ يُعَرِّضُ لِلْقَتْلِ .۞ مُحِيًّا مُحَلًى حَلِيَّةِ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ
فالضرب الرجل الخفيف ، والضرب هو الضرب بالسيف في القتال ، فاللفظ لابد من ذكره مرتين « والمعنى مختلف ، والمغالطة ليست كذلك ، بل يذكر فيها اللفظ مرة واحدة ، ويدل به على مثله بملء فم » (١) .

أما ابن أبى الإصبع (ت ٦٥٤ هـ) فيُطلق على التورية ، التوجيه أيضاً ، ويستشهد بقوله تعالى « قالوا : تالله إنك لفى ضلالك القديم » (يوسف - ٩٥) ، وغيرها من الآيات (٢) ويعرّف الاستخدام التعريف المشهور (٣) .

(١) المثل السائر

(٢) بديع القرآن - ١٠٢ ، وتحرير التحبير - ٢٦٨

(٣) بديع القرآن - ١٠٤ ، وتحرير التحبير - ٢٧٥

وهكذا نرى أن مصطلح « التورية » من المصطلحات التي استقرت سريعا ، بالرغم من اضطراب دائرتها بين السعة المفرطة حتى تُدخِل الكناية ، والضيق المناسب ، حتى يحتويها هي والاستخدام .

وتظل الشواهد هي هي تتردد ومعها بعض الإضافات ، حتى يأتي القزويني (ت ٧٣٩ هـ) ، ويطلق عليها التورية والإيهام أيضا ، ويقسمها إلى ضربين ، أو قل يقسم الشواهد إلى ضربين ، تورية مجردة ، وأخرى مرشحة^(١) وتابعة شراحه^(٢) ثم يؤلف صلاح الدين الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) كتابه « فض الختام عن التورية والاستخدام^(٣) » ويرد عليه ابن حجة الحموي (ت ٨٣٧ هـ) بكتاب « كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام^(٤) » وكلها قريب من قريب .

وقد اهتم ابن حجة في كتابه « خزانة الأدب وغاية الأَدَب » بالتورية ، وأعاد فيه حديثه السابق عن التورية في فصل يؤرخ فيه لها ، وسأحاول أن أقتبس بعض الإضافات التي تفيدنا في عرضنا هذا .

يقول أبو بكر ابن حجة الحموي :

« التورية يقال لها الإيهام والتوجيه والتخيير ، والتورية أولى في التسمية ، لقربها من مطابقة المُسمَّى . لأنها مصدر وَرَّيت الخبر تورية إذا سترته وأظهرت غيره ، كأن المتكلم يجعله وراءه حيث لا يظهر ... ، وسمَّى « إيهاما » لأن المستمع يتوهم لأول مرة أن المتكلم يريد المعنى القريب وليس كذلك ... ، والتورية من أغلى فنون الأدب ، وأعلاها رتبة ، وسحرها ينفث في القلوب ويفتح بها أبواب عطف ومحبة ... ، ومما يؤيد قولي هذا — الشيخ صلاح الدين الصفدي في ديباجة كتابه المسمى بـ « فض الختام عن التورية والاستخدام » : ومن البديع ما هو نادر الوقوع ، ملحق بالمستحيل الممنوع ، وهو نوع التورية والاستخدام ... ، وقال

(١) الإيضاح — ٤٩٩

(٢) شروح التلخيص — ٣٢٢/٤

(٣) انظر د. محمد زغلول سلام : تاريخ النقد العربي ٣٣٢/٢ ، يقول عنه « منه نسخة خطية بدار الكتب بالقاهرة ١٨ ش رقم ١٦٨٦ »

(٤) طبعة بيروت — المطبعة الأنسية — ١٣١٢ هـ

الزخشرى ، وهو حجة فى هذا العلم : ولا ترى باباً فى البيان أدق ولا أطف من هذا الباب ، ولا أعون على تعاطى المشتبهات من كلام الله ، وكلام نبيه ﷺ ، وكلام صحابته رضى الله عنهم أجمعين^(١) ، فمن ذلك قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى » [طه - ٥] ... ، ومنه قول النبى ﷺ ، حين سئل فى مجيئه عند خروجه إلى بدر ، فقليل لهم : من أنتم ؟ فلم يُرد أن يعلم السائل ، فقال : من ماء ، أراد إنا مخلوقون من ماء ، فَوَرى عنه بقيلة يقال لها ماء ، ... ، ومنه قول أبى بكر رضى الله عنه فى الهجرة ، وقد سئل عن النبى ﷺ : من هذا ؟ فقال : هادٍ يهدينى ، أراد أبو بكر رضى الله عنه : هاداً يهدينى إلى الاسلام . فَوَرى عنه بهادى الطريق ، وهو الدليل فى السفر ... ، وكان من قال أن أبى الطيب المتنبى أول من كشف غطاء التورية ، ما لَمَحَ قول عمرو بن كلثوم فى معلقته :

مُشْعَشَعَةٌ كَأَنَّ الْحُصَّ فِيهَا . إِذَا الْمَاءُ تَخَالَطَهَا سَخِينًا

الشاهد هنا فى « سخينا » ، فإن العرب كانوا يسخنون الماء فى الشتاء لشدة برده ، ثم يمزجونها به ، فـ « سخينا » ، على هذا التقدير نعت لموصوف محذوف ، والمعنى : فأضحى شراباً سخينا ، وهذا هو المعنى القريب ، المورى به ، ويحتمل « السخاء » الذى عبارة عن الكرم ، وهذا هو المعنى البعيد ، المورى عنه ، ومراد الناظم ... ، وكشف أيضاً عن قناع التورية فى شعره ، النابغة الذبياني ، بقوله :

حَيْلٌ صِيَامٌ وَحَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ . نَحْتُ الْعَجَاجِ وَأُخْرَى تُعَلِّكُ اللَّجْمَا

أراد بالصيام ، هذا القيام ، وورى بقوله « تعلك اللجما » عن الصيام ... ، وبعد أن يستعرض شواهد لأبى نواس والبحترى ، ويهاجم توريات أبى العلاء المعرى ... ، يقول : أين هذا من قول الشيخ تقى الدين السروجى (ت ٦٩٣ هـ) :

فِي الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ مِنْ تَحْدَاهَا . نَقْطَةً أَشْتَهَى شَمْنَهَا
حَسْبَتْهُ لَمَّا بَدَأَ تَخَالَهَا . وَجَدْتُهُ مِنْ حُسْنِهِ غَمَّهَا

(١) لم أتمكن من الوقوف على هذا النص فى الكشاف الذى بين يدي ، ط دار المعرفة بيروت .

ومثله في اللطف والظرافة ، قول الشيخ عز الدين الموصلي (ت ٧٨٩ هـ) :

لَحَظْتُ مِنْ وَجْنَتِهَا شَامَةً ۖ فابْتَسَمْتُ تَعَجُّبٌ مِنْ حَالِي
 قَالَتْ : قِفُوا واسْمَعُوا مَا جَرَى ۖ قَدْ هَامَ عَمَى الشَّيْخُ مِنْ نَحَالِي

ولهذا ، وقع الإجماع على أن المتأخرين ، هم الذين سَمَوْا إلى أفق التورية ، وطلَعُوا شَمُوسَهَا ، وما زجوا بها أهل الذوق السليم...^(١) قيل : إن الفاضل القاضي الفاضل (ت ٥٩٦ هـ) ، هو الذي عصر سلافة التورية. لأهل عصره ، وتقدم على المتقدين ، بما أودع منها في نظمه ونثره ، فإنه رحمه الله تعالى ، كشف بعد طول التحجب ستر حجابها ... ، وَمَنْ شَرِبَ مِنْ سَلَاةِ عَصْرِهِ ، وَأَخَذَ عَنْهُ وانتظم في سلكه بفرائد دُرَّة ، القاضي السعيد ابن سناء الملك (ت ٦٠٨ هـ) ، ولم يزل هو ومن عاصره مجتمعين على دَوْر كَأْسِهَا ، و ... ، إلى أن جاءت بعدهم حلبة صاروا فرسان ميدانها ، والواسطة في عقد جمانها ، كالسراج الوراق (ت ٦٩٥ هـ) ، وأبى الحسين الجزار (ت ٦٧٢ هـ) ، والنصر الحمامي (ت ٧١٢ هـ) ، وناصر الدين حسن بن النقيب (ت ٦٨٧ هـ) ، والحكيم شمس الدين بن دانيال (ت ٧١٠ هـ) ، والقاضي محيي الدين بن عبد الظاهر (ت ٦٩٢ هـ) ... ، ثم يقول : وقد طال الشرح وأوردت في باب التورية من المحاسن ما يكفي قديماً وحديثاً ، وأوردت بعد ذلك ما وقع فيها من النظم عفواً وتكليفاً ، وقد تعين على إيراد ما وعدت به في ديباجة هذا الباب من فقه التورية ، والكلام على أنواعها وأقسامها ... ، والتورية على أربعة أقسام ، مجردة ومرشحة ومُبيَّنة ومُهيَّاة ... »^(١) .

ولا داعي للاستمرار معه في تقسيماته الشكلية لشواهد التورية التي بدأها القزويني بقسمين ، فأبى ابن حجة ألا أن يجعلها أربعاً ، إذ لا طائل من ورائه .
 وأخيراً أقول : إن التورية قد استغلت استغلالاً واسعاً في السخرية ، وفي أداء

(٢١) يقول الدكتور الجويني « اصطفى الذوق المصري اللفظ الرقيق في تعبيره ، وقد مضت شواهد في الشعر المصري كلها آيات على هذه الرقة اللفظية ... ، وقد انتقل الذوق المصري بالبدیع نقلة جديدة ، إذ اتسم فيه بخاصتين تفرّدانه ، ١ — التورية ، ٢ — التضمين من القرآن ، » ملاح الشخصية المصرية — ١٥٨ وما بعدها » .

المعالي المحظورة وغير المباحة ، وفي النكتة ، وفي التعبير عن الآراء الخاصة في المحيط
الذى لا يسمح بحرية الرأى ، التورية أول ما تعتمد على الذوق الفنى المُرَقَّه
والحضارة ، وهى من أهم الفنون التى تكشف عن ذوق المجتمع فى أى عصر .
لذا ، حينما تدهورت الحضارة ، تدهور فن التورية معها ، وتحول إلى مهارة
لفظية ، فألغاز وأحاج ، وتلفيق أبعد الفن عن روحه وحولّه إلى معادلة رياضية
سخيفة .

ثالثا : الفهارس الفنية

- ١ — فهرست المصادر والمراجع .
- ٢ — فهرست الآيات القرآنية .
- ٣ — فهرست الآيات الشعرية .
- ٤ — فهرست المصطلحات البلاغية .
- ٥ — فهرست الأعلام .
- ٦ — الفهرست التفصيلي .

١ — فهرست المصادر والمراجع

أولاً : المصادر

- ١ — القرآن الكريم .
- ٢ — الآمدي — أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت ٣٧١ هـ) .
« الموازنة » — تحقيق السيد أحمد صقر — ط دار المعارف .
١٤ و ١٥ و ١٣٣ و ١٣٤ و ١٦٢ .
- ٣ — ابن الأثير — ضياء الدين بن الأثير الجزري (ت ٦٣٧ هـ) .
(أ) « الجامع الكبير » — تحقيق د. مصطفى جواد و د. جميل سعيد ط المجمع العلمي العراق — ١٩٥٦ م .
(ب) « المثل السائر » تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط الحلبي ١٩٣٩ . وتحقيق ط الحوفي و د. بدوي طبائه .
٣٧ و ٧٤ و ٩٣ و ١١٤ و ١٤٥ و ١٧٤ و ٢٠٤ .
- ٤ — ابن الأثير — نجم الدين بن أحمد بن إسماعيل (ت ٨٣٧ هـ)
« جواهر الكنز » — تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام ، ط منشأة المعارف بالإسكندرية .
٣٨ و ٧٤ و ١٠٠ و ١٤٥ .
- ٥ — الأنخفش الأوسط — سعيد بن مسعدة (٢١٥ هـ)
« المعاني القرآن » تحقيق د. فايز فارس ط الكويت — ١٩٧٩ م الطبعة الأولى .
٢٩ و ١٢٣ و ١٦٤ .
- ٦ — الأشنانداني — أبو عثمان سعيد بن هارون (ت ٢٨٨ هـ)
معاني الشعر — تحقيق عز الدين التنوخي — مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم — دمشق ١٩٦٩ م .
١٢٧ و ١٢٨ .
- ٧ — ابن أبي الإصبع المصري — أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد (ت ٦٥٤ هـ) .

(أ) « بديع القرآن » تحقيق د. حنفى شرف — ط دار النهضة —
مصر ، الثانية .

١٩ و ٣٨ و ٩٩ و ١٤٥ و ١٨٩ و ٢٠١ و ٢٠٤ .

(ب) « تحرير التحرير » تحقيق د. حنفى شرف ط المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية — القاهرة ، ١٣٨٣ هـ .

١٣ و ١٩ و ٣٨ و ٨٤ و ١٨٩ و ١٩٠ و ٢٠٤ .

٨ — الأصفهاني (أبو الفرج) علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ)
« الأغاني » ط دار الكتب ، وتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط الهيئة
العامة للتأليف والنشر — ١٩٧٠ م .
١٩٩ و ٥٧

٩ — الباقلائي — أبو بكر محمد بن الطيب (ت ٤٠٣ هـ)
« إعجاز القرآن » تحقيق السيد أحمد صقر ط دار المعارف ١٩٦٣ م
١٦ و ٢٧ و ٩٦ .

١٠ — بدر الدين بن مالك — محمد بن جمال الدين بن مالك الطائى الأندلسى
(ت ٦٨٦ هـ) .
« المصباح فى علم المعانى والبيان والبديع » ط القاهرة ١٣٤١ هـ
١٢ .

١١ — التفتازانى — سعد الدين ، مسعود بن عمر بن عبد الله (ت ٧٩٣ هـ)
« شرح السعد » — ضمن شروح التلخيص — ط الحلبي ١٩٣٧ م
١٩٥ -

١٢ — الجرجانى — علي بن عبد العزيز (ت ٣٦٦ هـ) .
« الوساطة » تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوى الطبعة
الثالثة — الحلبي .
١٥ و ٦٦ و ١١٢ و ١٣٢ .

١٣ — الجرجانى — محمد بن علي بن محمد (ت ٧٢٩ هـ) .

الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة » تحقيق د. عبد القادر
حسين — ط دار نهضة مصر — القاهرة
٧٤ .

١٤ — ابن جنى — أبو الفتح عثمان (ت ٣٩٢ هـ) .
« الخصائص » تحقيق محمد علي النجار ، الطبعة الثانية المصورة .
٣٣ و ٤٨ و ٧٦ و ١٣٦ و ١٧٤ و ١٨٥ .

١٥ — الحلبي — محمود بن سليمان الحلبي (ت ٧٢٥ هـ) .
« حسن التوسل في صناعة التوسل » ط دمشق المطبعة الوهيبية ١٢٩٨
هـ
١٩٠

١٦ — الحموي — تقي الدين أبو بكر ابن حجة (ت ١٣٧ هـ)
« كشف اللثام عن وجه التورية والاستخدام » ط بيروت المطبعة
الأنسية — ١٣١٢ هـ
٢٠٥ .

١٧ — الخطابي — سليمان حمد بن محمد إبراهيم (ت ٣٨٨ هـ) .
« بيان إعجاز القرآن » ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز تحقيق الدكتور
محمد زغلول سلام — ط دار المعارف الثالثة .
١٦١ و ١٧٨ .

١٨ — الثعالبي — عبد الملك بن محمد (ت ٤٢٩ هـ)
« يتيمة الدهر » .
٢٠١

١٩ — ثعلب — أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني (ت ٢٩١ هـ) .
« قواعد الشعر » تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي — ١٩٤٨ م
ط الحلبي .
٦٣ و ١٠٩ و ١٢٨ .

٢٠ — الجاحظ — أبو عثمان عمر بن بحر (ت ٢٥٥ هـ)
(أ) « البيان والتبيين » تحقيق عبد السلام هارون ، الطبعة الرابعة —
الخانجي .

١٢ و ٢١ و ٢٧ و ٣٠ و ٥٣ و ٩٣ و ١٢٥ و ١٩٨ و ٢٠٠ .
(ب) « رسائل الجاحظ » تحقيق هارون — الطبعة الأولى — الخانجي
١٩٧٩ م

١٢٥ —

٢١ — الجرجاني — أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (ت ٤٧١ هـ) تحقيق
الشيخ محمد رشيد رضا ، ط مكتبة القاهرة ، السادسة .
١٣٧٩ — ١٩٥٩ م

(أ) « الأسرار »
١٧ و ١٨ و ٢١ و ٣٤ و ٧٠ و ٧١ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٥٤ و
١٦٧ و ١٧٠ و ١٧٢ و ١٧٣ و ١٨٧ .
(ب) « الدلائل » تحقيق الشيخ محمود شاكر الخانجي ١٩٨٤ م
٢١ و ٥٨ و ٩٧ و ١٤١ و ١٦٩ و ١٧٠ .

٢٢ — الخفاجي — أبو محمد عبد الله بن محمد بن سنان (ت ٤٦٦ هـ)
« سر الفصاحة » تحقيق عبد المتعال الصعیدی ط صبيح ١٩٦٩ م
٣٣ و ٥٥ و ٧٠ و ٩٣ و ١١٣ و ١٤١ و ١٨٦ و ٢٠١

٢٣ — الخليل — ابن أحمد (ت ١٧٥ هـ)
« العين » تحقيق د. عبد الله درويش ط العاني بغداد ١٩٦٧ م
٢٧ .

٢٤ — الرازي — فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦ هـ) .
« نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز » ط بمطبعة الآداب والمؤيد بمصر
١٣١٧ هـ
٣٥ و ٧٣ .

- ٢٥ — ابن رشيقي — أبو علي الحسن القيرواني (ت ٤٥٦ هـ)
« العمدة » تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط — دار الجيل ،
بيروت — الرابعة — ١٩٧٢ م .
١٦ و ١٩ و ٦٩ و ٩٧ و ١٠٩ و ١١١ و ١١٢ و ١١٣ و ١١٥ و
١١٧ و ١٤١ و ١٥٣ و ١٩٩ .
- ٢٦ — الرمانى — أبو الحسن علي بن عيسى (ت ٣٨٤ هـ)
« النكت في إعجاز القرآن » وتحقيق د. محمد زغلول سلام ، ضمن
ثلاث رسائل في الإعجاز ، ط دار المعارف الثالثة .
١٥ و ١٨ و ٣٢ و ٦٧ و ٨٢ و ٩٥ و ١٣٤ .
- ٢٧ — الزجاج — أبو إسحاق — إبراهيم بن السري (ت ٣١١ هـ)
« معاني القرآن » تحقيق د. عبد الجليل عبده شلبي ، ط بيروت .
٣١ و ٩٥ و ١٢٩ و ١٦٠ و ١٦٣ و ١٧٠ .
- ٢٨ — الزركشى — بدر الدين محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤ هـ)
« البرهان في علوم القرآن » تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم — الطبعة الثانية —
دار المعرفة — بيروت .
٢٨ و ٤٤ و ١٤٥ .
- ٢٩ — الزمخشري — أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨ هـ) .
(أ) « أساس البلاغة » ط بيروت .
١٠٣ و ١٧٦
(ب) « الكشاف » ط دار المعرفة — بيروت .
١٩ و ٢١ و ٣٥ و ٥٦ و ٧١ و ٧٢ و ٩٨ و ٩٩ و
١١٣ و ١١٧ و ١٤٢ و ١٤٣ و ١٥٥ و ١٥٩ و ١٦٠ و ١٦١ و
١٦٤ و ١٦٥ و ١٦٦ و ١٦٨ و ١٧١ و ١٧٤ و ١٧٦ و ١٧٧ و
١٨٨ و ١٩٦ و ٢٠٢ .
- ٣٠ — ابن الزمليكانى — عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف (ت ٦٥١ هـ) .

« التبيان في علم البيان » تحقيق د. أحمد مطلوب ود. خديجة الحديثي ،
ط بغداد ، مطبعة العاني ١٩٦٤ م

٣٨ و ٧٤

٣١ — السبكي — بهاء الدين أحمد بن تقي الدين (ت ٧٧٣ هـ)
« عروس الأفراح » ضمن شروح التلخيص ط الحلبي ١٩٣٧ م
٣٨ و ١٧٥ و ١٩٠ و ١٩٦ و ٢٠٥ .

٣٢ — السَّجَلَمَاسِي — أبو محمد القاسم — وفیات القرن الثامن الهجري .
« المنزعة البديع في تجنيس أساليب البديع » تحقيق علال الغازي ،
مكتب المعارف — الرباط ١٩٨٠ م
٦٣ و ١٤٩ و ١٦١ و ١٦٨ و ١٧٠ .

٣٣ — السكاكي — أبو يعقوب يوسف (ت ٦٢٦ هـ)
« المفتاح » ط التقدم العلمية — ١٣٤٨ هـ .
١٢ و ٣٦ و ٥٨ و ٨٣ و ٩٩ و ١١٤ و ٢٠٣ .

٣٤ — سيوبه — أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠ هـ) .
« الكتاب » تحقيق عبد السلام هارون ، ط الهيئة العامة للكتاب
الثانية — ١٩٧٧ م وط الأميرية .
٢٨ و ٧٥ و ١٢٣ و ١٥٠ و ١٦٠ و ١٧١ و ١٧٢ و ١٨٥ .

٣٥ — ابن سيدة — علي بن إسماعيل (ت ٤٥٨ هـ)
« المحكم » ط بيروت
٤٨ .

٣٦ — السيوطي — جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ) .
(أ) « الإتيقان في علوم القرآن » تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط
الثالثة — دار التراث بالقاهرة — ١٩٨٥ م .
٢٨ و ٢٩ و ٤٨ .

(ب) « المزهر » تحقيق محمد أحمد جاد المولى والبجاوي وأبو الفضل
إبراهيم — الحلبي .
٧٥ .

٣٧ — ابن الشجري — هبة الله بن علي (ت ٥٤٢ هـ) .
« أمالي ابن الشجري » ط دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الركن —
١٣٤٩ هـ .

١١٥ و ١٦٣ .

٣٨ — الشريف الرضي — محمد بن الحسين (ت ٤٠٦ هـ)
« تلخيص البيان في مجازات القرآن » تحقيق محمد عبد الغني حسن ،
ط الحلبي ١٩٥٥ م .

١٧ و ١٣٧ و ١٦٧ و ١٦٨ و ١٧٨ و ١٧٩ .

٣٩ — الشريف المرتضى — علي بن الحسين (ت ٤٣٦ هـ) .
أمالي المرتضى — تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط الحلبي ١٩٥١ م
وط بولاق الأولى ١٣٢٤ هـ .

٩٧ و ١٦٧ و ١٣٢ و ١٣٤ و ١٤٠ و ١٧٦ و ١٧٧ .

٤٠ — ابن الصائغ — محمد بن عبد الرحمن بن شمس الدين الحنفي من علماء
مصر في القرن الثامن الهجري .

(أ) « إحكام الرأي في أحكام الآي » .

٢٩ و ٤٨ .

٤١ — ابن طباطبا — محمد بن أحمد (ت ٣٢٢ هـ) .
« عيار الشعر » تحقيق محمد زغلول سلام ، ط منشأة المعارف
بالاسكندرية ١٩٨٥ م .

١٤ و ٩٣ و ١٣٠ و ١٥١ .

٤٢ — الطبري — محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)
« تفسير الطبري » تحقيق محمود شاكر وأحمد شاكر — ط دار المعارف

١٢٣ و ١٦٢ و ١٦٥ .

٤٣ — الطوفي — سليمان بن عبد القوي الصرصري (ت ٧١٦ هـ)
« الإكسير في تفسير القرآن » تحقيق د. عبد القادر حسين .

٣٨ .

- ٤٤ — القاضي عبد الجبار الأسدآبازى (ت ٤١٥ هـ) .
 (أ) « تنزيه القرآن عن المطاعن » ط بيروت — دار النهضة الحديثة .
 ٩٦ و ١٣٤ و ١٣٩ .
 (ب) « شروح الأصول الخمسة » — تحقيق د. عبد الكريم عثمان ط الأولى سنة ١٩٦٥ م القاهرة .
 ٢٠١ -
 (ج) « متشابه القرآن » تحقيق د. عدنان زرزور — ط دار التراث — بالقاهرة .
 ٩٦ و ١٣٨ و ١٣٩ و ٢٠١ .
- ٤٥ — أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠ هـ) .
 « مجاز القرآن » تحقيق فؤاد سرجين — الأولى ١٩٥٤ م الخانجي ١٦٢ -
- ٤٦ — أبو العمثيل الأعرابي (ت ٢٤٠ هـ) .
 « ما اتفق لفظه واختلف معناه » نشر كرنكور — ١٩٢٥ م .
 ٧٥ .
- ٤٧ — العسكري — أبو هلال ، الحسن بن عبد الله بن سهل (ت ٣٩٥ هـ) .
 (أ) « الصناعتين » تحقيق البجاوى وأبى الفضل إبراهيم ط الحلبي ١٥ و ١٦ و ١٩ و ٣٣ و ٤٣ و ٥٥ و ٦٨ و ٨٠ و ٩٦ و ١١٣ و ١١٦ و ١١٩ و ١٢٥ و ١٢٩ و ١٣٧ و ١٥٣ و ١٨٥ و ١٩٦ و ٢٠٠ و ٢٠١ -
 (ب) « الفروق اللغوية » تحقيق حسام الدين القدسي — ط دار الكتب
 ١٥٢ -
- ٤٨ — العلوى — يحيى بن حمزة (ت ٧٤٩ هـ)
 « الطراز » ط دار الكتب العلمية — بيروت .
 ١٣٨ و ١٤٦ .

٤٩ — ابن فارس — أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ)
الإتباع والمزاوجة — تحقيق كمال مصطفى ط الخانجي والمنتبى ١٩٤٧ م
١٧٢ .

٥٠ — الفراء — أبو زكريا يحيى بن زياد (ت ٢٠٧ هـ)
« معاني القرآن » تحقيق أحمد يوسف نجاتي ، ومحمد علي النجار سنة
١٩٥٥ م ط دار الكتب .
٢٨ و ٩٤ و ٢٠٠ .

٥١ — ابن قتيبة — أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ)
(أ) « تأويل مشكل القرآن » تحقيق السيد أحمد صقر — الطبعة
الثالثة — سنة ١٩٧٣ م .
١٠٩ و ١٢٦ و ١٣٣ و ١٥٥ .
(ب) « تفسير غريب القرآن » تحقيق السيد أحمد صقر — ط دار
الكتب العلمية — بيروت ١٩٧٨ م .
٢٩ و ٢٠٠ .
(جـ) « الشعر والشعراء » تحقيق أحمد شاكر ، الطبعة الثالثة —
١٩٧٧ م .
١٣ و ١٢٧ .

٥٢ — قدامة بن جعفر — أبو الفرج (ت ٣٣٧ هـ) .
(أ) « جواهر الألفاظ » تحقيق محمد يحيى الدين عبد الحميد .
١٧١ .
(ب) « نقد الشعر » تحقيق كمال مصطفى سنة ١٩٦٢ م
٣١ و ٦٤ و ١١١ و ١١٦ و ١٣٠ و ١٣١ و ١٣٦ و ١٥٢ و
١٦٢ .

٥٣ — القرطاجنى — حازم بن محمد (ت ٦٨٤ هـ)
« منهاج البلغاء وسراج الأدباء » تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة —
تونس ١٩٦٦ م

٥٦ و ١١٤ و ١١٥ و ١٢٥ و ١٤٦ و ١٤٧ و ١٤٨

٥٤ — الطبري — أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ) .
« تفسير الطبري » ط دار الشعب .

٨٨ و ١٤٢ .

٥٥ — القزويني — محمد بن عبد الرحمن (ت ٧٣٩ هـ) .
(أ) « الايضاح » تحقيق عبد المنعم خفاجي — الطبعة الخامسة —
١٩٨٠ م بيروت .

٣٨ و ٥٨ و ٧٣ و ٨٣ و ٨٤ و ١٤٥ و ١٦٩ و ١٧٤ و
١٩٠ و ٢٠١ .

(ب) « المختصر ضمن شروح التلخيص » — ط الحلبي سنة
١٩٣٧ م .

٥٨ .

٥٦ — المبرد — أبو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥ هـ)
(أ) « الكامل » تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .
١٣ و ٩٣ و ١٢٦ و ١٢٨ و ١٥٠ .

(ب) « ما اتفق لفظه واختلف معناه » ط السلفية بمصر ١٣٥٠ هـ .
تحقيق عبد العزيز الميمنى الراجكوتى .
٧٥ و ١٩٤ .

٥٧ — المتنبي — أبو الطيب أحمد بن الحسين (ت ٣٥٤ هـ)
« ديوان المتنبي » تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإياري وعبد الحفيظ
شلبى — نشر دار المعرفة ، بيروت .
١٤٤ و ١٤٨ و ٢٠٠ .

٥٨ — محب الدين أفندى
تنزيل الآيات على الشواهد من الآيات في الكشف — على هامش
الكشاف ط دار المعرفة .
١٤٢ .

- ٥٩ — المرزبانى — أبو عبد الله محمد بن عمران (ت ٣٨٤ هـ) .
« الموشح » تحقيق محمد على البجاوى — ط دار نهضة مصر —
١٩٦٥ م .
١١٧ و ١٢٤ و ١٣٦ و ١٦٣ .
- ٦٠ — ابن المعتز — عبد الله (ت ٢٩٦ هـ)
« البديع » تحقيق كراتشكوفسكى .
١٣ و ١٩ و ٥٦ و ٦٣ و ٩٥ و ١٢٨ و ٢٠٣ .
- ٦١ — ابن المغربى — ابن يعقوب (ت ١١١٠ هـ)
مواهب الفتح — ضمن شروح التلخيص ، ط الحلبي ١٩٣٧ م .
٣٨ و ٥٨ و ١٦١ و ١٦٢ و ١٦٦ و ١٧٥ .
- ٦٢ — ابن منقذ — أسامة (ت ٥٨٤ هـ) .
« البديع فى نقد الشعر » .
١٩ و ٣٨ و ٨٣ و ٨٤ و ٨٥ و ٩٩ و ١١٤ و ١٤٣ .
- ٦٣ — ابن المنير السكندرى — أحمد بن محمد بن منصور (ت ٦٨٣ هـ) .
الانتصاف فيما تضمنه الكشف من الاعتزال على هامش الكشف ط
دار المعرفة .
١٤٢٠ .
- ٦٤ — النهشلى — عبد الكريم القيروانى (عاش فى النصف الأول من القرن
الخامس الهجرى) .
المتع فى صنعة الشعر — تحقيق د. محمد زغلول سلام ط منشأة
المعارف بالاسكندرية .
١٤٠٠ .
- ٦٥ — الوطواط — رشيد الدين (ت ٥٧٣ هـ)
« حقائق السحر فى دقائق الشعر » نقله إلى العربية د. إبراهيم أمين
الشواربى — لجنة التأليف والترجمة والنشر — ١٩٤٥ م .
٣٥ و ٣٦ و ١٨٨ و ٢٠٣ .

ثانيا : المراجع

- ١ — إبراهيم سلامة (دكتور) .
« بلاغة أرسطو عند العرب »
٠٧١
- ٢ — إحسان عباس (دكتور)
« تاريخ النقد الأدبي عند العرب » ط بيروت الرابعة — ١٩٨٣ م .
٠١٢٥
- ٣ — أحمد إبراهيم موسى (دكتور) .
« الصيغ البديعي » ط دار الكتاب العربي — ١٩٨٦ م
٠ ٢٢ و ١٨٦
- ٤ — أحمد راتب النفاخ .
« كتاب إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج » فصلة من مجلة مجمع اللغة
العربية — دمشق ١٩٧٣ م .
٠١٧٤
- ٥ — أحمد مطلوب (دكتور) .
« البلاغة عند السكاكي » ط النهضة — بغداد — ١٩٦٤ م .
٠ ٣٧
- ٦ — بدوى طبانة (دكتور)
« أبو هلال العسكري ومقاييسه البلاغية والنقدية » ط الأنجلو الثانية —
٠ ١٩٦٠ م .
٠ ١٣٦
- ٧ — حامد عبد القادر .
« دراسات في علم النفس الأدبي » ط القاهرة
٠ ٤٤

- ٨ — خديجة الحديثي (دكتورة)
« دراسات في كتاب سيبويه » ط الكويت .
١٨٥ .
- ٩ — الزركلي — خير الدين .
« الأعلام » .
٥٦ و ٦٦ و ٦٩ و ٧٨ و ٨٤ و ١٢٤ و ٢٠٢ .
- ١٠ — شوقي ضيف (دكتور)
(أ) البلاغة تطور وتاريخ ط دار المعارف ١٩٦٥ م
١٣٦ .
(ب) الفن ومذاهبه — الطبعة الأولى ١٩٤٣ م .
١١٨ .
- ١١ — عبد الرحمن بدوي (دكتور) .
« إلى طه حسين في عيد ميلاده » ط دار المعارف بمصر — ١٩٦٢ م .
- ١٢ — عبد السلام فوزي .
« السجع وأطوار استعماله في أدب العرب » ط بغداد ١٩٦٦ م .
٤٤ .
- ١٣ — عبد الفتاح لاشين (دكتور)
(أ) بلاغة القرآن في آثار عبد الجبار ط دار الفكر العربي .
٩٨ و ١٣٩ .
(ب) الفاصلة القرآنية — ط دار المريخ بالرياض .
٤٨ .
- ١٤ — عبد القادر حسين (دكتور)
« أثر النحاة في البحث البلاغي » ط دار نهضة مصر .
١٧٤ .

- ١٥ — فتحى عبد القادر فريد (دكتور) .
« لمحات بلاغية فى معانى القرآن للأخفش — ط النهضة المصرية
١٩٨٣ م
٢٩ .
- ١٦ — فؤاد زكريا (دكتور) .
التعبير الموسيقى — ط مكتبة مصر — الثانية ١٩٨٠ م
٨٣ .
- ١٧ — محمد بدرى عبد الجليل (دكتور) .
« حسن التعليل والقرآن » بحث بمجلة كلية الآداب بالاسكندرية —
١٩٨٠ م .
١٨٥ .
- ١٨ — محمد الحسناوى
« الفاصلة فى القرآن » ط دار الأصيل — سوريا
٤٥ .
- ١٩ — محمد زغلول سلام (دكتور) .
(أ) « أثر القرآن فى تطور النقد الأدبى » ط دار المعارف .
٧٥ .
(ب) « تاريخ النقد العربى » ط دار المعارف .
٢٠٥ .
- ٢٠ — مصطفى الجوينى (دكتور)
(أ) « ملامح الشخصية المصرية فى الدراسات البيانية فى القرن
السابع الهجرى » ط الهيئة العامة للكتاب ١٩٧٠ م .
٢٠٣ و ٢٠٧ .
(ب) « مناهج فى التفسير » ط منشأة المعارف بالإسكندرية .
١٦٣ .

- ٢١ — منير سلطان (دكتور)
(١) « الفصيل والوصل في القرآن الكريم » ط دار المعارف ١٩٨٣ م .
٤٤٠ .
(٢) البديع في شعر شوقي — ط منشأة المعارف بالاسكندرية —
١٩٨٦ م .
٨٦ .
- ٢٢ — يوسف خليف (دكتور)
الروائع في الأدب العربي — ط الهيئة العامة للكتاب — ١٩٨٣ م
٧٨ .
- ٢٣ — يوهان فك .
« العربية » تحقيق د. عيد الحليم النجار — ط دار الكتاب العربي —
١٩٥١ م
١٩٩ .

٢ — فهرست الآيات القرآنية^(١)

١ — الفاتحة .

* الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين (٢ و ٣) ص ٣٢ و ٤٥ و ١٦١ .

٢ — البقرة .

* ألم (١) ص ٤٥ .

* يخادعون الله والذين آمنوا ... (٩) ص ٩٦ و ١٦١ .

* وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ..

(١١—١٣) ص ٣٤ .

* مستهزون الله يستهزئ بهم ... (١٤ و ١٥) ص ٨٢ و ٩٥ و ٩٧ .

* بديع السموات والأرض (١٧) ص ٧ .

* يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت (١٩) ص

١٦٤ .

* إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضةً مما فوقها : (٢٦) ص

٩٨ .

* هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء (٢٩)

ص ٢٠١ .

* صفراء فاقع لونها .. (٦٩) ص ١٧١ .

* فلنجوها وما كادوا يفعلون (٧١) ص ١٦٢ .

* وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم (٩٣) ص ١٦٧ .

* يأيتها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرونا (١٠٤) ص ٢٠٠ و

٢٠٢ .

* وإذا جعلنا البيت مثابةً للناس وأمناً (١٢٥) ص ٢٩ و ١٦٤ و

١٦٥ .

(١) أرقام الصفحات هنا تشمل المتن وإلخامش . وما بين القوسين رقم الآية أو الآيات في السورة الكريمة مع ملاحظة أن الآيات مرتبة حسب تسلسلها في السورة الكريمة وقد وضعت بجوارها رقمها في المصحف الشريف .

* ومن يَرِغْتَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ سَفَاةٍ نَفْسِهِ (١٣٠) ص ١٦٠ .

* قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا .. (١٣٦) ص ١١٠ .

* صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (١٣٨) ص

١٠٩١ و ١٠٩٠ .

* وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولَى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩) ص

١١٠٠ .

* وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقَاتِلُوكُمْ فِيهِ (١٩١) ص ٩٤ .

* فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ (١٩٤) .

ص ٥٦ و ٦٦ و ٨٢ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٧ و ٩٩ و ١٢٣ و ١٦٥ .

٣ — آل عمران

* أَلَمْ (١) ص ٤٥

* وَهَبْنَا مِنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨) ص ٩٨

* إِنْ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ (٢١) ص

١٦٧

* وَمَكُرُوا وَمَكَّرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤) ص ٨٢

* فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ .. (٦١) ص ١٦٠

* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا

(١١٨) ص ١٨٨

* وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ

(١٣٣) ص ١٧٦

* وَقَتِّلْهُمْ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ (١٨١) ص ١٦٧

٤ — النساء

* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى (٤٣) ص ٢٠٣ .

* وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالْأَسْنَمِ (٤٦)

ص ٢٠٢ .

* فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُخَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ (٦٥) ص ٧٨ .

- * يخادعون الله وهو خادعهم (١٤٢) ص ٦٦ .
- * يالهم به من علم إلا اتباع الظن ، وما قتلوه يقينا (١٥٧) ص ١٧٠ .
- * وكَلَّمَ الله موسى تكليما (١٦٤) ص ٧٨ .
- * أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا (١٦٦) ص ٩٨ و ١٠٢ .
- * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ (١٧١) ص ١٥٣ و ١٥٨ .

٥ — المائة .

- * أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ (٤٠) ص ١٢٩ .
- * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ (٤٨) ص ١٨٨ .
- * أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ (٥٤) ص ١٦٦ .
- * وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ، بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ (٦٤) ص ١٧٨ .
- * ... وَأُمَّةٌ صَدِيقَةٌ ... (٧٥) ص ١٦٠ .
- * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ .. (٧٧) ص ١٥٣ .

٦ — الأنعام .

- * الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ (١) ص ٥٤ .
- * وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا (٦) ص ١٦٠ .
- * وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ (١٨) ص ١٣٨ .
- * وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٢٦) ص ٦٩ و ٧٢ و ٧٧ .
- * بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ (١٠١) ص ٧ و ١٣٨ .
- * خَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ (١٠٢) ص ١٣٤ .

٧ - الأعراف .

* إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتَحُ لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط (٤٠) ص ١٣٥ و ١٥٧ .

* هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها (١٨٩) ص ١١٣ .

٨ - الأنفال .

* واعلموا أن الله يحوِّل بين المرء وقلبه (٢٤) ص ١٧٦ .
* لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم (٦٨) ص ١٨٨ .

٩ - التوبة .

* يأيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثأقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة (٣٨) ص ٧٢ و ٧٦ .
* ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم .. (١٢٧) ص ٦٧ .

١١ - هود .

* الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير (١) ص ١١٣ .
* مثل الفريقين كالأعمى والأصم ، والبصير والسميع هل يستويان مثلاً .. (٢٤) ص ١١٣ .

١٢ - يوسف .

* كَيُوسُفَ وَأَخُوهُ أَحَبَ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ (٨) ص ١٩٦ .
* وجاءوا على قميصه بدم كذب (١٨) ص ١٦٨ .
* وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء (٥٣) ص ١٣٧ .
* فلما استياسوا منه خلصوا نجياً (٨٠) ص ١٦٨ .

- * واسأل القرية التى كنا فيها (٨٢) ص ١٣٢ و ١٦٦ .
- * وقال يا أَسْفَى على يوسف (٨٤) ص ٧١ .
- * قالوا تالله إنك لفى ضلالك القديم (٩٥) ص ١٩٦ و ٢٠٤ .

١٣ — الرعد .

- * الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شىء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال (٨ و ٩) ص ٢٨ و ٤٨ .
- * لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب (٣٨ و ٣٩) ص ١٩٦ .
- * وقد مكر الذين من قبلهم فله المكر جميعا (٤٢) ص ٩٦ .

١٤ — إبراهيم .

- * فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم (٣٧) ص ١٧٠ .
- * وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال (٤٦) ص ١٥٢ .

١٦ — النحل .

- * وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس (٧) ص ١١٣ .
- * ثم كُلِّ من كُلِّ الثمرات (٦٩) ص ٨٥ .
- * وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ (٨٩) ص ١٣٩ .
- * وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ (١٢٦) ص ٩٧ .

١٧ — الإسراء .

- * إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ إِلَى أَنْفُسِكُمْ (٧) ص ٩٧ .
- * انظر كيف فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٢١) ص ٩٥ .
- * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمْعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمْعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى (٤٧) ص ١٦٨ .

* من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضلَّ سبيلاً (٧٢)
ص ١٤٠ .

١٨ — الكهف .

* بمس للظالمين بدلاً ، ... وما كنت متخذاً المضلين عضداً ، (٥٠) و
(٥١) ص ٤٨ .

* قال ذلك ما كنَّا نُبغِ (٦٤) ص ٢٨ .

* وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا (١٠٤) ص ٧٢ .

١٩ — مريم .

* وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورثياً (٧٤) ص ٢٩ .

٢٠ — طه .

* طه ، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى (١ و ٢) ص ٣٢ .

* الرحمن على العرش استوى (٥) ص ١٩٥ و ٢٠٦ .

* إن الساعة آتية أكاد أخفيها .. (١٥) ص ١٦٢ .

* وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا .. (٧٠ و ٧١) ص ٤٨ .

* لا يموت فيها ولا يحيا (٧٤) ص ١٠٩ .

* إني خشيت أن تقول فرقت بين بنى إسرائيل (٩٤) ص ٧٣ و ٨٥ .

* واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس .. (١١٦) و

(١١٧) ص ٤٩ .

* أفلم يَهْدِ لكم كم أهلكنا قبلهم من القرون .. (١٢٨ و ١٢٩) ص

٥٠ .

٢١ — الأنبياء .

* خَلَقَ الإنسان من عجل سأوريكم آياتي في الآفاق . (٣٧) ص

١٤٠ .

* لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا (٢٢) ص ١٨٦ .

٢٢ - الحج .

* يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل

حملها ... (٢) ص ١٣٧ .

* يصهر به ما في بطونهم والجلود (٢٠) ص ١٦٥ .

* إن الله يدافع عن الذين آمنوا ... (٣٨) ص ١٤٢ .

* يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل ... (٦١) ص ١١٧ .

* والذين هم للزكاة فاعلون (٤) ص ١٦١ و ١٧٨ .

٢٣ - المؤمنون والذين هم للزكاة فاعلون (٤) ص ١٦١ و ١٧٨

٢٤ - النور .

* سورة أنزلناها وفرضناها وأنزلنا فيها آيات بينات لعلكم تذكرون (١)

ص ١٦٥ .

* وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ... (٣١)

ص ١٧٦ .

* يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار (٣٥) ص ١٦٤ .

* أو كظلمات في بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه

سحاب (٤٠) ص ١٦٣ .

* ألم تر أن الله يزجى سحابا ، ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما يكاد سنا

بزقه يذهب بالأبصار (٤٣) ص ٨٥ و ٨٦ و ١٤٥ .

٢٥ - الفرقان .

* وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة ... (٢١) ص

١٤٢ .

* والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما (٦٧) ص

١٥٥ .

* ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا (٧١) ص ١٦٨ .

٢٦ - الشعراء .

* طسم (١) ص ٤٥

- * ويضيق صدرى ولا ينطق لسانى (١٣) ص ١٢٥ .
- * إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (٣٤) ص ١٤٢
- * قَالَ لَهُمُ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ، فَأَلْقَوْا حِجَابَهُمْ ... ، فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ ، فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ، فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (٤٣—٤٦) ص ٩٩ و ١٤٣ .
- * وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ (١٣٠) ص ٩٧ و ١٧١ .
- * وَاتَّقُوا الَّذِينَ أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) ص ١٧١ .
- * وَالشَّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَر أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٤) و (٢٢٥) ص ١٣٧ .

٢٧ — النمل .

- * وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بَنِيًّا يَقِينٌ (٢٢) ص ١٩ و ٧٢ .
- * أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَيَّ وَائْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١) ص ١٥٥ .
- * قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ .. (٤٠) ص ١٣٩ .
- * ... وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤) ص ٧٢ .
- * وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مَبِينٍ (٧٥) ص ١٦٥ .

٢٨ — القصص .

- * طَسَّيْتُ (١) ص ٤٥
- * وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ... (٣٤) ص ١٢٥
- * ... وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ (٤٥) ص ٧٧ .
- * ... يُجِئِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ .. (٥٧) ص ١٣٩ .
- * ... وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ (٧٦) ص ١٤٣ .

٢٩ — العنكبوت .

- * أَلَمْ (١) ص ٤٥

* أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا .. وَلَقَدْ فُتِنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ .. (٢ و ٣) ص ٤٩ .
* وما هذه الحياة الدنيا إِلَّا لهو ولعب .. (٦٤) ص ١٦١ .

٣٠ — الروم .

* فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقِيمِ (٤٣) ص ٧٦ .
* وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ .. (٥٥) ص ٨٧ و ٨٥ .

٣١ — لقمان .

* اَلَمْ (١) ص ٤٥ .

٣٢ — السجدة .

* اَلَمْ (١) ص ٤٥ .

٣٣ — الأحزاب .

* ... وَاذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنَّوْنَا (١٠) ص ٢٩ و ١٥٢ .
* وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) ص ٢٩ و ٣٥ .

* إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ... (٥٦) ص ٧٨ .

٣٤ — سبأ .

* فَأَعْرَضُوا ، فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سِيلَ الْعَرَمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ .. (١٦) ص ٩٨ و ١٠٢ .
* وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠) ص ١٦٥ .

* وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٤) ص ١٣٥ .
* وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا (٢٨) ص ١٦٤ .

٣٥ — الصافات .

* وإذا رأوا آية يستسخرون (١٤) ص ١٦٤ .

٣٨ — ص .

- * ص والقرآن ذى الذكر (١) ص ١٣٥ .
- * بل الذين كفروا في عزة وشقاق (٢) ص ١٣٥ .
- * وعجبوا أن جاءهم منذر منهم .. أجعل الآلهة إلهاً واحداً ... (٤) و (٥) ص ٥٠ .
- * جُندٌ مما هنالك مهزوم من الأحزاب .. (١١—١٣) ص ١٧١ .
- * وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب (٢٠) ص ١٦٥ .

٣٩ — الزمر .

* وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة (٤٥) ص ١١٧ .

٤٠ — غافر .

- * حم (١) ص ٤٥ .
- * ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد (٣٢) ص ٢٨ .
- * الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً (٦١) ص ١١٧ .
- * ذلكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون (٧٥) ص ٨٥ .
- * فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم (٨٣) ص ١٧٧ .

٤١ — فصلت .

- * حم (١) ص ٤٥ .
- * كتاب فصلت آياته .. (٣) ص ٣٦ .

* وقالوا قلوبنا في أَكِنَّةٍ مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر .. (٥) ص ١١٣ .
 * ... فأخذتم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون (١٧) ص
 . ١٦٨

* ... لهم فيها دار الخلد جزاءً (٢٨) ص ١٧٣ .
 * لا يسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيموس قنوط (٤٩)
 ص ١٥٩ و ١٧١ .

٤٢ — الشورى .

* وجزاء سيئة سيئة مثلها (٤٠) ص ٨١ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٧ و ٩٨ .

٤٣ — الزخرف .

* حم (١) ص ٤٥ .
 * قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين (٨١) ص ١٣٥ و ١٧٧ .

٤٤ — الدخان .

* حم (١) ص ٤٥ .
 * فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين (٢٩) ص ١٧٧ .

٤٥ — الأحقاف .

* حم (١) ص ٤٥ .
 * قل ما كنت يدعا من الرسل .. (٩) ص ٧ .
 * تدمر كل شيء بأمر ربها .. (٢٥) ص ١٣٩ .

٤٦ — محمد .

* كمن هو خالد في النار وسقوا ماءً حميماً (١٥) ص ١٦٥ .
 * ولتعرفهم في لحن القول .. (٣٠) ص ١٩٨ .

٤٧ — الفتح .

* يد الله فوق أيديهم (١٠) ص ١٣٨ .

٤٩ — الحجرات .

* واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢) ص ١٦٠

٥٠ — ق .

- * ق ، والقرآن المجيد .. هذا شيء عجيب « (١ و ٢) ص ٣٢ .
- * وما أنا بظلام للعبيد (٢٩) ص ١٦٠ .
- * ونحن أقرب إليه من حبل الوريد (١٦) ص ١٧٦ .

٥١ — الذاريات .

* والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لمُوسِعُونَ (٣٧) ص ١٩٥ .

٥٢ — الطور .

* والطور وكتاب مسطور (١ و ٢) ص ٣٢ و ٤٥ .

٥٣ — النجم .

- * والنجم إذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى .. (١-٣) ص ٤٦ .
- * أفرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الأخرى .. (١٩-٢٢) ص ٤٩ .

٥٤ — القمر .

* ولقد جاء آل فرعون النذر ، كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أَخَذَ عزيز مقتدر (٤١ و ٤٢) ص ٧٩ .

٥٥ — الرحمن .

- * الرحمن (١) ص ٤٥ .
- * فبأى آلاء ربكما تكذبان (في مواطن متفرقة من سورة الرحمن) ص ٤٦ .
- * والأرض وضعها للأنعام ، فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام ، والحب ذو العصف والريحان .. (١٠-١٨) ص ٤٦ .
- * ولمن خاف مقام ربه جنتان (٤٦) ص ٢٨ .

* متكئين على فرش بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين دان (٥٤) ص ٧٢ و ١٧٦ .

٥٧ - الحديد .

* وجنة عرضها كعرض السماء والأرض (٢١) ص ١٧٦ .

٥٩ - الحشر .

* وهو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن .. (٢٣) ص ١٦٨ .

٦٠ - الممتحنة .

* ... ذلكم حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٠) ص ١٦٨ .

٦٨ - القلم .

* وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ .. (٥١) ص ١٦٣

٦٩ - الحاقة .

* الحاقة (١) ص ٤٦ .

* فَأَمَّا مَنْ أَوَّيَّ كِتَابَهُ يَمِينَهُ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ اقْرَءُوا كِتَابِيهِ، إِنْى ظَنَنْتُ أَنى
مَلَآئِكِى حِسَابِيهِ .. (١٩-٢١) ص ٥٠ .
* خذوه فَعُلُوهُ ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلُّوهُ .. (٣٠-٣٣) ص ١٨٨ .

٧٠ - المعارج .

* كَلَّا إِنَّهَا لَأَطْفَى ، نَزَّاعَةً لِّلشَّوْى (١٥ و ١٦) ص ٤٩ .
* إِنْ الْإِنْسَانِ خُلِقَ هَلُوعًا ، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا .. (١٩-٢١) ص ٤٦ .

٧١ - نوح .

* وَقَالُوا : لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا
(٢٣) ص ٥٦ .

٧٢ — الجن .

* ... استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عَجَباً (١) ص ١٦٨ .

٧٣ — المزمّل .

* إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً .. (٥—٧) ص ٤٦ .

* واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً (٨) ص ٣٥ .

٧٤ — المدثر .

* ذرني ومن خلقت وحيداً (١١) ص ١٧٨

* فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ، إن هذا إلا قول بشر .. (٢٤—٢٨)

ص ٤٩ .

٧٥ — القيامة .

* وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة (٢٢ و ٢٣) ص ٨٥ .

* والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق (٢٩ و ٣٠) ص ٤٣ .

٧٦ — الإنسان .

* يوفون بالتّذّر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً (٧) ص ١٦٤ .

* ويُطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريراً ، قواريرا قدرورها

تقديرأ (١٥ و ١٦) .

٧٧ — المرسلات .

* فالعاصفات عصفاً ، والناشرات نشراً ، فالفارقات فرقا .. (٢—٥)

ص ٤٥ .

* إنها ترمي بشرير كالقصر ، كأنه جمالات صُفّر ٣٢ و ٣٣) ص ١٤٥

٧٩ — النازعات .

* رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليلها وأخرج ضحاها (٢٨ و ٢٩)

ص ٥٦ .

٨٢ — الانفطار .

* إن الأبرار لفي نعيم ، وإن الفجار لفي جحيم . (ص ١٣ و ١٤)
ص ٤١ و ٥٣ .

٨٦ — الطارق .

* إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ . (٤) ص ٥٠ .
* إِنْهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا وَأَكِيدُ كَيْدًا ، فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَهْلُهُمْ رَوِيدًا .
(١٥—١٧) . ص ٩٦ .

٨٧ — الأعلى .

* ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا (١٣) ص ١٠٩ .

٨٨ — الغاشية .

* فِيهَا سُرُورٌ مَرْفُوعَةٌ ، وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٣ و ١٤) ص ٤٥ .
* وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ وَزُرَّاقِي مَبْثُوثَةٌ (٢٦) ص ٤٣ و ٥٤ .

٨٩ — الفجر .

* وَاللَّيْلُ إِذَا يَسِيرُ (٤) ص ٢٨ و ٢٩ .
* وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) ص ١٣٤ .

٩١ — الشمس .

* وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا . (١) ص ٥٦ .
* إِذَا انبَعَثَ أَشْقَاهَا . (١٢) ص ٢٨ .

٩٢ — الليل .

* إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ، فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ وَاتَّقَى وَصَدَّقَ
بِالْحَسَنَى ... (٥—٧) ص ٤٩ .

٩٣ - الضحى .

- * والضحى ، والليل إذا سجي ، ما ودعك ربك وما قلى .
- (٣-١) ص ٤٩ .

٧٣ - الشرح .

- * أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ... (٤-١) ص ٤٥ .
- * فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَب . (٧ و ٨) ص ٥٤ .

١٠٠ - العاديات .

- * وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيد ، وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيد (٧ و ٨) ص ٨٥ .

- * إِنَّ رَحْمَهم يَوْمَئِذٍ لَّخَيْر (١١) ص ٧٣ و ٧٧ .

١٠١ - القارعة .

- * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمَّهُ هَاوِيَةٌ .. (٨-١١) ص ٤٩ .
- * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَه . (١٠) ص ٢٩ .

٣ — فهرست الآيات الشعرية

		(أ)	
السحابا	أرى بدر السماء	الرحضاء	لم يحك نائلك
١٨٤		١٥٤ و ١٨٦	
		(ب)	
الحباحب	تقد السلوقى	مذهب	ذهبت
١٢٦		١٧	
قواضب	يمدون من أيد	والشنب	وقد رأينا
٦٥ و ٧١		٩٣	
الخطوبنا	ولم تكن	المكرب	يدلى يديه
١٨٦ و ١٨٩		١٢٨	
كواكبه	كأن مشار	واللعب	السيف أصدق
٥٩		٨١ و ٨٣	
طالبه	لم يكن المغتر	الوصب	قالوا اشتكت
٦٦ و ٧٣		١٨٧	
ذنوبى	عذيرى	الريب	بيض الصفائح
٦٨		٦٨	
		(ت)	
لَوَلَّتْ	لو أن برغوئا	كاتب	فإن كان
١٤٧		٦٦	
جُنَّتْ	أصاب الردى	الذئاب	ما به قتل أعاديه
	١٠٢	١٧٣	
حسناتى	رُبَّ خود	العذاب	سقم دون
	٨٤	٧٣	
		الترابا	أسرناهم
		١١٦	

(ح)

سودا	فرد شعورهن	يرح	إذا غَيَّرَ
١١٠		١٦٣	
والهادى	تظل تحفر	صاح	لو لم تكن
١٣١ و ١٥٧		١٨٦	
	(د)	النابح	فانع المغيرة
		٦٨	
المحشر	ولقد هممت	الجواخ	إن البكاء
١٨٤		٢٣	
الغرر	وأصبحت عزز	ومناثحا	فتى لا يريد
	٨٥	٢٠٢	
صبر	على أنها		(٥)
١٠٢			
الهجر	إذا ما نهى الناهى	مفسد	فصفحت عنهم
٥٧ و ١٠٢ و ١٧٥		١٨٥	
الدهر	له هم	الحدود	بياض فى
١٥٠		١١٦	
المنبر	لو أن مشتاقا	بساعد	هُم ساعد الدهر
١٥٣		١٢	
الشجر	تركوا	قاصد	أصد بأيدى
١٢٦ و ١٦٢		١٠٢ و ١٠٣	
أشر	ألص	واحد	نهبت من الأعمار
٣١		٢٠٠	
أشقر	والصبح فى	الرّدا	لما هممت
١٧٠		١٨٧	
بالذكور	فلولا الريح	سمودا	رمى الحدثان
١٣١		١١٠	

أحوالى	فقلت سباك الله	الكاهل	ضربته فى الملتقى
٨٠		١٢٤	
خيال	نصيبك فى	الآجال	وأنا المنية
١١٦		١٤٤	
حالى	لحظت من وجنتها	الخلاخل	من الهيف
٢٠٧		١٣٣	
	(م)	القساطل	وأنى اهتدى
أَمَّ	كأن عينى	١٤٨	
٦٤		عل	مَكْرٌ مَفْرٌ
أعلم	يقيض لى	١١٨	
١١٢ و ٦٩		نزول	ومنازل لك
اللوم	أجد الملامة	١١٩	
١٧٥		مميل	إذا ما علا السيل
اللوم	يا صاح	١٢٧	
٦٣		ملا	ونكرم جارنا
حليم	فدو الحلم	١٣٠ و ١٣٧ و ١٥٧	
٦٧		ميلا	سبق التقاءكه
الكلم	بحسام سيفك	١٤٨	
٦٨		جليلا	قالوا وينظم
مستام	يومٌ نخلجت	١٥١	
٦٣		الفيالى	سليم
سهام	عميد بنى سليم	٥٥	
٩٥		البالى	كأن قلوب
قيام	ملك أعز	٥٧	
١٢٨		قَتَال	حدق الآجال
ظالم	وإننا لنعطى	٨٣	
١٣٠		يرتاح لى	أنى قاتلة
		٧٨	

أحيانا	لو زارنا طيف	التمام	أيا قمر التمام
٨٤		٦٥	
دفينا	والله لن	فتبسما	تبسم عن
٨٨		٨١	
روينا	بأننا نورد	والسأما	وأقطع الخرق
١١٤		٦٥	
سخينا	مشعشة	للتيمم	ولو لم تصافح
٢٠٦		١٨٩	
العدوان	مخش	عرمم	تلقى إذا
٣١		٩٤	
بحلوان	نخلقت بالأفق	يهمي	وإذا غادر الغدران
٦٥		١٨٨	
أودعاني	عارضاه	الإحجام	عهدي بمعركة
١٧ و ٦٩		١٤٣	
رشاني	فلم تَضَع الأعدى	الأنعام	ونخلطتم
٨٥		٢٠٤	
أرجواني	غدا رداؤه		(ن)
١٢٧			
	(هـ)	ما تكون	وما أشياء
		٢٠٤	
ما وراءها	ملكيت بها كفى	والزمن	يا أمين الله
١٤٤		١٥١	
أضاءها	طعنت	وزنا	وحديث الله
١٢٤		١٩٨	
جَهْدَه	قل لمن أدنيه	لأمكننا	عقدت سنايكها
١١٩		١٤٤	
زائرته	لقد خفت	لو جاملنا	كلكم قد أخذ
١٢٩		٨٤	

مستقاهها	كأن حجاج
١٢٩	
عبد الله	ما مات
٧١	
حامله	يسرك مظلوما
٧٨ و ١١٨	
وأذاها .	على ابن أبي العاصي
١٣٥	
احتياها	قرنت فلم
٨٥	
نهاها	واذا تجيء
١٣٥	
أسامة	فهناك مجزأة
شَمَّها	في الجانب الأيمن
٢٠٦	
	(٥)
بشمالها	وباسط خير
١١٤	

٤ - فهرست المصطلحات البلاغية

(أ)	
٢٨	آخر الآية .
٢٨	آخر الحروف .
١٩٩	الأحاجي .
١٦	الإرداف .
١٥ و ١٦ و ٢٢ و ٢٣ و ٣٣ و ٣٦ و ٣٨ و ٤٠ و ٤٢ و ٤٦ و ٥٣ و ٥٦ و ٥٨ و ٥٩ و ٨٩ و ١١٦ .	الازدواج .
١٥	الاستثناء .
١٩٦	الاستخدام .
١٣ و ١٥ و ١٨ و ١٤١ و ١٧٠	الاستعارة .
١٠١ و ١٠٤	الاستعارة التصريحية .
٨١	الاستعارة المكنية .
١١٥	الأسلوب .

الإشارة .	١٥ و ١٦ .
الأضداد .	١٠٩ .
الاطناب .	١٥ .
الاعتراض .	١٣ و ٢١ .
إعانات الشاعر نفسه .	١٣ .
الإغراق .	١٤٠ و ١٤١ و ١٥١ .
الاطناب .	١٥ .
الاعتراض .	١٣ و ٢١ .
إعانات الشاعر نفسه .	١٣ .
الإفراط و « الإفراط في الصفة » .	١٣ و ١٤ و ١٢٨ و ١٣٢ و ١٤٣ و ١٤٥ و ١٥٦ .
الالتفات .	١٣ و ١٦٨ .
الامتناع .	١٣٠ .
الإيجاز .	١٦ .

الإيغال .	١٤٠ و ١٤٣ .
الإيقاع .	٢٣ و ٢٤ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٩ و ٤٠ و ٤٢ و ٤٣ و ٤٦ و ٧٦ و ٨٢ و ٨٣ و ٨٦ و ٨٧ و ٨٩ و ٩٤ و ١٠١ و ١١٩ .
الإيهام .	١٤١ و ٢٠٣ .
إيهام التضاد .	١١٨ .
	(ب)
البديع .	١١ و ١٢ .
البديعيات .	٢٢ .
البلاغة .	١١ وأماكن متفرقة عديدة .
	(ت)
تأكيد المدح بما يشبه الذم .	١٣ .
التبليغ .	١٥ و ١٤٥ .
تجاهل العارف .	١٣ .
التجريد .	١٧٢ .

التجميع « عيب في الفاصلة » . ٥٥	
التجوز . ١٤١	
التخييل . ١٩٥ و ٢٠٣	
التخير . ١٩٥	
التدريج (طباق التدريج) . ١١٨	
الترديد . ١٥ و ٩٩ و ١٠٠	
الترشيح . ١٦	
الترصيع . ٣١ و ٣٨	
التسهم . ٩٩	
التشبيه . ١٣ و ١٥ و ٢٠ و ٢٣ و ١١٠ و ١٢٦ و ١٤١ و ١٤٥ و ١٦٨ و ١٧٨	
التشبيه المعكوس . ١٦٨	
التصحيف . ٦٦	
التصدير . ١٥ و ٩٣ و ٩٧ و ٩٩ و ١٠٠	

التطويل (عيب في الفاصلة) .	٥٥ .
التعريض -	١٣ و ٤٣ .
التعليل .	٢٤ و ١٤١ و ١٧٢ .
تعليل وطرافة التعليل .	من ١٨٣ - ١٩١ .
تفريط -	١٤٣ .
تقديم والتأخير -	٢٣ .
تسيم .	٢١ و ٥٧ .
كافؤ .	١١١ .
سكّار .	١٧١ .
تكميل -	١٦ .
تنكير .	١٦٦ .
التوجيه (التورية) .	٢١ و ١٩٥ .
التورية .	٢٤ و ١١٠ من ١٩٥ - ٢٠٧ .

الجناس في رأيي .	٧٦ .
	(ح)
الحذف .	١٤١ و ١٦٦ .
حسن الابتداءات .	١٣ .
حسن التضمين .	١٣ .
حسن التعليل .	١٩٠ .
حسن الخروج .	١٣ .
	(ذ)
الذوق عند الآمدى .	١٣٣ .
	(ز)
رأس الآية أو « الآيات » .	٢٨ و ٢٩ .
الرجوع .	١٣ .
رد الأعجاز على الصدور .	١٣ و ١٦ و ٩٣ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٩ و ١٠٠ .

(س)

١٥ و ٢١ و ٢٣ و ٢٧ و ٣٠—٣٩ و
٤١—٤٣ و ٥٥ و ٥٦ .

٤٤ .

٤٤ .

٤٢ .

٣٩ و ٤٤ .

٣٩ .

(ص)

١٦ .

١٦ .

(ط)

١٣ و ١٥ و ١٦ و ١٨ و ٢١—٢٣ و ٢٤
و ٦٣ و ٦٤ و ١٠١ و ١٠٩ و ١١١—
١١٢ و ١١٧—١١٩ و ١٧٢ و ١٤١ .

السجع و « الأسجاع » .

سجع البلغاء .

سجع الحمام .

السجع الصرفي (عند قدامة) .

سجع القرآن .

سجع الكهان .

صحة التفسير .

صحة التقسيم .

الطباق والمطابقة والتطبيق .

(م)

١٨ و ٢٤ و ٢٩ و ١٠٩ و ١٢٣ و ١٩١ .

المبالغة -

٣٣ .

المثل .

١٥ و ٢٠ و ٢٣ و ٨١ و ١٠٣ .

المجاز .

١٠٩ .

مجاورة الأضداد .

٣٥ .

المحسنات .

١٤ .

المحسنات البديعية .

١٧ و ٢١ .

المحسنات اللفظية .

١٧ و ٢١ .

المحسنات المعنوية .

١٦ .

المخترع .

١٦ و ١٣ .

المذهب الكلامي .

٢١ .

مراعاة النظر .

٢١ و ٥٦ و ٥٧ و ٥٨ و ٥٩ و ٦٦ و

المزاوجة .

٩٣ و ٩٥ و ١٧٥ .

٢١ و ٢٣ و ٩٣-١٠١ و ١٠٤ .

المشكلة .

المشكلة الإيقاعية .	١٠١ و ١٠٢
المشكلة الفنية .	٥٨ و ٩٣ و ١٠١ .
المشتق .	٦٤ .
المطلق .	٦٥ .
المغالطة .	١٩٥ .
المقابلة .	١٥ و ٢١ و ٩٣ و ١١٥ و ١١٦ و ١١٧ و ١١٨ .
المقلوب .	١٠٩ .
المائل والمائلة .	١٦ و ٦٨ و ٧٢ -
المتنوع .	١٤٧ و ١٥٦ .
المناسبة .	٦٧ و ٩٥ -
	(ن)
النظم .	١٩ و ٢١ -
	(هـ)
الهزل الذى يراد به الجذ .	١٣ .

٥ — فهرست الأعلام

(أ)

١٤ و ١٥ و ١٨ و ١٣٢—١٣٤ و ١٦٢ .	الآمدى
١٩ .	إبراهيم مصطفى
١٧ و ٣٦ و ٣٧ و ٧٤ و ٩٣ و ١١٤ و ١٤٣ و ١٤٥ و ١٤٦ و ٢٠٣ .	ابن الأثير — ضياء الدين
٧٤ و ١٠٠ و ١٤٥ .	ابن الأثير — نجم الدين
٢٢ .	أحمد إبراهيم موسى
١٩ .	أحمد أحمد بدوى
١٦٣ .	أحمد بن محمد الجوهري
٣٦ .	أحمد مطلوب
١٨٦ .	أحمد موسى
٢٩ و ٣١ و ١٢٣ و ١٦٤ .	الأخفش الأوسط « سعيد بن مسعدة »
٦٤ .	الأخفش — على بن سليمان

أخوة يوسف عليه السلام	١٩٥ .
أدد بن مالك بن كهلان	١١٠ .
إسحاق الموصلي	١٢٤ .
ابن أسماء بن خارجة	١٩٨ .
الأشناداني	١٢٧ و ١٥٦ .
الأشهب بن رميلة	١٢ .
ابن أبي الإصبع	١٣ و ١٩ و ٣٦ و ٦٤ و ٧٤ و ٩٩ و ١٤٥ و ١٨٨ و ١٩٠ و ٢٠٤ .
الأصفهاني « أبو الفرج »	١٩٨ .
الأصمعي	٦٣ و ٦٤ و ٧٥ و ١٠٩ و ١١٠ و ١١٧ و ١٢٣ و ١٧٥ .
ابن الأعرابي	١١٧ .
الأعشى	١٣٥ و ١٣٦ و ١٧٤ .
الأعمش	٥٦ .

٣١ و ٥٧ و ٧٩ و ٨١ و ١١٧ و ١٢٨ و
١٧٥ .

١٢٦ .

٢٩ -

(ب)

١٦ و ٢٧ و ٩٦ .

٥٧ و ٥٨ و ٦٥ و ٦٩ و ٧١ و ١٠٢ و
١١٢ و ١٥٢ و ١٧٥ و ١٨٦ و ١٨٩ و
١٩٦ و ١٩٧ و ٢٠٦ .

٢٠٢ .

١٢ و ٢٢ و ٣٧ -

١٢٧ .

٦٩ و ٧٣ و ٨٤ .

١٢ و ٥٩ .

٣٢ .

امرؤ القيس

امراة عمران بن حطان

أهل الحجاز

الباقلاني

البحترى

ابن بدر الجمالى الوزير

بدر الدين بن مالك

البراض بن قيس الكنانى

البستى (أبو الفتح)

بشار بن برد

بعض الكهان

بكر بن النطاح

١٥١ .

(ت)

التفتازاني

٣٧ و ٥٨ .

تقى الدين

٢٠٦ .

أبو تمام

١٧ و ٦٤ و ٦٥ و ٦٧ و ٧١ و ٨١ و
٨٣ و ٨٥ و ١١٠ و ١١٢ و ١١٧ و
١٣٣ و ٢٠٤ .

التنوخى

٣٦ .

(ث)

ثعلب

٦٣ و ١٠٩ و ١٢٨ و ١٥٦ .

(ج)

الجاحظ

١٢ و ١٣ و ١٦ و ٢١ و ٢٨ و ٣٠ و
٣٦ و ٥٣ و ١٢٥ و ١٩٧ و ١٩٨ و
٢٠٠ .

الجرجاني — عبد القاهر

١٧—٢١ و ٣٤ و ٥٦ و ٥٨ و ٥٩ و ٦٥
و ٦٩ و ٧٠ و ٩٧ و ٩٨ و ١٣٢ و ١٤١
و ١٥٤ و ١٦٦ و ١٦٨ و ١٦٩ و ١٧٢
و ١٧٣ و ١٨٦ و ١٨٧ و ١٩٠ .

١٤ و ١٥ و ٦٤ و ١١٢ و ١٣٢ و ١٤١ -	الجرجاني — علي بن عبد العزيز
٣٧ -	الجرجاني — علي بن محمد بن علي
٧٤ -	الجرجاني — محمد بن علي
١١٤ -	جرير
٩٧ و ١٣٩ -	الجشمي — الحاكم الجشمي
٧٨ -	جليلة بن مرة
٣٢ و ١٣٦ و ١٧٤ -	ابن جني
٨٥ -	أبو جهل
(ح)	
١٤١ -	الحاتمي — محمد بن الحسم بن المظفر
١٨٥ -	الحارث بن هشام
١٦٣ -	أبو الحكم بن البختری
٤٤ -	حامد عبد القادر

١٩ .	حامد عبد المجيد
١٩٧ و ١٩٨ .	الحجاج بن يوسف
١٢٧ .	حجير
٨٥ .	الحسن البصري
١٨٥ .	أبو الحسن التهامي
٥٧ .	حسان بن ثابت
٢٠٧ .	أبو الحسين الجزار
١٩ .	حفنى شرف
١٩٠ .	الخلبي — محمود بن سليمان
٣٦ و ١٤٥ .	ابن حمزة العلوي
٢٠٠ .	بنو حفظة
٢٧ .	حمل بن مالك
٢٠٥ .	الحموي — ابن حجة

(خ)	
١٩٨.	خالد بن الوليد
١٢٨ و ١٥٢ -	الخثعمي
٣٦ و ١٦١ و ١٧٧ .	الخطابي
١٧ و ٢١ و ٣٣ و ٥٥ و ٧٠ و ٩٣ و ١١٣ و ١١٥ و ١١٧ و ١٤١ و ١٨٥ و ١٨٦ و ١٩٧ -	الخفاجي — ابن سنان
٢٧ و ٦٣ و ٦٤ و ١٠٩ و ١١٠ و ١١٢	الخليل بن أحمد
٢٣ و ١٣٣ .	الخنساء
(د)	
١٠٩ .	ابن دريد
١١٢ .	دعبل
٢٠٧ .	ابن دنيال — الحكيم شمس الدين
(ذ)	
١٦٣ و ١٧٢ و ١٩٩ .	ذو الرمة

الرازي — فخر الدين

٣٥ و ٧٣ و ٧٤ و ١٤٩

رؤاس بن تميم

١٣٠

الراعي

١٢

الرسول (ﷺ)

٢٢ و ٢٧ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٨ و ١٠٢ و
١١٩ و ١٦٦ و ١٨٣ و ١٨٤ و ٢٠٦

الرماني — أبو الحسن علي بن

عيسى

١٥ و ١٦ و ١٨ و ١٩ و ٣٢ و ٣٣ و
٣٧ و ٥٥ و ٦٦ و ٦٩ و ٩٥ و ١١٢ و
١٣٤ و ١٤١ و ١٤٥ و ١٥٨ و ١٦٠

ابن الرومي

١٦٩

(٧)

ابن الزبيري — عبد الله

٨٦

الزجاج

٣١ و ٩٥ و ١٢٩ و ١٦٠ و ١٦٢

الزركشي

٢٨ و ٤٤ و ١٤٥

الزنجشري

١٩ و ٢١ و ٣٤ و ٣٥ و ٣٧ و ٥٦ و
٧١ و ٩٩ و ١٠٢ و ١١٣ و ١١٧ و
١٤٢ و ١٤٦ و ١٥٥ و ١٥٨ و ١٦١ و

١٦٣-١٦٦ و ١٦٨ و ١٧١ و ١٧٦ و
١٧٧ و ١٨٨ و ٢٠٢ .
٣٦ و ٧٤ .

ابن الزمكاني

٣١ و ٦٣ و ٦٧ و ٨٠ و ١٠٩ و ١١٠ و
١٤٣ .

زهير بن أبي سلمى

٥٧ و ٦٨ .

زياد الأعجم

٣٧ .

السبكي — بهاء الدين

٣٧ و ١٤٦ و ١٤٩ .

السجلماسي

٢٠٧ .

السراج الوراق

١٢ و ١٤ و ١٧ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢ و
٣٥ و ٣٦ و ٣٧ و ٥٦ و ٥٨ و ٥٩ و
٧٣ و ٧٤ و ٩٩ و ١١١ و ١١٤ و ١٤٣ و
١٤٩ و ٢٠٣ .

السكاكي

١٩٥ و ٢٠٧ .

ابن سناء الملك

٢٧ و ٢٩ و ١٢٣ و ١٥٠ و ١٥٩ و
١٨٥ .

سيبويه

١٦ .

السيد أحمد صقر

السيوطى	٢٩ و ٣٠ و ٤٨ و ٧٥ .
	(ش)
ابن شبرمة	١٦٣ .
شرح التلخيص	٢٢ و ١٤٩ .
الشرىف الرضى	١٣٧ و ١٧٨ .
الشرىف المرتضى	٣٦ و ٩٦ و ١٣٧ و ١٤٠ و ١٦٧ و ١٧٦ و ١٧٧ .
شعبة بن الحجاج	١٢٣ و ١٢٤ .
أبو الشَّعب العبسى	١١٢ .
شوق ضيف	١١٨ .
	(ص)
ابن الصائغ	٢٩ و ٣٠ و ٤٨ .
الصاحب — إسماعيل بن عباد	٢٠٠ .
الصفدى — صلاح الدين	٢٠٥ .

(ط)

أبو طالب — عم الرسول ﷺ . ٨٨ و ٨٥

ابن طباطبا . ١٤ و ٢١ و ٣٦ و ٩٣ و ١٢٩ و ١٣٠ و ١٥١ و ١٥٦

الطبري . ١٦٢

طرفة بن العبد . ٦٨

الطرماح بن حكيم . ١١٥ و ١٤٧

الطوفي . ٧٤

(ع)

ابن عباس . ٨٥ و ١٢٣ و ١٦٢

العباس بن الأحنف . ٨٤

عبد الجبار — القاضي عبد الجبار . ١٨ و ٢٠ و ٣٧ و ٩٦ و ١٣٧ و ٢٠١

عبد الجليل عبده شلبي . ٣١

عبد السلام هارون . ٢٧ و ٣٠

عبد الصمد الرقاشى	٣٠ و ٣٢ -
عبد الفتاح لاشين	١٣٩ .
عبد الكريم النهشلى	١٦ و ١٤٠ و ١٤٦ .
عبد الله درويش	٢٧ .
عبد الله بن الزبير الأسدى	٨٨ و ١١٠ .
عبد المسيح بن عمرو	١٩٧ و ١٩٨ .
أبو عبيدة معمر بن المثنى	١٢٤ و ١٦٢ .
العتابى	١٢ و ١٣ .
العجير السلولى	٧٨ و ٨٠ .
العسكرى (أبو أحمد)	١٣٦ .
العسكرى (أبو هلال)	١٥ و ٢١ و ٣٣ و ٣٦ و ٤٠ و ٤٣ و ٥٣-٥٥ و ٦٧ و ٦٨ و ٧٥ و ٨٠ و ٩٥ و ٩٦ و ٩٩ و ١١٣ و ١١٦ و ١١٩ و ١٢٥ و ١٣٢ و ١٣٦ و ١٣٩ و ١٤١ و ١٥٢ و ١٥٣ و ١٩٩ و ٢٠٠ .
أم عفيفة بنت مسروح	٢٧

٧٠ و ٧٣ و ١١٧ .

٢٢ :

١٣٢ .

١٦ و ٣٣ .

١١٠ و ١١١ .

١١٤ و ٢٠٦ .

١٣٠ و ١٣٧ .

١٩٩ .

(غ)

١٦٣ .

٨٤ .

(ف)

٢٩ .

٦٦ .

أبو العلاء المصري

علماء القرن الثامن

أبو علي القالي

علي محمد البجاوي

عمر بن الخطاب

عمرو بن كلثوم

عمير بن الأيهم

العنبري

غيلاني بن الحكم

الغزي — محمد بن علي

فايز فارس

أبو الفتح ابن العميد

الفراء

٢٨ و ٣١ و ٩٤ و ٢٠٠ .

الفرزدق

٥٧ و ١٢٩ .

(ق)

القاسم بن عيسى

١٥٠ .

القاضي الفاضل

٢٠٧ .

ابن قتيبة

١٣ و ٢٩ و ١٠٩ و ١٢٥ و ١٢٨ و
١٣٣ و ١٤١ و ١٥٢ و ١٥٥ و ١٥٦ و
١٦٢ و ٢٠٠ .

قُدار

٢٩ .

قدامة بن جعفر

٢١ و ٣١ و ٣٧ و ٥٦ و ٦٣ و ٦٤ و
٧٠ و ١١١ و ١١٥ و ١٣١ و ١٣٣ و
١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٧ و ١٤١ و ١٤٥ و
١٤٦ و ١٥١ و ١٥٦ و ١٥٧ و ١٦٢ .

القرطاجني — حازم

٣٧ و ١١٤ و ١١٥ و ١٤٦ .

القرطبي

٨٥ .

القزويني — الخطيب

٢٢ و ٣٧ و ٥٨ و ٧٣ و ٧٤ و ٩٩ و
١٠٠ و ١٤٥ و ١٤٩ و ١٧٣ و ١٧٤ و
١٩٠ و ٢٠٥ .

١٦ و ٣٦ و ٦٨ و ٩٧ و ١٠٩ و ١١٢ و
١١٣ و ١١٦ و ١٤٠ و ١٥٣ و ١٩٩ .

١٢٣ و ١٢٤ و ١٤٤ .

١٣٥ .

٣٦ .

(ك)

٣٠ .

١٠٢ و ١٣٥ .

٣١ .

٩٣ .

٢٧ .

(م)

١٣ و ٣٦ و ٩٣ و ٩٤ و ١٢٦—١٢٨ و
١٥٠ و ١٥٦ .

١١٧ و ١٣٢ و ١٤٤ و ١٤٣ و ١٤٨ و

القيرواني — ابن رشيق

قيس ابن الخطيم

قيس بن معد يكرب

ابن قيم الجوزية

كهان العرب

كثير عزة

كمال مصطفى

الكميت

الكهان

المبرد

المتنبي

١٥٤ و ١٧٢ و ١٨٦ و ٢٠٠ و ٢٠٦ .
١٢٦ و ١٥٠ .

مجزأة بن ثور

١٨ .

محمد رشيد رضا

٣٢ .

محمد زغلول سلام

٣٣ .

محمد علي النجار

١٥ و ١٦ و ٢٨ و ٣٠ .

محمد أبو الفضل إبراهيم

١٦ .

محمد محيي الدين عبد الحميد

٢٠٧ .

محيي الدين بن عبد الظاهر

١٣٥ و ١٦٣ .

المرزباني

١٥٢ .

ابن مسعود

١٢ و ١٨ و ١٨٩ .

مسلم بن الوليد

١٥٩ .

المسيح عليه السلام

١٣ و ١٤ و ١٦ و ١٧ و ٣٦ و ٦٣ و
٧٤ و ٧٥ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٩ و ١٠٩ و
١١٠ و ١١١ و ١١٦ و ١٢٨ و ١٨٧ .

ابن المعتز

٦٨ .	المغير بن المهلب
٩٣ .	ابن المقفع
١٤ و ٩٩ و ٣٦ و ٥٦ و ٧٢ و ٧٣ و ٩٩ و ١١٣ و ١١٤ و ١٤٣ و ٣ . ٢ .	ابن منقذ — أسامة
٢٧ .	ملیكة بنت ساعدة
٢٠٢ .	ابن منجب — علی بن منجب
١٣٨ .	ابن المنجم — یحیی بن علی بن یحیی
٦٢ .	منصور الثمري
٧٩ و ١٣١ .	المهلل بن ربيعة
٢٠٢ .	مهيار الديلمي
١٢٥ .	موسی عليه السلام
٢٠٦ .	الموصلی — عز الدين
(ن)	
١٢٩ و ١٠٩ .	النايعة الجعدی

٦٥ و ١٢٩ و ١٣٤ و ١٤٤ و ٢٠٦ .

النابعة الذبياني

٢٠٧ .

النصر الحمامي

٩٣ .

نصيب الشاعر

٢٠٧ .

ابن النقيب — ناصر الدين
حسن

١٣٠ و ١٣١ .

الثر بن تولب

١٢٨ و ١٤٤ و ١٥١ و ١٥٣ و ٢٠٦ .

أبو نواس

(هـ)

١٢٥ .

هارون أخو موسى عليه السلام

١٨٩ .

ابن هانيء الأندلسي

١٩٨ .

هند بنت أسماء بن خارجة ؛ ..

(و)

٣٥ و ١٨٨ و ٢٠٣ .

الوطواط — رشيد الدين

٣٧ .

ابن وهب — اسحق بن سليمان

(ى)	
٦٤ -	يحيى بن عبد الله
١٩٦ .	يعقوب عليه السلام
٣٧ و ٥٨ و ١٧٥ .	ابن يعقوب المغربي
١٩٦ .	يوسف عليه السلام

أولا : الفهرس التفصيلى .

٢٤-١١

تمهيد : البديع والإيقاع

البديع — ١١ ، المرحلة الفنية — ١٢ ، مرحلة الجمود — ٢٠ ،
الإيقاع — ٢١ الى ٢٤

١٠٤- ١٧

أولا : مصطلحات الوفاء بالمعنى والإيقاع

٥٠- ١٧

أولا : السجع

مصطلح السجع والفاصلة — ١٧ ،
التعقيب — ٣٩ ، تعريف للسجع
والفاصلة ، والفرق بينهما فى رأى — ٤١ ،
أبنية الفاصلة فى القرآن الكريم — ٤٥ ،
خروج نظم الآية عن مقتضى الظاهر بسبب
الفاصلة فى القرآن الكريم — ٤٨-٥٠

٥٩- ٥٣

ثانيا : الازدواج

المصطلح — ٥٣ ، الازدواج فى التراث —
٥٣ ، المزاوجة والازدواج — ٥٦ الى ٥٩

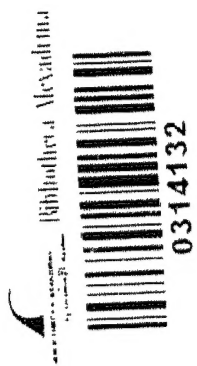
٨٩- ٦٣

ثالثا : الجناس

مصطلح الجناس — ٦٣ ، الجناس التام
والجناس الناقص — ٧٤ ، اختلاف المعنى
بين المتجانسين — ٧٧ ، الحقيقة والمجاز بين
المتجانسين — ٨١ ، الجانب الإيقاعى بين
المتجانسين — ٨٢ ، الوفاء بالمعنى والإيقاع
بين المتجانسين — ٨٦ الى ٨٩

رقم الإيداع ٨٦/٧١٧٧
الترقيم الدولي ٣ — ٣١٢ — ١٠٣ — ٩٧٧

مركز الدلتا للطباعة
٢٤ شارع الدلتا — اسبورتنج
تليفون ٥٩٧٠١٤١



Thanks to
assayyad@maktoob.com

To: www.al-mostafa.com